

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

اللجنة الشعبية العامة للتعليم والبحث العلمي
جامعة الفاتح/كلية الآداب

قسم اللغة العربية
شعبة الدراسات العليا

الحقيقة التاريخية والخيال الروائي في روايات إبراهيم
الكوني (لون اللعنة - نداء ما كان بعيداً - في مكان
نسكنه في زمان يسكننا).

بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات الإجازة العليا (الماجستير)

في الدراسات الأدبية

إعداد

الطالبة : وفاء محيي الدين سالم أبو غمجة

تحت إشراف

أ.د : علي عبد المطلب الهوني

سنة 2009/ 2010 ف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"نُ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ¹ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمُنْشُونَ² وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا
خَيْرَ مَمْنُونٍ³ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ⁴ .

خَيْرُكُمْ (الْعَظِيمِ)
سُورَةُ الْقَلَمِ الْآيَات 1 - 4 .

الإهداء

إلى من تعجز عن وصف عطائه الكلمات
و من ساندني في تخطي جميع العقبات (أبي) الحبيب
عرفاناً وتقديراً لتشجيعه

~~~~~

إلى نبع السكينة و الراحة  
التي تعبت لكي امضي فيما أنجزت (أمي)  
(الحبيبة عرفاناً وتقديراً لتشجيعها)

~~~~~

إلى طيور الأمل وشموع المحبة وورود دنياي الذين و اكبوا معي خطواتي
بكل صبر و ثبات (إخوتي) الأعزاء

~~~~~

إلى روح جدي (سالم) الطاهرة الذي أحب العلم والعلماء

~~~~~

إلى روح عمي (صالح بركة) الطاهرة الذي شجعني على المضي في
طريق العلم والمعرفة.

...أهدي ثمرة قطافي..

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،والصلاة والسلام على المبعوث بالرحمات ، وبعد ،،

فإنني أتقدم بعميق الشكر والامتنان لأستاذي الذي قبل الإشراف على بحثي ورعايته ،وأناشأ دربي بتوجيهاته وتعليماته ،التي ساعدت على إثراء البحث،ولم يبخل علي بعلمه ومشوراته إلى أ.د: علي عبد المطلب الهوني. كما أتقدم بجزيل الشكر إلى لجنة المناقشة على ما تجشمتها من عناء في قراءة البحث،وعلى ما ستمده من تصويب وتوجيه لإثرائه:

أ.د الطاهر خليفة القراضي وكذلك أ.د هاشم المهدي الشريف.

كما أتقدم بجزيل الشكر لأمين اللجنة الشعبية كلية الآداب جامعة الفاتح:

د :نصر الدين أبو غمجة لما حباني به من رعاية واهتمام.

كما أتقدم بجزيل الشكر لأمين اللجنة الشعبية لكلية التربية/قصر بن غشير د :عمار خليفة على ما أبداه من مساعدة للمضي في هذا البحث.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ: سعد شرادة على ما أبداه من نصح وإرشاد.

والشكر موصول إلى أولئك الأخيار الذين مدّوا لي يد العون، خلال فترة قيامي بهذا العمل،وأرجوا أن يوفقني الله فيما أردت ، فإن أصبت فذاك المبتغى والمرام ،وإن أخطأت فحسبي أنني توخيت الدقة،والأمانة في عملي،وبذلت ما استطعت في سبيل ما أصبو إليه والله ولي التوفيق. - الباحثة -

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

نظراً لأهمية الرواية العربية التاريخية، لما تقدمه من دور جليل في إثراء الأدب العربي، وما تهدف إليه من إيصال للمعلومة التاريخية للقراء بكل سهولة ويسر، ونظراً لما قامت به هذه الرواية من ترسيخ للتاريخ في عقول النشء، انتشرت هذه الروايات في أقطار الوطن العربي، وكانت ليبيا إحدى هذه الأقطار، حيث حاول الروائيون الليبيون بإثراء هذا النوع من الروايات، بالكتابة عن واقعهم التاريخي وما عانته ليبيا من أهوال الحروب، وبالطبع يُعد إبراهيم الكوني أحد رواد الرواية التاريخية الليبية، حيث كان له أثر عظيم في إثراء هذا المجال بعدد من الروايات التاريخية، لذا وجدتُ بعض المقالات التي تُشيد بهذا الكاتب من الناحية الفنية والإبداعية، كما وجدت بعض الدراسات التي تناولت بعض رواياته بالدراسة من حيث المنظور السردي في رباعيته الخسوف، و الفضاء وبنيته في النص النقدي الروائي في رباعيته الخسوف.

ولكن ما لفت انتباهي أن الروائي هو أحد كتّاب الرواية التاريخية، أي أنه يُوظف التاريخ الليبي أثناء كتابته لرواياته التاريخية لذا كان علينا أن نتتبع مدى مزجه للحقيقة التاريخية بخياله الروائي الذي يكتبه برواياته، ذلك لأننا نعلم أن الخيال إحدى صفات الروائي فهل تجاوز خيال الكوني الحد، الذي جعله ينقل أحداثاً مغالطة للتاريخ، أو شد من زمام خياله فنقل التاريخ كما هو؟.

هذا وتُعد الرواية التاريخية عند المبدعين من الروائيين انعكاساً لتاريخ فترة زمنية معينة على واقعنا المعيش فيما نسميه بالمفارقة، لذا فإن من واجبنا التنبه والاستفادة لما حدث من أخطاء في التاريخ حتى لا نكررها في حاضرنا.

وهذا يزيد الرواية التاريخية أهمية إذ هي تُركز على مدى أهمية التاريخ لدى الأمة ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، كما أننا لم نجد من الباحثين من سبقنا إلى تناول هذه الزاوية بالدراسة.

هذه الأسباب مجتمعة أدت لاختيار هذا الموضوع، والذي كلفني جهداً كبيراً لتثبيت

بعض الحقائق التاريخية ،التي أوردها الكوني في رواياته موضوع الدراسة، وتوضيح ما أراد الكوني إيصاله للمجتمع ،ذلك لأن أسلوب الكاتب يتصف بالفلسفة والغموض.

ولعل أهمية هذا البحث تكمن، في كونه أول بحث يشير لمدى صدق الكوني لما يرويهِ من تاريخ .

أما منهجي في البحث فيتمثل في :

- لم أكتب بحثي على غرار البحوث السابقة ،ولكن حاولت أن يكون هذا البحث ضوءاً يسلط على بعض روايات الكوني وهي (لون اللعنة - نداء ما كان بعيداً - في مكان نسكنه في زمان يسكننا) لكي نكشف شيئاً جديداً في هذه الكتابات من حيث المصادقية التاريخية لدى الكوني ،ومدى إبداعه في توظيفه لهذا التاريخ،ذلك لأن هذا البحث في نظري يُفيد دارسي الأدب ودارسي التاريخ.
- حاولت أن أحقق التاريخ الذي نقله الكوني في رواياته، وذلك بالرجوع إلى كتب التاريخ، والتي أهمها: الحوليات الليبية، تاريخ طرابلس الغرب، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القره مانلية ،تاريخ ليبيا في العصر الحديث، عائلة المكني أبناؤها وأدوارهم في التاريخ الليبي، وثائق دولة أولاد محمد بفران، تاريخ المغرب والأندلس، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، التذكار وإثبات ما غلط في نقله الكوني، سواء بقصد أو بغير قصد .
- اعتمدت أسلوب التحليل في بعض ما قاله الكوني ،وحاولت أن أناقش هذه التحليلات قَدَر الجهد ،كما حاولت أن تكون كل كلمة في محلها دون إطالة أو إيجاز.

هيكل البحث :

يقع البحث في تمهيد والتعريف بالروائي إبراهيم الكوني ، وثلاثة فصول، وخاتمة.

يمثل التمهيد دراسة لتاريخ ومكانة الرواية ، وإسقاط الضوء على الرواية العربية وأنواعها ، ثم التركيز على الرواية العربية التاريخية ، ومدى نضجها والرواية التاريخية في ليبيا ، ومدى نجاحها وأوائل الكتاب الليبيين ، وأعلام الرواية التاريخية في ليبيا، الذين يُعد الكوني أحدهم ، ومن ثم التعريف بالكوني ، ونتاجه الأدبي ، وسيرة حياته ، وبعض أخباره ، ومدى اعتراف العالم بإبداعه وتكريمه .

▪ الفصل الأول: ويشمل حقيقة الأسرة القره مانلية وأركان سعادتها.

المبحث الأول : الأسرة القره مانلية بين الحقيقة التاريخية والخيال الروائي في الروايات الثلاث.

المبحث الثاني : مثلث السعادة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية

- السلطة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.
- المال عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.
- المرأة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.

▪ الفصل الثاني : انحصار دور المرأة في الرواية التاريخية عند الكوني

في الروايات الثلاث.

المبحث الأول : تحقيق شهوة الإنتقام في الروايات الثلاث.

المبحث الثاني : تحقيق شهوة المتعة في الروايات الثلاث.

المبحث الثالث : تلاشي دور المرأة في الروايات الثلاث .

▪ الفصل الثالث : ويشمل التاريخ وانعكاسه حاضراً ومستقبلاً.

المبحث الأول : استدعاء التاريخ العربي.

المبحث الثاني: رؤية الحاضر بعين الماضي.

وقد انتهيت إلى الخاتمة وما تحويه من نتائج البحث ، والصعوبات التي واجهت الباحثة أثناء بحثها.

هذا وقد اعتمدت على مصادر ومراجع مهمة، وأساسية لهذا البحث ،وهي وإن كانت متفاوتة في تقديم المعلومة القيمة لهذا البحث ، فإنها كونت في مجموعها مادته العلمية التي قام عليها.

التمهيد

- الرواية.
- الرواية العربية.
- الرواية التاريخية العربية.
- الرواية التاريخية في ليبيا.
- التعريف بالروائي إبراهيم الكوني.

الرواية:

تعد الرواية من الاجناس الادبية¹ ولها تعريفات عديدة منها على سبيل المثال ما يذكره اى ام فورستر E.M.forster اذ يقول: " الرواية كتلة هائلة عديمة الشكل إلى حد بعيد...إنها، بكل وضوح ،تلك المنطقة الأكثر رطوبة ونداوة في الأدب حيث ترويهآ آلاف الجداول، وتنحط أحيانا لتصبح مستنقعا أسنا"².

المقصود من هذا التعريف أن الرواية لا محدودة ومتصلة بعلوم كثيرة تزيد من حجمها أو تنقصها بمعنى أن لها تأثيراً عليها .

أما مؤلفو ما يطلق عليه اسم "مسارد التعابير الادبية" المعقدة مثل ام جي ابرامز M.J.Ibrahms فيقول: " يطلق تعبير الرواية الآن على أنماط شديدة التنوع من الكتابة بحيث لا يجمع بينها في الحقيقة الا كونها أعمالا نثرية مطولة والرواية هي عمل أدبي ذو طول معين فيه خط من نوع معين "³.

يلاحظ على التعريف السابق أنه عام بحيث عرّف الرواية: بأنها عمل نثري مطول دون أن يحدد سماتها أو صفاتها .

وقد عبّر ميخائيل باختين عن هذه الظاهرة تعبيراً جيداً؛ حيث يصف الرواية بأنها لا تخضع لأي قانون ، ويضيف " إنها المرونة ذاتها"⁴.

أما هذا التعريف فيصف الرواية بأنها مطلقة أي غير خاضعة لقوانين وهذا مبالغ فيه فما من نوع أدبي إلا وله قوانين تحكمه وتضبطه؛ لتكون له منهجا ودليلا يقتفي أثره ككتاب هذا النوع .

"الرواية هي الطريقة التي يخاطب بها المجتمع نفسه هذا ما يقوله فيليب سولرز Philip Sollers "⁵.

وهذا ما أكدّه عبد الرحيم الكردي حين عرفها بأنها: شكل فني يعتمد على الرؤية الواقعية للحياة⁶.

¹ - ينظر محمد صائل حمدان، قضايا النقد الحديث، الطبعة الأولى، سنة النشر 1991، دار الأمل - الأردن، ص79 .
² - روجر آلن، الرواية العربية، ترجمة: حصة المنيف، لا توجد طبعة، سنة النشر 1997 - المجلس الأعلى للثقافة، ص18 .
³ - روجر آلن، الرواية العربية، ترجمة: حصة المنيف، ص18 .
⁴ - روجر آلن، الرواية العربية، ترجمة: حصة المنيف، ص19 .
⁵ - روجر آلن، الرواية العربية، ترجمة: حصة المنيف، ص85 .
⁶ - ينظر عبد الرحيم الكردي، السرد ومناهج النقد الأدبي، لا توجد طبعة، سنة النشر 2004، مكتبة الآداب - القاهرة، ص133 .

أما أحمد أمين فقد عرفها: بأنها مدينة بوجودها، ومع أنها تتصف بالمرونة والحرية، ولكن يمكن وضع بعض القوانين لضبطها¹.

هذا وعرفها مجدي وهبه وكامل المهندس : بأنها سرد نشري خيالي طويل عادة، تجتمع فيه عدة عناصر في وقت واحد مع اختلافها في الأهمية باختلاف نوع الرواية وهذه العناصر هي : الحدث ، التحليل النفسي ، تصوير المجتمع ، تصوير العالم الخارجي ، الأفكار ، العنصر الشعري².

أما ثابت ملكاوي فيرى أنه: "من الصعب الوقوف على تعريف واحد للرواية، كجنس أدبي مستقل وثبت جذوره في الأدب بشكل عميق حتى الآن. وتبعاً لتشعب النظرة الذاتية والفلسفية لمؤرخي الأدب ومنظريه وكتابه، اختلفت النظرة لمفهوم الرواية ، وتعريفها مثلما اختلفت النظرة إلى الشعر، وصار من الصعب الالتقاء حول تعريف محدد له.

فمثلاً، وليس على سبيل الحصر، عرّفها الكاتب الانجليزي هنري جيمس بأنها " انطباع شخصي عن الحياة، وهذا الانطباع هو الذي يشكّل قيمتها بالدرجة الأولى، وتتفاوت هذه القيمة على قدر كثافة انطباعات المبدع " .

في حين قال " البيريس " إن التعريف الوجيز للرواية - في أوسع المعاني غموضاً منذ منشئها حتى أيامنا أن تكون (حكاية) وأن تحتوي على أشخاص وعمل. وعرّفها الشاعر الفيلسوف الألماني غوته "الرواية ملحمة ذاتية يتخذ فيها المؤلف حرية تصوير العالم على طريقته، وكل ما في الأمر أن نعرف هل له طريقة خاصة به، أما ما يبقى فيمضي دائماً من تلقاء نفسه".

وقال عنها الكاتب الروائي أميل زولا : "إن الرواية هي أي شيء تشاؤه كما وصفها الناقد الأدبي المشهور جورج لوكاتش بأنها ملحمة الزمن الجديد الشعبية"³.

¹ - ينظر أحمد أمين، النقد الأدبي، الطبعة الرابعة، سنة النشر 1967، دار الكتاب العربي - لبنان، ص 132 - 133.

² - ينظر مجدي وهبه وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، لا توجد طبعة، سنة النشر 1989، لبنان - بيروت ص 103.

³ - ثابت ملكاوي، الرواية والقصة القصيرة في الإمارات، لا توجد طبعة، لا توجد سنة نشر، إصدارات المجتمع الثقافي، ص 29.

"ويصفها يفغيني سيدوروف ،بأنها الجنس الأدبي الوحيد الذي يشبه في كل شيء الحياة التي تتشكل...وأنه لايمكن لذلك أن يكون هناك حتى قانون للجنس الأدبي الروائي"¹.

أما عبد الفتاح عثمان فقد عرفها:بأنها من أكثر الأجناس الأدبية صلة بالواقع،لأنها ترصد التغيير الاجتماعي،وتعبر عن الاتجاه السياسي،وتكشف عن الصراع المحتدم بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها².

من التعريفات السابقة نستطيع القول بأن الرواية: هي الفضاء اللامحدود الذي ينتجه كل روائي في روايته على اختلاف المدارس الأدبية التي ينتمون إليها وفلسفاتها ونظراتها الذاتية واللا محدودة فهي بلا شك المرأة التي تعكس المجتمع وتطوراته المختلفة.

الرواية العربية:

¹ - ثابت ملاوي،الرواية والقصة القصيرة في الإمارات،ص30.

² - ينظر عبد الفتاح عثمان،دراسات في النقد الحديث،الطبعة الأولى،سنة النشر 1991،مصر،ص129.

يقول روجر آلن بأنها نمط أدبي مستورد للعالم العربي¹. ويعبر شارلز فيال Charlesvial بصورة جلية لا لبس فيها: " لا تدين القصة العربية المعاصرة بأي صورة من الصور لتقاليد الأدب العربي، اذ لا علاقة لها بالأدب الشعبي الفلكلوري في" ألف ليلة وليلة"، ولا لحكايات الفروسية أو الأنماط السردية، التي تندرج تحت اسم الأدب².

مما سبق نفهم أن الرواية العربية ليست امتدادا للقصص الشعبي، بل نوع جديد قُرب إلى أدبنا من الغرب وهذا ما أكدّه الروائي عبد الرحمن منيف في قوله: " إن الرواية العربية بلا تراث"³.

وكي يتسنى لنا معرفة ما قيل حول الرواية العربية وتطورها، لابدّ من تتبع تطورها والعوامل التي ساعدت في ذلك في كل قطر عربي ومعرفة هل للرواية العربية الحديثة جذور غربية أم لا ؟.

بتتبعنا لتطور الرواية العربية في كل من سوريا ولبنان؛ نجد سلسلة كاملة من العائلات منها : البستاني واليازجي والشدياق والنقاش وغيرها، قد ساهمت في حركة الانبعاث القومي؛ وذلك عن طريق تنبيه العرب إلى الغنى الذي تتمتع به لغتهم وأدبهم. ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى نصيف اليازجي(1800/1871) الذي قام بإعادة دراسة الأعمال الأدبية العظيمة المكتوبة في الماضي إذ قام بكتابة مجموعة مقامات اطلق عليها اسم(مجمع البحرين)، كما قام بطرس البستاني(1819/1883) بكتابة معجم(محيط المحيط)⁴.

وفي مسار تطور الفن القصصي يجدر بنا أن نذكر فرنسيس مراش (1826/

1873) وسليم البستاني (1848/1884). فمن آثار الأول كتاب (غابة الحق) 1865 ويعد حكاية رمزية عن الحرية والعدالة والتقدم⁵.

¹ - ينظر مقال بعنوان:نشأة الرواية العربية بين النقد والأيدولوجية، بقلم:بطرس حلاق،مجلة الفكر العربي،العدد14،مارس،سنة النشر 1980،ص125.

² - ينظر روجر آلن،الرواية العربية،ترجمة:حصّة المنيف،ص25.

³ - روجر آلن،الرواية العربية،ترجمة:حصّة المنيف،ص26.

⁴ - ينظر روجر آلن،الرواية العربية،ترجمة:حصّة المنيف،ص35 - 36.

⁵ - ينظر مقال بعنوان:زمن الرواية، بقلم:شحات محمد عبد المجيد،مجلة العربي،العدد 508، مارس،سنة النشر 2001،ص184.

أما الثاني فقام بكتابة سلسلة من القصص التاريخية كان لها الأثر في اجتذاب القراء نحو تاريخهم الإسلامي ، ومن كتاباته رواية (الهيام في بلاد الشام) مثلا 1870¹.

ونجدد الإشارة إلى أن نسبة كبيرة من الأعمال التي أشرنا إليها سالفاً ؛ والتي كتبها سوريون ولبنانيون كتبت وطبعت خارج بلادهم. والسبب الأساسي لذلك هو قيام حرب أهلية لفترة زمنية مطولة، بدأت في الخمسينيات من القرن التاسع عشر. هذه الظروف كان لها انعكاس سلبي على تطور الرواية على حركة الانبعاث الثقافي إذ إن الهجرة وسيطرة الحكومة العثمانية، ورقابتها الشديدة على المؤلفات حدثت من حركة التأليف والنشر².

هذا ما يؤكد محمد كرد إذ يقول: " وكان أشد ما يؤلمني الرقابة الشديدة المفروضة والعراقيل التي كانت توضع أمام السماح بنشر أي شيء. ولم يكن هناك ما يتحكم بالرقابة إلا مزاج الرقيب.. ولكم عانيت من حذف الناشر لمقاطع كاملة من مقالاتي، أو المقال برمته في بعض الأحيان "³.

كما هو معروف إن دولة العراق تقع إلى الشرق من سورية وتفصل بينهما صحراء بادية الشام التي أدت إلى سيادة الأنماط الأدبية التقليدية أما تطور الفن القصصي فقد تأخر في العراق مقارنة بالأقطار العربية الأخر. وهذا ما يؤكد يوسف عز الدين بقوله: "كان تطور فن القصة في العراق من ظواهر القرن العشرين"⁴

ويقول محمد صالح وكان أول قصاص عراقي حاول أن يجاري القصص التركية هو سليمان الفيضي.

¹ - ينظر عبدالرحمن عبد الحميد، النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، لا توجد طبعة، لا توجد سنة نشر، دار الكتاب الحديث، ص221.

² - ينظر روجر آلن، الرواية العربية، ترجمة: حصّة المنيف، ص38.

³ - روجر آلن، الرواية العربية، ترجمة: حصّة المنيف، ص38.

⁴ - روجر آلن، الرواية العربية، ترجمة: حصّة المنيف، ص39.

أما الرواية في فلسطين، فقد نشأت في ظروف مشابهة للرواية في مصر ولبنان بفضل الترجمة ، حين قام (خليل بيدس) الذي يُعد مؤسس الرواية المعاصرة، بعد اطلاعه على الأدب الروسي وترجمته لأهم الروايات منها: (ابنة القبطان) وبذلك فتح باباً واسعاً للترجمة، مما صنع أرضاً صلبة تقف عليها الرواية الحديثة في فلسطين، ومن أبرز هؤلاء رشيد الدجاني على سبيل المثال وغيره¹. وكانت أول رواية أصدرت هي (الوارث) لخليل بيدس، ثم توالى المحاولات الروائية ولكن ببطء، وكانت القضية الفلسطينية نقطة ربط بين تنوع الروايات التي أُلِّفت². أما أقطار الجزيرة العربية فقد ظلت مستودعاً للأنماط التقليدية ، فيما يتعلق بالتقاليد الثقافية العربية ، واكتشاف النفط في العراق وفي أقطار الجزيرة العربية أدى لتطور الحياة المعيشية فيها ، فمن التأخر والانغلاق على الأنماط التقليدية إلى التطور والاتساع في المجالات المختلفة ، إذ بدأت الصحف والمجلات والإذاعات المرئية تأخذ مكانتها في المجتمع، وأدى ذلك إلى بروز سلسلة من أحدث التقاليد الآخذة بالتطور وفي مجال الرواية، ظهرت خماسية عبد الرحمن منيف، التي تُعد من الأعمال الرائدة في هذا المضمار وذخيرة أدبية كبيرة، كما ظهر روائيون آخرون خاضوا هذه التجربة للمرة الأولى منهم: عبد الله الجفري وعبد العزيز الصقبي وآخرون³. كما ظهرت " رواية (دائماً يحدث في الليل) سنة 1979 لمحمد عيَّاش يمكن تسجيلها كأول رواية فنية في دولة الإمارات"⁴.

هذا وتُعد مصر رائدة لهذا الفن الجديد في الوطن العربي إذ انطلقت الشرارة منها إلى بقية البلدان العربية عن طريق الترجمة والتأليف الروائي.

¹ - ينظر مقال بعنوان: الرواية في الأدب الفلسطيني، بقلم: أحمد أبو مطر، مجلة الفكر العربي، العدد 26، الجزء الثاني، مارس 72، 79، السنة الرابعة، ص 338-339.

² - ينظر إبراهيم الفيومي، قراءات نقدية في الرواية العربية، الطبعة الأولى، سنة النشر 2001، كلية الآداب - جامعة اليرموك، ص 230-231.

³ - ينظر سيد محمد ديب، فن الرواية في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور، الطبعة الثانية، سنة النشر 1995، مكتبة الأزهر، ص 368.

⁴ - ثابت ملكاوي، الرواية والقصة القصيرة في الإمارات، ص 35.

وهذا ما يؤكد عمر طالب بقوله: "كان للترجمات العربية في مصر ولبنان أثر كبير في توجيه القصصيين الناشئين في العراق الذين تعرفوا على آثار القصصيين أمثال تولستوي وديماس عن طريق الترجمة"¹.

كما يذكر ذلك شاكر مصطفى: "كانت الحركة القصصية المنطلقة في مصر ولبنان ذات تأثير كبير وتعبير رافد من الروافد الهامة التي دفعت إلى الاهتمام بالفن القصصي في سوريا بعامة والرواية بخاصة"².

مما سبق ذكره نستنتج بأن مصر استوعبت هذا الفن من الروايات الأوروبية وأصبحت منارة لها في الوطن العربي، الذي تأثر بما وصلت إليه في هذا المضمار وقد مرّ تطور هذا الفن بفترات ففي الفترة الأولى 1939 ، وهذه الفترة شهدت مرحلة المغامرة الفردية منها محاولات رفاعة الطهطاوي وآخرين، ممن حاولوا تعليم القراء ونقل بعض صور الحضارة الغربية إلى القارئ العربي في مصر رغم أنهم يجهلون التقاليد الفنية للرواية كما يراها النقاد، كما قلّد أسلوب المقامة العربية (محمد المويلحي) 1868-1930³ في عمل مطوّل باسم (حديث عيسى بن هشام)⁴ حيث جمع فيها ما تأثر به من الثقافة الفرنسية، وفي هذا المضمار يجب أن لا ينسى فضل الصحافة في تطور فن الرواية.

تتالت الأعمال ساذجة وبسيطة الى أن وصلت إلى قصة (زينب) لهيكل 1912، وهي بمثابة مغامرة فردية⁵.

لم تتوقف عندها الرواية المصرية بل زادت في تطورها وتتالت الإصدارات في مجال الرواية (كسارة) للعقاد التي وصفت بافتقار الوحدة الفنية¹ سنة 1938 ورواية (إبراهيم الثاني) لإبراهيم المازني سنة 1943 .

¹ - سيد حامد النساخ، الرواية العربية الحديثة، الطبعة الأولى، سنة النشر 1980، دار المعارف - القاهرة، ص 16.

² - شاكر مصطفى، القصة في سورية، لا توجد طبعة، سنة النشر 1957، ص 63.

³ - مقال بعنوان: زمن الرواية، بقلم شحات محمد عبد المجيد، ص 185.

⁴ - محمد صايل حمدان، قضايا النقد الحديث، ص 68.

⁵ - ينظر سيد حامد النساخ، الرواية العربية الحديثة، ص 19 - 33 .

أما بعد ثورة 1952 ، فقد اتجهت الرواية نحو التاريخ الوطني بمعنى الرواية التاريخية، أصبحت فارسة الميدان ومن كتّابها علي الجارم وآخرون كان هذا النمط واقعياً، وإن كان البعض الآخر خيالياً رومنسياً مثل روايات يوسف السباعي. نلاحظ ان هذه الثورة أتاحت لكتّاب الرواية التاريخية الانطلاق ذلك لأنها ثورة عاشها المجتمع المصري ،مما أدى لأن تكون بعض الروايات انعكاساً لما عاناه المجتمع من حروب وحرمان وبالذات بعد نكسة 5 يونيو 1967 ومثلها رواية (العطش)²1972.

مما سبق نستنتج أن الرواية المصرية واكبت فترات متناقضة تارة و مستقرة تارة أخرى ، ولكن هذا جعل الكتّاب يجتهدون لإثبات الرواية المصرية كفن أدبي ذي قيمة عالية.

أما السودان فإن الرواية فيه تتمثل فيما كتبه (الطيب صالح) باسم (موسم الهجرة إلى الشمال) 1965³، علماً بأن الرواية السودانية عرفت طريقها بعد الحرب العالمية الثانية حين كتب عثمان محمد هاشم روايته (تاجوج)، ولكنها كانت تتسم بنبرة الحماس والخطابية، ومما أثرى الرواية السودانية هو انتشار الطباعة وعودة المبعوثين من انجلترا ،مما زاد النهضة الفكرية ،أما الاتجاهان السائدان فكانا الرومانسي والواقعي، وتنوعت الروايات كالاقتصادية والسياسية والرومانسية والواقعية وغيرها، والحقيقة فقد ظهر العديد من الروائيين السودانيين الذين يتميزون بأسلوب سلس⁴.

أما المغرب العربي وهو الذي يمتد من غرب مصر إلى المغرب الأقصى فمنذ مطلع القرن العشرين نجد الأدباء المغاربة يريدون مجازاة التطور والمواكبة⁵. وقد ظهرت في المغرب الأقصى (مراكش) قصص عديدة ما بين سنة 1905/ 1939 لعلها لم تصل إلى المستوى الفني المطلوب ،ولكنها تُعد محاولات تذكر إذا هي قيست بتاريخ ظهور الأشكال المسمى فنية من هذا الفن في أوروبا¹.

¹ - محسن جاسم الموسوي، الرواية العربية النشأة والتحول، الجزء الأول، لا توجد طبعة، لا توجد سنة نشر، دار الآداب - بيروت، ص 93 - 104 .

² - ينظر سيد حامد النساج، الرواية العربية الحديثة، ص 17 - 33 .

³ - ينظر عبد الرحمن عبد الحميد، النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، ص 222.

⁴ - ينظر سيد حامد النساج، الرواية العربية الحديثة، ص 232 - 252.

⁵ - ينظر محمد صالح الجابري، القصة التونسية نشأتها وروادها، لا توجد طبعة، سنة النشر 1975، تونس، ص 13.

هذا ويعد (محمد المقرري) أول من ألف بهذا الصدد؛ ثم تتالت المحاولات القصصية ففي سنة 1923 كانت رواية (اليتيم المهلهل) وبعدها رواية (انتصار الحق بالباطل) في سنة 1933 للأديب (عبد الخالق الطريس).

أما في الجزائر، ففي سنة 1935 تطور المقال القصصي إلى ما أطلق عليه عبدالله الركيبي (مفهوم القصة)، فقد قدم رشيد في مجلة الشهاب قصصا لها أبعاد وطنية ثورية وكانت تعرض المشاكل في المجتمع الجزائري وتناقشها، ومنها قصة (السعادة البتراء) وغيرها².

أما القصة في تونس فقد تسنى لها الظهور في سنة 1906 في مجلة (خير الدين) للمؤلف محمد الجعابيبي.

وكانت القصة تحت اسم (الهيفاء وسراج الليل) للمؤلف صالح القيرواني³. أما القصة الليبية، فقد بدأت محاولاتها مع بداية الاستقلال وهي ما بين سنة 1950/1954، إذ ظهر كتاب لا تنقصهم ملكة التعبير⁴، فضلاً عن إتقانهم للغة الأجنبية وبالطبع لم تكن كتاباتهم ناضجة منذ البداية، ولكنها تبشر بتطور هذا الفن الحديث⁵. ومما ذكر فإننا نكتشف أن الموضوعات التي تناولها الكتاب المغاربة في محاولاتهم الأولى تكاد تكون واحدة، كما نستنبط أن الترجمة والصحافة، لم

يقتصرا على قطر دون آخر، بل أنهما أداتا تطور هذا الفن سواء في المشرق أو المغرب العربي.

وبعد هذا التتبع الجغرافي والتاريخي على حد سواء لتطور الرواية في الوطن العربي، فإننا نستطيع الآن الإجابة عن التساؤل السابق وهو هل للرواية العربية جذور غربية أم لا؟.

¹ - الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دراسة بنيوية تكوينية، الطبعة الأولى، سنة النشر 1985، دار الثقافة - الدار البيضاء.

² - ينظر محمد صالح الجابري، في القصة التونسية نشأتها وروادها، ص 14 - 15.

³ - ينظر محمد صالح الجابري، في القصة التونسية نشأتها وروادها، ص 16.

⁴ - ينظر محمد صالح الجابري، في القصة التونسية نشأتها وروادها، ص 15.

⁵ - ينظر مقال بعنوان: بدايات القصة الليبية القصيرة، بقلم: أحمد إبراهيم الفقيه، مجلة الفصول الأربعة، العدد 81، سنة النشر 1996، ص 66.

ف نجد بأن روايات الفلكلور الشعبي مثل: (ألف ليلة وليلة)، تكون خاصة بكل قطر عن الآخر؛ أما الروايات الدخيلة الأجنبية فإنها لا تمتد لها و تختلف عنها في عدة جوانب منها اللغة و التعبير و الإحساس وغير ذلك.

ومن المعروف لدينا أن الرواية وموضوعاتها تختلف وتتعدد فكل رواية لها غرض ألفت من أجله كالغرض النفسي، والاجتماعي والتاريخي، وهذا ما نحن بصدد دراسته في الصفحات القادمة.

الرواية التاريخية العربية:

إن موضوعات الرواية تتعدد، كما تتعدد الأغراض، إذ لا يستطيع الروائي أن يتفرد بغرض نفسي، دون التصور الاجتماعي، فالروائي ملزم بجميع هذه الأغراض النفسية والاجتماعية.

بمعنى أن هذا هو الأساس الذي يضعه الروائي لنفسه ولأعماله الروائية فالغرض التاريخي مثلاً يسعى فيه الروائي لحياء عصر بناسه ومعالمه وأحداثه¹. أي أن الرواية التاريخية تعتمد في إطارها العام على تاريخ العرب والإسلام². وهي الأحداث الرئيسية مع خلق شخصيات خيالية حسب ما يراها الكاتب³. هذا وارتبطت الرواية التاريخية بمفاهيم النهضة العربية الحديثة، لكن هذا لا يعني بأن العرب لم يتغنوا بأمجادهم، بل كتبوها على شكل نوادر ووقائع تتناول الأحداث التاريخية والقيم، ولكن هذه الكتابات لا تعد منذ الخطوات الفنية الأولى التي صاغها سليم البستاني والتي أبرزها قصة (زنوبيا) سنة 1872.

هنا نجد شوقي ضيف حين يتحدث عن قصة (زنوبيا) يذكر مؤلفها محمد أبو حديد كما نجد سالم المعوش حين يتحدث عن الرواية التاريخية يذكر رواية (زنوبيا) لمحمد أبو حديد⁴.

هذا يدل على الوقوع في خلط بين القصة والرواية، لعل يكون ذلك نتيجة لعدم الاتصال، وهذا الاحتمال لن يكون الصواب، ذلك لأن مصر على صلة مع الدول العربية فكيف يكون الانقطاع المعرفي بينهما، لعل هذا الخلط كان نتيجة لعدم ترسخ مفهومهما. وكتب جورج زيدان الروايات التاريخية، حتى أصبح مؤسس هذا

الفن⁵، والممثل الرئيسي له⁶ هذا وقد حاول التوفيق بين متطلبات البيئة وبين تأثره بالشكل الروائي الغربي.

" اذ هذا حذو ألكسندر دumas ALEXANDRE DUMAS الأب الذي توفي 1870 ف بعد أن أعطى الرواية طابعاً شعبياً في الأدب الفرنسي... متأثراً بوالتر

¹ - ينظر ميشال عاصي، الفن والأدب، الطبعة الثالثة، سنة النشر 1980، بيروت - لبنان، ص 63-65.
² - ينظر أنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، الطبعة الرابعة، سنة النشر 1984، دار العلم للملايين، ص 515.
³ - ينظر مجدي وهبه وكامل المهندس، معجم المصطلحات، ص 103.
⁴ - ينظر سالم المعوش، في الأدب العربي الحديث، الطبعة الأولى، سنة النشر 1993، الجامعة المفتوحة - طرابلس، ص 300-303.
⁵ - ينظر عبد الرحمن عبد الحميد، النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، ص 221-223.
⁶ - أكتاتي كراتشكوفسكي، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث ودراسات أخرى، ترجمة: عبد الرحيم العطاري، لا توجد طبعة، لا توجد سنة نشر، ص 33.

سكوت WALTER SCOTT الانكليزي المتوفي في 1832 ف¹ الذي ألف الرواية التاريخية في أحسن أشكالها².

يقول جرجي زيدان: في مقدمة روايته (الحجاج بن يوسف) في تصويره لمهمة الرواية التاريخية: "وقد رأينا بالاختيار أن نشر التاريخ على أسلوب الرواية أفضل وسيلة لترغيب الناس في مطالعته والاستزادة منه، وخصوصا لأننا نتوخى جهدا في أن يكون التاريخ حاكما على الرواية لا هي عليه كما فعل بعض كتبة الافرنج، ومنهم من جعل غرضه الأول تأليف الرواية وإنما جاء بالحقائق التاريخية لإلباس الرواية ثوب الحقيقة. فجره ذلك التساهل في سرد الحوادث - التاريخية بما يضل القراء. وأما نحن فالعمدة في روايتنا على التاريخ، وإنما نأتي بحوادث الرواية تشويقا للمطالعين فنبقى الحوادث التاريخية على حالها وندمج في خلالها قصة غرامية تشوق المطالع إلى استتمام قراءتها، فيصبح الاعتماد على ما يجيء في هذه الروايات من حوادث التاريخ مثل الاعتماد على أي كتاب من كتب التاريخ من حيث الزمان والمكان والأشخاص إلا ما تقتضيه من التوسع في الوصف مما لا تأثير له على الحقيقة بل هو يزيدها بيانا ووضوحا بما يتخلله من وصف العادات والأخلاق"³. مما سبق نلاحظ أن جرجي زيدان قد جعل من الفن الأدبي خادماً للتاريخ.

لعل اللجوء إلى التاريخ لم يكن بدافع حب القديم فحسب، بل محاولة لايقاظ إحساس القراء بالانتماء للوطن وتوفير عناصر الإلهام والقدرة لهم مما يسهم في سعيهم للوصول إلى تحديد هويتهم القومية بتذكيرهم بأمجادهم الماضية⁴ هذا وتوالت كتابة الروايات التاريخية في العصر الحديث نظرا لدورها في تغذية الروح القومية.. فتلونت هذه القصص باللون السياسي والاجتماعي والوطني وقدم نجيب محفوظ وعلي أحمد باكثير وتوفيق الحكيم وروائيو المغرب كإسماعيل صدقي وغيرهم... نماذج مختلفة للرواية التاريخية فعادوا إلى التاريخ يستقون منه

¹ - سالم المعوش، في الأدب العربي الحديث، ص 300 .

² - محسن جاسم الموسوي، الرواية العربية النشأة والتحول، ص 294.

³ - قاسم عبده - أحمد الهواري، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، لا توجد طبعة، سنة النشر 1979 - دار المعارف، ص 35.

⁴ - ينظر مختار الهادي الأدهم، المصطلح في نقد الرواية العربية، دراسة في إشكالية المصطلح، رسالة ماجستير (مخطوطة) سنة 1996 طرابلس - جامعة الفاتح، ص 31.

موضوعات لأعمالهم، وأبرز السمات التي تميز هذه الروايات التاريخية حماسها واعتزازها بأبطال العرب لتقف في وجه الغرب الاستعماري من أجل الإستقلال الوطني¹ وتثبت جدارة العرب ورقيتهم². وقد أسهم في الرواية التاريخية علي الجارم ، حيث أصدر (مرح الوليد) 1934 التي يتحدث فيها عن حياة (الوليد بن عبد الملك) الخليفة والشاعر الأموي، ثم (شاعر ملك) التي تحكى حياة المعتمد بن عباد الأندلسي. وقد شارك في هذه المرحلة (عبد الحميد جودة السحار) برواية (أحمس) 1943³، و(طه حسين) وروايته (أحلام شهرزاد) 1943 و(أحمد علي باكثير) بروايته (سلامة القس) 1944⁴.

الرواية التاريخية في ليبيا:

الرواية التاريخية تنتقل بين أزمان وأماكن، وتسجل الواقع والأحداث، لذا فإن الإطار الزمني والمكاني هما الأساسان في هذا النوع من الروايات ، وإن اختلفت الأزمنة من رواية إلى أخرى، فبعض الروايات تسجل الوقائع عقب حدوثها مباشرة، والبعض الآخر تروي الوقائع بعد زمن طويل من حدوثها . وموضوع الرواية التاريخية قد يكون تاريخاً ماضياً للقارىء، وفي نفس الوقت معاصراً للكاتب ، وقد يكون مستقبلياً للكاتب وفي الوقت ذاته يكون حاضراً أو

¹ - سيد محمد ديب، فن الرواية في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور، ص144.

² - ينظر سالم المعوش، في الأدب العربي الحديث، ص303.

³ - عيد الرحيم الكردي، السرد ومناهج النقد الأدبي، ص134.

⁴ - ينظر طه وادي، مدخل إلى تاريخ الرواية المصرية، الطبعة الثانية، سنة النشر 1997، مصر، ص65 - 66.

معاصراً معيشاً للقارىء، ثم يصبح تاريخياً مع الزمن فيغيب في الماضي، وبعض الروايات تكون عبارة عن مزيج من أنواع متعددة على المستويين التاريخي والمعاصر، أو المعاصر والمستقبلي، أو تدرج في أزمنتها عبر مراحل مختلفة تحتوي أجيالاً متعاقبة، وبعضها يعالج تاريخاً معاصراً عن طريق إسقاط مادة تاريخية مشابهة في أحداثها وشخصياتها ومواقفها.

"والرواية التي تنتقل لنا تاريخ مجتمع معين، إنما تنتقل معه تفاصيل ودقائق الأمور في ذلك المجتمع، حتى وإن كان النقل ليس حرفياً، بل مُطعماً بخيال الكاتب الذي يعايش ظروف شخصياته التي يرسمها، ويحدد معالمها، وذلك في معظم الأحيان عن طريق الذاكرة التي تكتظ بصور وحكايات قام جهاز اللاوعي بتخزينها في مستودع ما مرَّ به من تجارب قد تكون واقعية عاشت مع واقع الكاتب، أو تكون واقعية سمع بها من أسلافه، أو قرأ عنها بين صفحات الكتب، وفي بعض الأحيان الأخرى يكون خياله قد نسج قصصاً وأبطالاً وشخصيات، وحاك لها تجارب حيوية متنامية تحمل في طياتها خبرات وظروفاً، وكلفها بمهام ووظائف قد تؤثر تأثيراً إيجابياً أو سلبياً على سير الحياة داخل الرواية".¹

"أما ما يتعلق بالرواية التاريخية في ليبيا فهي مرتبطة ارتباطاً مباشراً بهذه البقعة من الأرض وما مرَّ بها من أحداث وتطورات عبر الزمن"².

ومثال ذلك رباعية الخسوف 1989 التي حاول مؤلفها (ابراهيم الكوني) أن يؤرِّخ للأدب الطارقي جاعلاً بواكيره الناضجة تمتد إلى ما يقرب من خمسة آلاف سنة مقرونة أيضاً بأساطير نسجت حول آلهة ولكنها ليست وثنية فيما يسميه الكوني بالآلهة تانس، ولعله في ذلك يريد أن يؤرخ أيضاً للغة الطارقية³.

¹ - ينظر مقال بعنوان: تأصيل الحدث التاريخي في الرواية الليبية لافيه لعلي عبد المطلب الهوني نموذجاً، بقلم: فريدة المصري، مجلة كلية الآداب، جامعة الفاتح، العدد 9، سنة النشر 2009، ص 207.

² - ينظر مقال بعنوان: تأصيل الحدث التاريخي في الرواية الليبية لافيه نموذجاً، بقلم: فريدة المصري، مجلة الآداب، ص 205.

³ - ينظر علي الهوني، أضواء نقدية على رباعية الكوني، الطبعة الأولى، سنة النشر 2001، دار البيان، ص 101.

هذا وقد ألف أحمد إبراهيم الفقيه روايته (خرائط الروح) 2007 ، على أساس تاريخي حيث أنه قد أضاء من خلالها تاريخ الصراعات الدولية التي قامت على الأراضي الليبية عقب الحرب العالمية الثانية¹.

كما ألف علي الهوني روايته (لافية) 2007، التي قامت بدراسة فريدة المصري من حيث تأصيل الحدث التاريخي في الرواية الليبية ،وما ينطوي عليه من أبعاد مختلفة الجوانب حيث شملت الجانب الاجتماعي ، الجانب الاقتصادي والجانب الفكري، تلك الجوانب التي تنسبك لتشكّل عدة أحداث تاريخية انبثقت مما كان يدور إبان العهد الملكي في عدة مدن ليبية، فقد كانت الأحداث تدور بين طرابلس ومدن الجنوب الليبي وخاصة سبها ، كما اهتمت هذه الرواية بتوضيح حياة اليهود الليبيين². هذا وقد لاحظنا بأن إبراهيم الكوني من أكثر الروائيين ريادة لهذا النوع من الروايات، ما يجعلنا نقوم بدراسة لبعض رواياته التي وظف بها أحداثاً تاريخية بتجليات أدبية مختلفة.

التعريف بالروائي إبراهيم الكوني:

وُلد إبراهيم الكوني بلكاني بتاريخ 1948/8/7 ف، بالحمادة الحمراء و درس الابتدائية والاعدادية والثانوية بجنوب ليبيا(فزان)³. هذا وقد نشر الكوني نتاجه الأدبي بالعديد من الصحف والمجلات المحلية والعربية والعالمية من بينها على سبيل المثال :فزان، الحرية، الأسبوع السياسي والصداقة (باللغة البولونية).

وعمل إبراهيم الكوني بوزارة الشؤون الاجتماعية بسبها، ثم بوزارة الإعلام بوكالة

¹ - ينظر نبذة تاريخية عن رواية خرائط الروح ،أحمد سعيد - شبكة المعلومات الدولية: WWW.maakom.com.

² - ينظر مقال بعنوان: تأصيل الحدث التاريخي في الرواية الليبية رواية لافية نموذجاً، بقلم فريدة المصري، مجلة الآداب، ص205 - 214.

³ - ينظر فيصل عبد الله حيدر، الصياغة اللغوية والتصوير الفني في نص الدنيا أيام ثلاثة لإبراهيم الكوني، رسالة ماجستير (مخطوطة) جامعة قاريونس - بنغازي، سنة 2005 ،ص6.

الأنباء الليبية بموسكو 1975 ف ،وبعد سبع سنوات من الدراسة في موسكو أنهى دراسة الماجستير في العلوم الأدبية بمعهد غوركي للأدب العالمي عام 1977 ف،ثم مندوب جمعية الصداقة الليبية البولونية بوارسو 1978 ف،وعمل مستشارا بالسفارة الليبية بوارسو 1978 ف،وترأس تحرير مجلة الصداقة البولونية 1981 ومستشارا ثقافيا بالسفارة الليبية بموسكو 1987 ف،ومستشارا إعلاميا بالمكتب الشعبي بسويسرا 1992 ف¹.

وحضر الكوني العديد من الملتقيات ،والندوات،والمهرجانات الأدبية من بينها على سبيل المثال:ندوة الحوار العربي بالنمسا 1962 ف،وندوة حول رواية السحرة بدولة الإمارات العربية 1995 ف،وندوة الصحراء حضور في الطبيعة وحضور في الروح بجامعة سبها بليبيا في 26 الحرت 2005 ف².

كما قدم الكوني للإذاعة العديد من البرامج المسموعة من بينها (خدعوك فقالوا) 1969 ف ،وبرنامج(الثقافة للجماهير) 1969 ف³وقد أجريت معه عدة لقاءات أدبية نشرت في العديد من الصحف والمجلات العربية والعالمية والمحطات الفضائية

ومواقع شبكة الانترنت من بينها مطبوعات : الأسبوع الثقافي العربية ،والشرق وقناة :العربية الفضائية ،وموقع عرب أون لاين ،وموقع :المنارة والإعلام. كما تناولت أعماله عدة صحف، ومجلات محلية ،وعربية، وعالمية من بينها على سبيل المثال لا الحصر: الفصول الأربعة ، الثقافة العربية،الحياة اللندنية وغيرها⁴. "ومن الدراسات الأكاديمية التي تناولت أعماله بالنقد والدراسة على سبيل المثال لا الحصر:

1 - الرواية في أدب إبراهيم الكوني/ خالد جهينة رسالة ماجستير معهد

الدراسات العربية القاهرة - مصر- 1997 ف.

2 - المنظور السردى في رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني/ أحمد النواوي بن

¹ - ينظر عبد الله سالم مليطان،معجم القصاصيين الليبيين،الجزء الأول،الطبعة الأولى،سنة النشر 2001 ،دار المداد،طرابلس - ليبيا،ص25.

² - ينظر فيصل عبد الله حيدر،الصياغة اللغوية والتصوير الفني في نص الدنيا أيام ثلاثة لإبراهيم الكوني،ص8.

³ - دليل المؤلفين العرب الليبيين،لاتوجد طبعة،سنة النشر 1977 ،دار الكتب - طرابلس،ص10.

⁴ - ينظر فيصل عبد الله حيدر،الصياغة اللغوية والتصوير الفني في نص الدنيا أيام ثلاثة لإبراهيم الكوني،ص9.

محمد بدري إشراف: محمد المهدي الغزالي، رسالة ماجستير، جامعة
قاريونس - بنغازي - ليبيا 1999 ف.

3 - الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي: رباعية الخسوف لإبراهيم
الكوني نموذجاً، بلسم محمد إبراهيم الشيباني، إشراف: محمد مصطفى بن
الحاج، رسالة ماجستير، جامعة الفاتح - طرابلس - ليبيا 2002 ف
وغيرها كثير¹.

أما الدراسات النقدية غير الأكاديمية :
فقد ألفت كتب تتناوله من بينها ملحمة الحدود القصوى: الخيال الصحراوي في أدب
إبراهيم الكوني، كتاب/سعيد الغالمي،م الناشر، سنة النشر 2000 ف.
أما في ليبيا فيأتي أضواء نقدية على رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني ، كتاب/علي
الهوني، الناشر دار البيان، سنة النشر 2001 ف
وهو أول المؤلفات الليبية حول إبراهيم الكوني .

هذا وقد نشرت العديد من المقالات والأوراق البحثية التي قدمت من مجموعة من
الباحثين الأجانب والعرب والليبيين حول أدب إبراهيم الكوني .
تحصل إبراهيم الكوني ، على ستة جوائز دولية منها على سبيل الذكر:
- جائزة الدولة التقديرية السويسرية الأولى في عام 1995 ف ، عن رواية(نزيف
الحجر) .

- درع الصحراء للآداب بتاريخ 2005/11/26 على هامش الدورة الدولية حول أدب
الصحراء:الصحراء حضور في الطبيعة وحضور في الروح التي أقامتها جامعة سبها
بالجماهيرية.

- جائزة الشيخ زايد بتاريخ 2008/2/3 ف.

¹ - فيصل عبد الله حيدر، الصياغة اللغوية والتصوير الفني في نص الدنيا أيام ثلاثة لإبراهيم الكوني، ص9.

هذا وقد بلغ نتاجه الروائي حوالي ستين مؤلفا بين روايات ومجموعات قصصية¹ ونصوص تأملية ومنها على سبيل المثال: الصلاة خارج نطاق الأوقات الخمسة (قصص) 1974، رباعية الخسوف 1989، واو الصغرى (رواية) 1992، نزيف الروح (نصوص) 2000، نداء ما كان بعيدا (رواية) 2006.

أما البدايات الروائية التاريخية عنده فقد كانت رواية (رباعية الخسوف) 1989 ف التي قال عنها علي الهوني: يحاول الكوني أن يؤرّخ للأدب الطارقي جاعلا بواكيره الناضجة تمتد إلى ما يقرب من خمسة آلاف سنة ولعله يريد أن يؤرخ للغة الطارقية².

وبعد دراستنا لرواياته (لون اللعنة - نداء ما كان بعيدا - في مكان نسكنه في زمان يسكننا). نجد أن جلها يحمل في مضمونه زمنا تاريخيا لفضاء عاش الكوني مع شخوصه وحيواناته وجباله وسهوله وأوديته . وهنا يرد تساؤل: كيف استلهم الكوني أحداث رواياته التاريخية السابقة؟

1 - رواية (لون اللعنة):

استلهم الكوني روايته من تاريخ قبيلة أولاد محمد التي يتراءسها محمد الفاسي، والتي كان موطنها الأول الأندلس ثم طردت ودخلت إلى المغرب ، وبعد ذلك استقرت في صحراء جنوب طرابلس. كما ذكر أحفاد يوسف بن تاشفين وأصلهم ومعاملتهم لمحمد الفاسي³

2 - أما روايته الثانية الموسومة (نداء ما كان بعيدا): بحسب اعتراف الكوني شخصا فمادتها التاريخية مستمدة من الحوليات الليبية ولكنه أخضعها لخياله في صنع أحداثها وحرّك شخوصها.

3 - والرواية الثالثة (في مكان نسكنه في زمان يسكننا):

¹ - ينظر فيصل عبد الله حيدر، الصياغة اللغوية والتصوير الفني في نص الدنيا أيام ثلاثة لإبراهيم الكوني، ص 11- 12.

² - ينظر علي الهوني، أضواء نقدية على رباعية الكوني، ص 101.

³ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة (رواية)، الطبعة الأولى، سنة النشر 2005، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 11 - 239 .

فهي تكملة للرواية السابقة، اذ تتحدث عن محمد باشا القره مانلي وعهد حكمه للإيالة الطرابلسية وتعامله مع فرنسا وصاحب الأسنانة وحالته النفسية إلى موته¹ هذه الروايات التاريخية التي قام الكوني بتوظيفها في رواياته الثلاث سنحاول توضيح مدى مزج الحقيقة التاريخية والخيال الروائي فيها ضمن الفصول القادمة.

الفصل الأول

حقيقة الأسرة القره مانلية وأركان سعادتها.

- المبحث الأول:

¹ - ينظر إبراهيم الكوني، في مكان نسكره في زمان يسكننا (رواية)، الطبعة الأولى، سنة النشر 2006، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 9 - 113 .

الأسرة القره مانلية بين الحقيقة التاريخية والخيال الروائي

في الروايات الثلاث.

▪ المبحث الثاني:

مثلث السعادة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية

▪ **السلطة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.**

▪ **المال عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.**

▪ **المرأة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.**

ـ المبحث الأول:

الأسرة القره مانلية بين الحقيقة التاريخية والخيال الروائي

في الروايات الثلاث.

يقول الكوني :

أنجبت.. جنيناً خلاصياً قبيحاً أطلق عليه اسم شلم.. وأدركت بحدس الأنثى أنها لم تحتضن رجلاً في تلك الليلة، ولكنها احتضنت في تلك الليلة ملك الظلمات (أبيبي) المتنكر في جلد الأفعوان، ليزرع في رحمها ذرية !¹ فيما سبق يروي الكوني أصل شلم² ولكننا نجد ما يرويّه عنه من قبيل خياله؛ ذلك لأننا لم نجد ما يؤكد ما رواه عنه لا عن أصله فقط، بل عن أبيه الذي علمنا من الكوني أنه (أبيبي) ، ورب الشرور كلها ، وملك الظلمات المتنكر في جلد الأفعوان،

¹ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، الطبعة الأولى، سنة النشر 2005، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص45 .

² - بطل إبراهيم الكوني، في روايته (لون اللعنة)، الخيالي.

كما لم نجد كتب التاريخ التي استقى الروائي منها مادته العلمية، منها الأدب العربي في الأندلس¹ وغيرها تذكر هذا الشخص الذي أضفى الروائي عليه دوراً من البطولة ما يجعلنا نستنتج أنه من نسج خياله الروائي .

كما ذكر بطلاً آخر اسمه (محمد الفاسي) يقول الكوني عنه :
" انتسب الفاسي..إلى أهل البيت مدّعياً انحدار أصوله من سلالة فاطمة الزهراء "2 .
اتهم الكوني فيما سبق تستر بطله (الفاسي) بانتمائه لفاطمة الزهراء ،ولكن هذا الانتساب لم تذكره كتب الأنساب منها: الأنساب العربية³ وأعلام ليبيا⁴ هذا الادعاء من قبل الفاسي ،ما يجعلنا نتأكد بأن خيال الكوني هو الذي نسج هذا الانتماء .
يقول الكوني :

بعد أن طُرد الخناس على متن السفينة المحملة بالمطرودين وبعد أن قتل قبطانها .. لم يعد الخناس بها إلى الأندلس ولكنه رسا في مرافئ جزيرة مالطا، وأراد بيعها ومن على متنها ولكن الصفقة لم تتم فأقلع إلى صقلية وهناك تم بيعها ومن عليها من الأمم⁵

إن ما ورد فيما سبق عن تلك الرحلات والإبتزاز الذي صاحبها،هو من نسج خيال الروائي،ذلك لأننا لم نجد في رحلات الأندلسيين من بلادهم ما يؤكد أنهم قد بيعوا.
يقول الكوني :

"مرة بسبب رواية أخرى تناقلها تجّار الفرنجة في رحلتهم تلك تقول أن ربّ البيت الذي استضافهم بحث عن سكين لشقّ بطن البطيخ في البيت فلم يجد . وأرسل الخدم إلى بيوت الجوار، ثم إلى سكان الحيّ كله فلم يعثر على نصل يصلح لتقطيع الفاكهة ، فكيف بسلاح يصلح لمقاومة عدوّ ؟"6

¹ - ينظر عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، لا توجد طبعة، لا توجد سنة نشر، دار الأفاق - القاهرة، ص45 - 99.

² - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص87 .

³ - ينظر محمد عبد الرزاق مناع، الأنساب العربية في ليبيا، لا توجد طبعة، سنة النشر 2007، الناشر مكتبة التمر، بنغازي - ليبيا، ص529.

⁴ - الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، الطبعة الثانية، سنة النشر 1981، طرابلس - ليبيا، ص420.

⁵ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص100 - 108.

⁶ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص121 .

نلاحظ فيما سبق أن الروائي قد وظّف خرافة من الخيال ، ذلك لأن السكين من أدوات المطبخ الضرورية ، ولم تك يوماً من أدوات الحروب كما أننا إن وافقنا عن عدم وجودها في بيوت العامة ، فلا بد أن تكون في مطابخ الأغنياء ولو سكيناً واحداً ، هذا وقد وجدت صاحب التذكار¹ قد وافقني هذا الرأي .

يقول الكوني :

أولاد محمد هي قبيلة شقية أقبلت من بلاد الأندلس... يتزعمها قاطع طريق أكثر شقوة هو السفّاح الملقّب باسم محمد الفاسي.²

نلاحظ أن كتب التاريخ منها وثائق دولة أولاد محمد بفزان³، وكذلك أعلام ليبيا⁴ قد ذكرت أن قبيلة أولاد محمد تنحدر من أصل مراكشي، ولم تذكر أنها أقبلت من بلاد الأندلس لعل مؤسسها من أقبل من الأندلس هذا إن أردنا أن نوافق قول الكوني، ولكن كتب التاريخ قد أكدت لنا أن الكوني نسج بخياله نسبهم قدر استطاعته ، لعل ذلك يعود لشيء في نفسه .

يقول الكوني :

انتشروا في الصحاري فاشتد بوجودهم ساعد صاحب الخنوس اتخذ أحد الأضرحة مقاماً لحربه وخاطب زعيم آزر⁵ باقتراحه في إقامة مملكة الصحراء... ولكنه رفض⁶

فيما سبق ذكر الكوني ما قام به الفاسي حين طلب من زعيم آزر بناء دولته في الصحراء ، ورد الزعيم عنه ، في حين وجدنا ما يؤكد قيام تلك الدولة ومرزق عاصمتها⁷ ولكن لم نجد ما يؤكد طلب الفاسي للزعيم ورفضه له ، ما أكّد لنا أن ما ذكره الكوني هو من خياله الروائي.

يقول الكوني عن لسان الفاسي :

¹ - ينظر ابن غلبون ، التذكار، تعليق: الطاهر الزاوي، الطبعة الأولى، سنة النشر 2004، دار أوبا طرابلس - ليبيا ، ص 143 .
² - ينظر إبراهيم الكوني ، لون اللعنة ، ص 12 .
³ - ينظر حبيب وداعة، وثائق دولة أولاد محمد، المجلد الأول، لا توجد طبعة، لا توجد سنة نشر، ص 6
⁴ - ينظر الطاهر الزاوي، أعلام ليبيا، ص 420.
⁵ - يطلق هذا الاسم على طوارق الشمال الذين ينحدرون من لمتونة صنهاجة وينقسمون إلى: ايمنان/أوراغن/ايمنغساتن/فوقاس، ينظر محمد عبد الرزاق مناع، الانساب العربية في ليبيا، ص 558.
⁶ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 197 - 200 .
⁷ - ينظر حبيب وداعة، وثائق دولة أولاد محمد ، ص 9 .

هل تصدّقني إذا قلت لك أنني كلّما سمعت كلمة (دين) هذه يقشعر بدني؟... ألا تدري أن رب البحر هو عدوي؟¹

مما سبق نستنتج أن الكوني أراد إعلامنا بأن الفاسي لا يعتنق الإسلام، وهذا يؤكد لنا أن الكوني قد نسج بخياله هذا الخبر، ذلك لأننا قد علمنا أن المغرب بلاد إسلامية وبها قام المرابطون في القرن الحادي عشر بنشر الإسلام² في السودان الغربية والسنغال، مما أكّد إسلام أولاد محمد، وقد وافقني الرأي السابق صاحب المغرب والأندلس حين تساءل: كيف يصل الإسلام إلى السودان ولا يصل أولاد محمد وهم في الصحراء الوسطى يُضاف إلى ذلك أن اسم محمد معروف أن غير المسلمين لا يسمّون هذا الاسم؟³

يقول الكوني :

حاكم المدينة أمر بإغراقه في النهر بعد رفضه تنفيذ الأمر... وضعوا حجراً في رقبتهم وأوثقوا يديه وقدميه قبل أن يلقوا به في عمق الوادي... لم تأمنه المياه فحسب... فكت قيوده.⁴

فيما سبق روى الكوني ما قام به حاكم قرطبة بشلم حين رفض اعتناق دين النصاري، من إلقائه بالوادي ومساعدة المياه لأنها لم تأمنه، إن هذا يدل على شدة مكر شلم، بما أن شلم لم تذكر عنه كتب التاريخ أي خبر وبأنه إحدى شخوص الكوني في روايته، ما يؤكد أن ما رواه عن المياه وفعلها معه هو من خيال الكوني الروائي.

يقول الكوني عن لسان شلم :

اكتشفوا نقطة ضعفي!... اكتشفوا قرنين في رأسي فحرقوهما بالنار!⁵

¹ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 93-94.

² - ينظر محمد سعيد القشاط، عرب الصحراء الكبرى التوارق، الطبعة الرابعة، سنة النشر 2008، الدار العربية للموسوعات، ص 200.

³ - ينظر أمين توفيق الطيبي، تاريخ المغرب والأندلس، لا توجد طبعة، سنة النشر 1984، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ص 302.

⁴ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 102.

⁵ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 105.

أراد الكوني فيما سبق أن يجعل شلم يصرح بأنه من سلالة الشياطين، حين ذكر تصريحه بوجود القرنين في رأسه، وهذا من قبيل خيال الكوني الروائي.

يقول الكوني :

" لم يدر أحد كيف ولا متى بدأ الجبل يلد فرسانه ،ولا عما إذا كانت حجارة الجبل هي التي تحوّلت فرساناً"¹.

نلاحظ فيما سبق من قول الكوني الخيال الروائي جليّاً، ذلك لأنه جعل من الجبل أمّاً لتلد الأطفال ،بل تلد الفرسان البواسل، ثم يبلغ حد خياله إلى أن يصل إلى الشك في أن الحجارة تحولت فرساناً.

يقول الكوني عن لسان سلطان الظلمات :

" إيّاك أن ترجم مخلوقاً لأنك إذا رجمت أحداً قتلتته دون أن تدري. وإذا أشفقت على مخلوق فقد أهلكته الهلاك الذي لا قيامة بعده!"².

فيما سبق نلاحظ أن الكوني يتحدث عن لسان الشيطان ،والنصيحة التي قالها لعلها تحذر بني الإنس من رجم الشياطين .

نلاحظ أن الكوني يجعل من نفسه حامي حماهم، كما أنه يقول إن الإشفاق هو إهلاك من قبل المشفق على المشفق عليه ،إن هذا القول يجعلنا نتساءل :

ما قصد الكوني من هذه النصيحة؟ ولماذا جعل الإشفاق هلاكاً؟.

هل قصد أن إشعار الإنسان بالشفقة يعني أنه ضعيف ؟ .

هل قصد الكوني أن من أشعر إنساناً بالضعف استفزه؟

"وجد نفسه يدسّ يده في جيبه ويخرج رجراجا من ثناياه جرماً لزجاً، مثيراً للاشمئزاز

فاذا به حية تتلوّى! نفضها بعيداً في اللحظة التي قفز فيها عاليا وطفق يجري عبر

الخلاء.. مستشعراً طوال الطريق إحساساً غامضاً بمطاردة هذه الحية الكريهة كأنها

القدر... استولى عليه اليأس فخارت قواه في الحال تعثر فوق في الحقل المفروش

بالأفاعي "¹ .

¹ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص178 .

² - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص194 .

يبدأ الكوني روايته بحديثه عن أحمد باشا القره مانلي ويصف بأن في جيبه حية، وهذا ما نسجه خيال الكوني، حيث إن هذه الحية لم تذكر في كتاب الحوليات الذي قال فيه شارل فيرو يذكر فيه :

" غضب أبو مويس لهذا القدر في شخصه؛ فقام - بحجة إبلاغ قبائل الدواخل بتوليته الحكم - بتكليف الباش آغا أحمد القره مانلي بمهمة نقل رسالة بهذا الخصوص إلى شيخ غريان ² .

ما نعلمه هنا أن أبا مويس هو من أرسل الباشا آغا أحمد القره مانلي برسالة إلى شيخ غريان ³، ليغدر به ⁴ ولكن ما ذكره الكاتب من أفاعي ما هو الا توظيف لخياله لكي يقرب صورة الهلاك الذي سيلم بأحمد القره مانلي آلا وهو الموت. وهذه الأفاعي سبق وأن وظّفها الكوني حين قال :

يُقال إن ذلك الكائن " ذي اللون الذهبي الذي لا يزيد حجمه عن حجم السوار " هو الذي اختاره صاحب الأتّان (وانتهيط) في ذلك اليوم ليكون رسوله إلى ديار سليله صاحب

النحوس... الذي فرّ بوثبة جنونية والسوار الذهبي معلّق برقبته ⁵. نلاحظ مما سبق أن الكاتب سبق توظيفه للأفاعي في روايته السابقة، ما جعلنا نتساءل : لماذا الكاتب يقصر الهلاك أو الموت على الأفاعي ؟. هل هذا ما علمه ؟ أو أنه قصد منها الغدر ؟!

يقول الكوني :

" احتكم إلى صدر الأم مرّة فحدثته بسيرة الدم. قالت له أن جدتها امرأة تجري في عروقها دماء الحرية، دماء الصحراء. كانت سليلة أحد أكابر أهل الصحراء خرجت

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، الطبعة الأولى، سنة النشر 2006، الناشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، طرابلس - ليبيا، ص 11

² - شارل فيرو، الحوليات الليبية: ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، الطبعة الثالثة، سنة النشر 1994، بنغازي - ليبيا، ص 264 .

³ - ينظر، ن. إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ترجمة: عماد حاتم، الطبعة الثانية، سنة النشر 2005، الناشر مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص 110.

⁴ - ينظر، ابن غلبون، التذكار، ص 239.

⁵ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة ص 233 - 234 .

إلى بر الحجاز لأداء فريضة الحج في قافلة مهيبة. ولكن قطاع الطرق استغلوهم في الطريق فنحروا العسس ونهبوا القافلة وأخذوها أسيرة . ذهبوا بها إلى الشمال وبيعوها لأحد أصحاب التجارة الأثرياء الذي تزوجها"¹.

يتضح أن الذي تزوجها لم يختطفها، بل اشتراها أي أنها كانت أمة لديه، كما لم نجد ما يؤكد في الرواية أنها كانت مختطة من قبل ذات الرجل الذي تزوجها. ويضيف الكوني قائلاً :

" أنجبت من رجلها ذرية هلكت؛ كلها، بوباء الطاعون ولم يبق على قيد الحياة سوى ابن وحيد ورث عن أبيه حرفة التجارة وتزوج حسناء من بنات تاجوراء انحدرت منها سلالة كلها. "².

ما نفهمه من النص هو أن أم أحمد القره مانلي من بنات تاجوراء وجدتها لأبيها من أهل الصحراء وجدها لأبيها من الأناضول وأبوها هو الابن الوحيد لجديها الذي بقي على قيد الحياة³، وهذا ما يؤكد كتاب الحوليات الليبية حول أصل الجد حين يقول :

" ويذهب المؤرخون التقليديون إلى أن جد القرمانليين كان مجرد نوتي قرصان من مواليد مدينة قرمان بالأناضول. قدم إلى طرابلس في زمن ولاية درغوت

وكشأن غيره من المغامرين الأتراك، فإنه تملك بستاناً في ضاحية المنشية واستقر فيه حيث تزوج من إحدى نساء المنطقة العربيات "⁴.

يتضح أن أصل الجدة الذي ذكره الكوني، لم تذكره الحوليات ولا كتب التاريخ التي ألقت وذكرت الأسرة القره مانلية، والتي منها: التذكار⁵، وتاريخ ليبيا في العصر الحديث⁶ أي أن الروائي قد نسج بخياله خبر أصل جدة أحمد القره مانلي، حين خص بذكر تاجوراء دون سواها من المناطق العربية، وهذا ما لم تذكره الحوليات.

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 17 - 18 .

² - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 18 .

³ - رودلفو ميكافي، طرابلس الغرب، تحت حكم الأسرة القرمانلية، ترجمة: طه فوزي، مراجعة حسن محمود وكمال الدين الخربوطلي، معهد الدراسات العربية (جامعة الدول العربية) لا توجد طبعة، سنة النشر 1961، ص 9.

⁴ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 265.

⁵ - ابن غليون، التذكار، ص 241.

⁶ - ينظر ن، إ، بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص 109.

كما نلاحظ أيضا أن الجد قد عاش بالمنشية بطرابلس ،لذا فبنات المنشية أولى بذكرهن في الرواية من بنات تاجوراء،ذلك لأنهن أقرب مكانا من تاجوراء،لعل الروائي خص تاجوراء بالذكر استناد منه على مصاهرة أهلها بالأتراك .

أما سلالة الروح التي تحدث عنها الروائي ، فإنه قصد بها الأبناء ، ولكنه وصفهم بوصف روحاني(محسوس) بعيد عن(المنظور) من دم وجسد. يقول الكوني :

في ذلك المساء عندما أدركته القافلة استطاع أن يميز ملامح صاحب القافلة الحاج المكني كبير التجار الذي هرع إليه واستبشر بلقائه. ولكنه قبل أن يسمع جوابا أسرع جانباً وعاد يصطحب رجلاً طويلاً القامة،نبيل الطلعة،ملفوفاً بلبثام أزرق،على منكبيه ثوب أزرق أيضاً،قدّمه له قائلاً أنه رفيق سفر وصاحب كرامات.وعندما استقهم عن حقيقة الكرامات أوضح أن اسمه "أهر" ،وهو ما يعني بلغة أهل الصحراء "الصيد" وهو وليّ من سلالة المرابطين¹ .

الذي نعلمه من الروائي أن آغا أحمد القره مانلي وهو في طريقه إلى شيخ غريان

رسولاً من أبي موسى التقى مع كبير التجار الحاج المكني و كان يرافقه سيدي الصيد، ولكننا نجد الكوني يطلق عليه اسم طارقي وهو (أهر) كما يصف لباسه ؛ بلباس الطوارق² ، وكأنه يريد أن يقول أن سيدي الصيد طارقي.

أما ما تذكره الحوليات الليبية حول ما قام به أحمد القره مانلي بالرسالة التي أرسل بها: "غير أن أحمد، وهو في طريقه إلى تلك المدينة،خطرت له فكرة فتح الرسالة والاطلاع على محتوياتها ؛ ربما بدافع حب الاستطلاع أو بدافع الحذر والريبة"³ . علمنا مما سبق أن الروائي قد نسج بخياله حين ؛ جعل من أحد الطوارق منقذاً

¹ - ينظر ابراهيم الكوني ، نداء ما كان بعيداً ص 19 .

² - هذا الاسم أطلق على المثلثون،والذين كانوا يعرفوا قبيل الاسلام،باسجلماسن،يحتمل أن تكون هذه التسمية من اسم الوادي الذي يسكنون فيه.

³ - ينظر محمد سعيد القشاط،عرب الصحراء الكبرى التوارق،ص33.

³ - شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص264.

لحياة أحمد القره مانلي ، وليس الأمر كذلك وإنما اصطفاه ليضفي عليه دور البطولة، وهذا ما أكدته كتب التاريخ التي تناولت خبر الرسالة منها: تاريخنا¹، التذكار²، تاريخ ليبيا في العصر الحديث³، النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط⁴ كما لاحظنا أن الكوني قد سبق وإن أضفى دوراً مشابهاً في روايته حين قال : في ضاحية المنشية في أحضان بستان الباشا الصيفي قال البستاني : مولاي يعلم أن الجبة ماهي إلا مظهر أمّا البطانة فهي باطن. البطانة جوهر! جسارة اللسان ذكّرت الباشا من انتماء البستاني إلى إحدى الطرق الصوفية مؤدياً شعائر مايسميه هؤلاء بـ"الحضرة"... كما أضاف البستاني خبر قدومه من الصحراء⁵. فهكذا لاحظنا أن الكوني قد جعل من العم سليمان القادم من الصحراء ، الأنيس لمحمد باشا القره مانلي، لعله قصد أنه طارقي ،ماجعلنا نعلم أن الكوني أراد أن يقول إن الطوارق هم القوم الذين يستحقون المصادقة والثقة لأنهم أبطال ومنقذين دون سواهم.

يقول الكوني :

"أبو موسى خنق ابن الجن غيلة"⁶.

هنا يصيب الكاتب حين يذكر خبر قاتل ابن الجن⁷، ولكنه يغالط في خبر كيفية قتله⁸ فقله⁸ كما وجدنا الحوليات الليبية تقول :

أثناء استغراق ابن الجن في النوم انقضّ عليه خازنداره، أي أمين خزانته ،وبرفقته أربعة من المتواطئين معه ، فذبحه دون أن يتمكن حتى من الاستغاثة⁹.

1 - الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، لا توجد طبعة، سنة النشر 1983، دار التراث ص60.

2 - ابن غلبون، التذكار، ص239 - 240.

3 - ن.إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص110.

4 - محمد الهادي أبو عجيبة، النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط، الطبعة الثانية، سنة النشر 2008، منشورات جامعة 7 أكتوبر، ص107.

5 - ينظر إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، الطبعة الأولى، سنة النشر 2006 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص29 - 31، 150.

6 - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص20.

7 - رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلية، ص9.

8 - محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة: عبد السلام أدهم/ محمد الأسطى، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، لا توجد طبعة، لا توجد نشر، ص159.

9 - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص255.

هنا يتبين لنا توظيف خيال الروائي، لعل قصد منه تجنيب قراء روايته الفرع الذي يؤثر على نفسيتهم، ويحول دون إكمال قراءتها، فأثر لفظ الخنق على الذبح .
إن هذا الموقف الذي رواه الكوني عن كيفية مقتل ابن الجن، قد سبق أن وظّفه في ما رواه في روايته السابقة حين قال:

أقبل المسخ لزيارتها...جحظت عيناها ما أن وقع بصرها عليه... قال لها لقد أتيت لك بالدواء .سوف تشفين!...دخلت الجارة لتجد الأم جثة هامة¹.

ولكن الموقف قد اختلف، حين رواه الكوني بين الابن وأمه أولاً وجعله بين الخازندار وابن الجن ثانياً، من ناحية القرابة والصلة، رغم أن السبب واحد وهو الكراهية والحد. يقول الكوني :

فهل له أن يستهجن ما سيقراه الآن في متن الرسالة ؟ من محمود أبو موسى داي طرابلس المحروسة إلى شيخ المحاميد، جبل غريان، أنعم المولى عليه بالعافية ، وبعد. فاذا أقبل عليكم رسولنا هذا فعليكم أن تقتلوه شرّ قتلة.. والسلام. حُرّر في ديوان الايالة، في اليوم الثاني من جمادي الثانية 1123 للهجرة².

يفهم من ذلك أن أبا موسى أراد قتل أحمد القره مانلي، بيد شيخ المحاميد وهذه المكيدة استمدها؛ الكاتب من كتب التاريخ التي تذكر قصة المتلمّس الذي هجا عمرو بن هند، فقام الثاني بكتابة رسالة إلى عامله على البحرين وهجر، وهو ربيعة بن الحارث وقال انطلق فاقبض جائزتك، ولكن المتلمّس³ عرف مكره ففتح الرسالة وعلم أن بها أمراً لابن الحارث بقتله⁴.

هذه المكيدة نجد الروائي قد وظّفها في روايته، بحذافيرها ولم يختلف فيها عن الأولى إلا في أسماء الأماكن والأشخاص.

¹ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 49-50.

² - ينظر إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 24.

³ - وهو الشاعر: جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن دوفن بن حرب بن وهب بنجلي بن أحمر بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار، وهو من الشعراء المقلين المفلّحين، حيث جعله ابن سلام في الطبقة السابعة من شعراء الجاهلية.

⁴ - أب الفرج الأصفهاني، الأغاني، المجلد الرابع والعشرون، الطبعة الثانية، سنة النشر 1992، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص 216، 219، 229.

فضلاً عن أن هذه الرسالة لم تذكرها الحوليات الليبية، إذ أن نص الرسالة الذي ذكره الكوني كان من نسيج خياله.

أما ما تذكره الحوليات عن مضمونها فيقول صاحب الحوليات :
" وكم كانت نقمته شديدة عندما اكتشف أنها تتضمن أمراً رسمياً موجهاً إلى شيخ غريان يقضي بقتله هو بمجرد وصوله إلى هناك !"¹.

علمنا مما سبق أن الكوني لم يغالط مضمون الرسالة، وهو قتل أحمد القره مانلي ولكننا وجدناه يبحث عن أية ثغرة؛ ليوظف خياله الروائي من خلالها.
يقول الكوني:

كتب بالمداد رسالة أخرى. إذ حرّر الرسالة التي سترد الكيد إلى نحر صاحب الكيد، وتحفر الحفرة التي سيقع فيها حافر الحفرة كتب: من داي طرابلس المحروسة محمود أبو مويس إلى رأس العصاة، وزعيم عصبة الجبل، شيخ قبيلة المحاميد أمّا بعد:
فقد بلغني، بإسالة النفاق والكفر والغدر والشقاق، ما بيّتم العزم عليه من نية في التمرد ظناً منكم، يا شرانم قطاع الطرق، أن ما حلّ بالمحروسة من حوادث أسيفة كفيل بأن

يلهيها عن ردكم إلى الصواب... واعلموا منذ اليوم أن عهد الموائيق معكم قد ولّى، ولا حيلة لردعكم إلاّ بشروط تبعثون لنا بموجبها بأشقياء رجالكم من أمثال الوغد خليفة الداموس، سعد الحيان صانع الفتن، جبر المعداوي بمثابة رهائن، كما نلزمكم بإرسال عددٍ من بنات الأكابر والأعيان ... تحرير في ديوان المحروسة للثاني من جمادى الثاني لسنة 1123 للهجرة.²

هذه الرسالة التي يذكر الكاتب نصّها، في روايته لم تذكرها الحوليات بهذا النص.
إذ ذكرت: "فما كان منه إلا أن استبدل هذا المكتوب بمكتوب آخر حرّره بخط يده، على اعتبار أنه بخط الداوي وباسمه. وتفيد صيغة الرسالة الجديدة بأن أهالي غريان قوم مشاغبون وأن الداوي الجديد يريد منهم ضمانات تكفل خضوعهم له، ويطلب من

¹ - شارل فيرو، الحوليات الليبية ص 264.

² - ينظر ابراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً ص 25-26.

شيخهم أن يبعث إليه بدون إبطاء عددا من أكابر المنطقة وأعيانها كي يحتفظ بهم كرهائن وحرص أحمد القرمانلي في الرسالة التي زورها على ذلك النحو على أن تشمل القائمة الخاصة بأولئك الرهائن على أسماء أكثر الرجال حزما وقوة على الرؤوس الأكبر عجرة وصلفا من بين أفراد قبائل غريان¹.

هذا وقد ذكر خبر استبدال رسالة أبو موسى للمحاميد من قبل أحمد باشا، ولكن الكوني اكتفى بالتحقير والشتم والتهديد، الذي كانت تحمله في مضمونها.

إن الكوني أصاب؛ حين ذكر خبر الرسالة التي كتبها آغا أحمد القره مانلي، ولكنه لم يمسك زمام خياله في عدة أمور كشتم آغا أحمد لأهل غريان وذكر أسماء الرهائن، ومطالبته بالبنات².

وهو بهذا إنما أراد استفزاز أهل الجبل وتحريضهم ضد أبو موسى لكي ينتقموا له، وهذا ما وافق الكوني الحوليات فيه.

يقول الكوني :

لم تنطق عيونهم بالفضول وحسب، ولكنها نطقت بالهفة... قال أحمد القره مانلي لا أخفي عليكم، الوضع أسوأ مما تتصورون، وحال البلاد يرقص على كف عفريت!... الداء هو شراذم الانكشارية الذين سمّموا البلاد بالفتن، وقطعوا دابر الاستقرار بالدسائس لأنهم ملّة خسيصة لا تخذ لنومة قبل أن تشرب من دم، أو تنهب أرضاً، أو تغتصب عرضاً!.. بمكيدة هذه العصابة اغتيل ابن الجن، وبمساعدة سواعد هذه الشرذمة نصب المدعو أبو ميس حاكماً³.

أثار آغا أحمد فضولهم لاستفزازهم، ولكي لا ينقلب غضبهم على رأسه، بل معه وهذا ما توكّده الحوليات :

" وعندما وصل أحمد القره مانلي إلى غريان، فإنه لم يستعجل أمر تسليم الرسالة حال

¹ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 264 .

² - الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص 60.

³ - ينظر إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 29 - 32.

وصوله ،لأنه لو فعل لأقدم الأعراب على القصاص منه على الفور، وكان هدفه أن يتحول غضبهم الذي لاشك في تفجره بمجرد اطلاعهم على محتوى الرسالة المزورة - لصالحه هو وعندما تحلق حوله أولئك القوم الذين كانوا يتحرقون شوقاً لمعرفة آخر تطورات الأحداث في مدينة طرابلس ،وأخذوا يصبّون عليه سيلاً من الأسئلة عن آخر ما وقع فيها ؛فإنه أخذ يردّ على استفساراتهم بذكاء بواسطة إجابات يشتمّ منها أنه يتكهّن بحدوث قلاقل جديدة في القريب ،وذلك - بحسب قوله - بسبب النزاعات الاستبدادية الميّالة إلى الظلم والجور وحب سفك الدماء الجشع، والتي أخذ مسلك الداوي الجديد وتصرفاته توحى بها منذ بداية الفترة القصيرة التي استلم فيها السلطة اغتصاباً بعد اغتياله لحميه¹.

مما سبق نجد الكوني يوافق الحوليات؛ من حيث ذكره لما قام به أغا أحمد القره مانلي، في طريقة إيصاله للرسالة، وحالة تلقيهم لها وردّة فعلهم اتجاهها، وتفكيره في الاستفادة منهم ؛لدعمه ومساندته ضد أبو موسى داوي طرابلس² بينما لم نجد من

يذكر استنفار أهل غريان عقب تلقيهم لرسالة أحمد القره مانلي المزورة³. إن ما قام به أغا أحمد من انتهاز لأهل الجبل ضد أبي موسى، يكاد يكون مماثلاً لما قام به الفاسي لأهل الصحراء حين نجد الكوني يقول : لا بدّ أن نحتال على هؤلاء البلهاء ونقول لهم إننا نذهب لنقتل لاحقاً في القتل...ولكن لكي نهدي أهل الضلال إلى الصراط المستقيم...أريدك أن تحدّثهم بحقيقة أهل الصحراء⁴.

حيث أنه قد جعل من حرصه على الدين، وسيلة لكي يوجج في نفس المريدين القتال والقضاء على أهل الصحراء، في حين أنه أراد سلطانه عليهم لا حرصه على الدين. يقول الكوني:

¹ - شارل فيرو، الحوليات الليبية ص264.

² - ينظر الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص60.

³ - رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص9-10.

⁴ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة ص168 - 169 .

" استنكر الزعيم: اللجوء ؟ بلى . اللجوء ! إلى أين ؟ إلى شرق البلاد أو إلى غربها ،
سيان!"¹.

هذا ما ذكره الكوني عما أراد القيام به أحمد القره مانلي، أما الحوليات فيقول
صاحبها :

لقد أتخذت قرارى فإن لدي أسبابا شخصية بالغة الخطورة تجعلني أخاف على رأسي..
وإنني لن أبقى هنا... وأنا عازم على الهجرة إلى تونس أو إلى مصر² .
علمنا مما سبق أن مضمون قول الكوني؛ وما ذكرته الحوليات أيضاً قد اشترك في
خوف آغا أحمد القره مانلي على نفسه، ولكننا لم نجد ما يؤكد هذا القول³ في كتب
التاريخ التي منها: التذكار⁴ وغيرها.

يقول الكوني :

"ولهذا السبب فقد أرسل الرسل للتو (بعد التشاور مع عقلاء القوم) إلى القبائل الحليفة

بالدواخل ويأمل أن يتلقى الردود من زعماء تلك القبائل خلال أيام"⁵.

هذا ما ذكره الكوني على حرص آغا أحمد القره مانلي لاستنفار القبائل ضد

أبي موسى، أما الحوليات فيقول صاحبها:

" وعلى الفور تم إيفاد مبعوثين إلى جميع القبائل الأخرى لإبلاغهم بما انعقد عليه عزم
الغراينة"⁶.

إن الغراينة أرسلوا الرسل للقبائل المجاورة، وهم من ينتظرون عودتهم بـردود القبائل ،
نعلم من هذا أن الكوني وظّف خياله في وصف شوق أحمد القره مانلي وإرساله لرسل
وانتظاره لهم، وطمعه في عرش الإيالة الطرابلسية.

يقول الكوني :

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً ص 33 .

² - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية ص 264 .

³ - الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص 60.

⁴ - ابن غليون ، التذكار، ص 240.

⁵ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً ص 38 .

⁶ - شارل فيرو، الحوليات الليبية ص 265 .

"عليه أن يستنفر فرسانه في المنشية، ويبعث بالرسل إلى شيوخ الساحل وتاجوراء ورجالات المدينة الذين يستطيع أن يثق بهم ليحسّ نبضهم قبل الزحف"¹.
وبما أن أحمد القره مانلي أراد الحكم ؛ لذا عليه أن يطلب مساعدة فرسانه الذين كانوا تحت إمرته، ولكن القولو غلية المقيمون في الساحل والمنشية قرروا خلع الداوي وتولية القرمانلي مكانه² ما يؤكد مبادرتهم لتوليه السلطة دون مطالبة منه.
أما الحوليات الليبية فجاء فيها:

" فإن أهالي الساحل والمنشية قد أرسلوا وفوداً الى أحمد القره مانلي يستحثونه للحلول بين ظهرانيهم. وتم الاتصال في الخفاء بأعضاء ديوان طرابلس وبضباط حاميتها، وأخطروا باندلاع هذه القومة الشاملة لسكان الدواخل ؛ فما كان من أولئك إلا أن دعوا أحمد القرمانلي إلى تسلم مقاليد الحكم"³.

علمنا مما سبق أن الكوني نسج بخياله، حين أورد خبر مطالبة أحمد القره مانلي، المساعدة من فرسانه بالمنشية وتاجوراء؛ لأنهم هم من أرسلوا الوفود وطالبوه ليكون داياً عليهم.

يقول الكوني :

يوم تزامم في الديوان أكابر الإيالة وأعيان المدينة وأشياخ الضواحي وزعماء القبائل لمبايعته وتقبيل يديه تعبيراً عن فروض الولاء لم يفتقد في تلك القيامة سوى مخلوقاً واحداً... فاختلى بكبير التجار في ناحية ليستفسر عن صاحب اللثام... هب أحمد بك القره مانلي خارجاً. هب يزيح في طريقه الجموع ، ويدفع بمنكبيه الخلق الذي تجمع لتهنئته... وجده في خلوة فوق رابية⁴.

يتضح مما سبق أن الكوني وهو يصف يوم تنصيب أحمد باشا القره مانلي ، كان يصف لا مبالاة أحمد القره مانلي لهذا التنصيب ، وإنما أورد الكوني ليوظفه في السمو بمكانة سيدي الصيد لدى البيك وتعففه عن السلطة، إلا أن اهتمام أحمد بهذا

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً ص 38 - 39.

² - رودلفو ميكافي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 10.

³ - شارل فيرو، الحوليات الليبية ص 265.

⁴ - ينظر إبراهيم الكوني ، نداء ما كان بعيداً ص 59 - 62 .

المخلوق، لم تذكره كتب التاريخ التي ألفت قبيل الحوليات الليبية منها: طرابلس الغرب¹، وتاريخ طرابلس الغرب² كما أن الحوليات تؤكد خيال الكوني حيث تقول: لقد تمت ببيعة أحمد القره مانلي باشا - بيك، حيث تقبل فروض الولاء من أهالي المدينة والمنشية، وذلك بعد أن تعهد بأن يحكم طبقاً للقانون³. يقول الكوني:

"أدهش القره مانلي الجميع يوم أمر بإقامة خباء صغير في بهو السراي ليكون له بمثابة زاوية يأوي إليها في سويغات الفراغ بقصد التفكير⁴. وفي هذا يشير الكوني إلى أن البيك قد تطبّع؛ بسيدي الصيد الذي ينتمي لأهل الصحراء وكأنه أراد القول إن أهل الصحراء؛ هم أهل التفكير والتأمل، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على تعظيم الروائي للصحراء التي ينتمي إليها و إلى أهلها

وهذا بالطبع لم تثبته كتب التاريخ إذا ذكرنا منها على سبيل المثال: تاريخنا⁵ الذي لم يذكر أي تعظيم للصحراء ولأهلها. يقول الكوني:

أصبح لا يذهب إلى بيته الريفي في ضاحية المنشية إلا ليختلي بالعمّ سليمان... قرر أن يفتاحه بالذء الخفي الذي نشأ معه منذ الطفولة⁶.

أما في هذا القول فإن الكوني، أراد أن يُعلم بسمو أهل الصحراء لذا محمد القره مانلي حين جعله يذهب لبيته قاصداً التحدث للعمّ سليمان، دون أن يُرسل إليه رسله للقدوم به لا قدوم الباشا إليه. يقول الكوني:

" أصحاب الحوليات ورواة السير لم يجدوا بداً من أن يطلقوا على هذا (الفتى) (الذي

¹ - رودلفو ميكاي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 10.

² - محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ص 160.

³ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 266.

⁴ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً ص 68.

⁵ - الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص 60 - 61.

⁶ - ينظر إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص 64.

يبدو طفلاً بالفعل) أفخم الألقاب مثل : (أحمد الأكبر) تيمّنا باسم الأسكندر الأكبر¹
هذا وقد كان أحمد باشا أول من تجرأ من بين القرمانليين لحمل لقب " أمير المؤمنين"
المعظم² والذي يُعد أعظم من لقب الأكبر الذي ذكرته الحوليات :
" لم يشأ أن ينتظر حتى يخبو لقب "الكبير" الذي كان رعاياه يلقبونه به "³
إن الكوني قد نسج بخياله الروائي، حين ذكر للحوليات أصحاباً، في حين أننا نعلم بأن
لديها صاحباً واحداً، كما وظّف هذا الخيال فيما ذكره حول من أطلق لقب الإسكندر
الأكبر على أحمد بيك حيث تقول الحوليات أن رعاياه هم من أطلق هذا اللقب عليه.
يقول الكوني :

" فما كان من القرمانلي إلا أن أمر بمصادرة أموال هذه الملة وبيعها في المزاد العلني

ليشتري بقيمتها هدايا نفيسة بعث بها إلى الباب العالي في الأستانة لإسكاته "⁴.
هذا ما يذكره الكوني عما قام به البيك أحمد من بيع لأموال الانكشارية، وإن جاء في
الحوليات أن أحمد باشا أرسل وفداً إلى القسطنطينية لتبرير مقتل خليل باشا
و يطالب بالاعتراف به والياً على طرابلس ، وكان إعلان الولاء للسلطان مصحوباً
بإرسال كمية من الهدايا الثمينة⁵ أما الحوليات فتذكر حول هذا القول :
"وأرسل القره مانلي إلى الباب العالي هدايا نفيسة لإسكاته "⁶.

فالحوليات لم تذكر بيع أموال الإنكشارية ، وإنما هي إحدى شطحات خيال
الروائي، لعله قصد بها الإشارة إلى دهاء البيك ولعله قصد بها إفلاسه وقلة ماله .
يقول الكوني :

"يروى أن أحمد القره مانلي قال لأحد خالصائه يوم بعث برسوله إلى الأستانة محملاً

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً ص 69 .

² - محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ص 161.

³ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 304.

⁴ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً ص 86 .

⁵ - رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 16.

⁶ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 272.

بهداياهم : "بأموالهم اشترينا دماءهم كما اشترينا خلاصنا بهلاكهم ! " ثم ابتسم بغموض وهو يضيف: " لماذا لا نشترى ذمم سلاطينهم إذا كان هؤلاء السلاطين هم الذين يعرضون ذممهم للبيع بأنفسهم ؟! " ¹.

وهذا ما لم تذكره كتب التاريخ ² و لم تذكره الحوليات أيضاً ولكن الكوني جعل من نفسه قارئاً لأفكار البليك ، ومتحدثاً بلسانه عن فساد ذمم سلاطين الأستانة .

يقول الكوني :

خرج يوسف دولتي رسولا مخولا للتفاوض مع مندوب الأستانة... قال له الملاً إن اسم معاليه هو جانم خوجه... لم يخرج إليه ليحييه ، ولكن ليطعنه... ولو لم يهرع بعض أفراد الحاشية لنجدته لما نجا. ³

علمنا مما سبق أن الروائي يذكر ؛ محاولة طعن جانم جوجة لرسول أحمد بيك وقائد جيشه (دولتي)، ولكن حين ذكر جانم خوجه في بعض كتب التاريخ، لم تذكر محاولته لطعن رسول البليك ⁴، بل ذكر قسمه بتولي خليل باشا المدينة بالقوة ⁵، ولكن ما تذكره الحوليات عن هذا الخبر

نزل إبراهيم الملاً بنفسه حيث قام بزيارة البك ... بل إنه ذهب حتى إلى حد امتشاق خنجره مهددا يوسف دولتي ، عندما طفق هذا الأخير يغتاب خليلاً ⁶.

مما سبق يتضح لنا أن من أراد قتل يوسف دولتي هو إبراهيم الملاً لا جانم خوجه وهذا ما أكد عدم محاولة جانم خوجه طعن رسول البليك فيما سبق؛ أي أن الكوني وظّف خياله في هذا القول، وهذا وتذكر الحوليات أن:

"نزل إبراهيم الملاً بنفسه حيث قام بزيارة البك، الذي كان في اليوم السابق قد بادر إلى تعيين تركي يدعى يوسف دولتيّ شكلياً بدلا من مسؤول مغربي . " ¹.

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 86 - 87.

² - الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص 61.

³ - ينظر إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً ص 89 - 90 .

⁴ - ينظر محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ص 160.

⁵ - ينظر رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 14.

⁶ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 267.

هكذا يتضح أن الحوليات الليبية لم تذكر أن دولتي قائد للجيش² ؛ وإنما نسج الكوني بخياله الروائي دون أن نجد مبرراً لما قاله وما قصده من ذلك .

يقول الكوني :

" يُقال إن كل شيء لم يسر على ما يرام إلا بعد تدخّل الشقيقين يوسف وعلي المكني .
الأول بصفته كرئيس ل سلاح البحرية والثاني بصفته كبير التجّار . يؤكد مدمنو كتابة الحوليات أن للأخير بالذات يرجع الفضل في شراء حرّية الإيالة الطرابلسية بأمواله وجنبها ويلات الصدام المباشر مع وحدات الأسطول التركي المرابط على طول الساحل فيما إذا انتهت المفاوضات إلى الاخفاق"³

إن الروائي يتحدث عن علي المكني؛ وجعل منه حامي حمى الإيالة من الحرب ، ولكن الحوليات الليبية تذكر غير ذلك بقولها:

"فإن الشقيقين علي المكني ويوسف المكني - وهما من أعراب الدواخل ويعتبران التاجرين الثريين الوحيدين في البلاد - هما اللذان يتحكمان في تصرفاته و هذا أمر سيكون فيه هلاكهما ، لأنهما هما وحدهما اللذان طردا الأتراك بدسائسهما وبفضل أموالهما"⁴

يتضح لنا خيال الكوني في ذكره ؛لعلي المكني وإنما كان علي وشقيقه يوسف⁵ .

يقول الكوني :

"وهي صفقة لم تكن لتتم لولا الأدلة التي وضعها الطرف الطرابلسي بقيادة علي المكني هذه المرّة بين رسول السلطان التي تثبت بما لا يدع مجالاً للشكّ إقدام الأرنؤوطي على تزوير تلك الرسائل التي قدّمها للباب العالي"⁶ .

نستنتج أن الكوني يذكر أن من أثبت تزوير الرسائل التي قدّمها الأرنؤوطي

¹ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 267.

² - ينظر الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص 61.

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 97.

⁴ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 269.

⁵ - منصور علي الشريف، عائلة المكني أبناؤها وأدوارهم في التاريخ الليبي، الطبعة الأولى، سنة النشر 2003، مركز جهاد الليبي ص 106.

⁶ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 97 - 98 .

هو علي المكني، في حين أن صاحب طرابلس الغرب؛ قد ذكر نجاح خليل باشا في إقناع الباب العالي¹ دون ذكر لهذه الرسائل التي ذكرتها الحوليات، هذا وتضيف الحوليات أيضاً:

"وقيل كذلك أن خليلاً قد خدع الباب العالي بأن سلّمه رسائل مزورة لكي يقنعه بأن البلاد ترغب في تنصيب دايا عليها"².

الكوني إذاً ذكر خبراً لم تذكره الحوليات، لجعله ثغرة ينسج من خلالها خياله الروائي. يقول الكوني :

"لقد وقعت زينوبة في يد القره مانلي رهينة فأوقف على أبوابها العسس منذ أول يوم بدعوى الحرص على مصيرها"³.

كل ما ذكره الروائي عن اعتقال زينوبة زوجة خليل الأرنؤوطي، كان من خيال الكوني، لأننا لم نجد ما يؤكده في الحوليات، ولا كتب التاريخ التي استمد صاحب الحوليات مادته التاريخية منها، والتي نذكر منها: تاريخ طرابلس الغرب⁴، والتذكّار⁵. يقول الكوني :

"فبالأمس نهب غوغاء الدواخل قافلة قادمة من (كانو)"⁶.

يتحدث الكوني هنا، عن نهب قافلة قادمة من كانو بين ما تذكره الحوليات غير ذلك: "يقطن في معظم أحياء هذه المدينة لصوص وقطّاع طرق؛ ولقد تم الاستيلاء على آخر قافلة تجارية قدمت من السودان"⁷.

يغالط الكوني حين يذكر أن القافلة قادمة من كانو بينما هي قادمة من السودان، ما جعلنا نعتقد أن الروائي يريد أن يدس بخياله مغالطات في تاريخ الدول الأفريقية و حدودها.

¹ - ينظر رودلفو ميكاي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص13.

² - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص267.

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص105.

⁴ - محود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ص159 - 160.

⁵ - ابن غليون، التذكّار، ص245.

⁶ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص114.

⁷ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص272.

يقول الكوني :

" لقد قام الأوباش بنواحي غريان بقطع الطريق على موكب مراكشي في طريقه إلى مكة لتأدية فريضة الحج ونهبوا ممتلكاته " ¹.

الروائي يصف ما فعله الأوباش بنواحي غريان بالموكب المراكشي الذي في طريقه إلى مكة؛ ولكن الحوليات الليبية تذكر:

" قافلة من المراكشيين الذين كانوا في طريق عودتهم من الحج " ².

خلاصة ما سبق نلاحظ أن الكوني كان يغالط حين ذكر خبر نهب قافلة

المراكشيين وهم في طريق الذهاب؛ بينما هم في طريق العودة من الحج .

يقول الكوني :

سأدفع بهم لديك بدون فدية تعبيراً عن إكباري لفرنسا !.. هل يذكر سعادة القنصل ما

حدث لبخارة مالطا الذين قذفت بهم الأمواج على سواحل درنة ؟ قال القنصل .لقد

بيعوا لحجيج من مراكش... أجاب البك نيابة عنه: لقد نحروهم على ضريح

سيدي السندوسي عن بكرة أبيهم وفاء لنذر! ... في طريق العودة قال له يوسف

المكني إنه تنازل عن غنيمة سميحة بلا مقابل ³.

يتحدث الكوني عن إكبار البيك لقنصل فرنسا، وذلك بأن أطلق سراح الأسرى

الإيطاليين ولكن يذكره بما أصاب الأسرى المالطيين والتي تذكر عنهم الحوليات

الليبية:

" تم بيع أربعين من أولئك النصارى إلى قافلة من المراكشيين الذين كانوا في طريق

عودتهم من الحج ، فما كان من أولئك الحجاج إلا أن نحروهم كقرايين على ضريح

مرابط مشهور " ⁴.

يتضح أن الكوني نسج بخياله ،حين ذكر أن الأسرى بيعوا جميعاً لا كما تذكر

الحوليات ؛ - فنحن نفهم منها أن أربعين منهم قد بيعوا لا جميعهم ؛كما يضيف

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص114.

² - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص274 .

³ - ينظر إبراهيم الكوني ، نداء ما كان بعيداً ص117 - 120 .

⁴ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص274.

الكوني ذكر اسم الم رابط بعينه (السندوسي) ، بينما لم تذكره الحوليات أي أنه من خياله الروائي.

يقول الكوني على لسان الأرنأوطي:

" أظن أن الأرواح الشرهة إلى الدّم لا تفرّق بين دماء الأنعام ودماء الأنام .بل الأرواح الأقوى تفضّل قرابين الأنام على قرابين الأنعام"¹.
فيما سبق نلاحظ أن الكوني قد وظّف خياله في وصف الأرواح الشرهة للدماء، وبأن الأقوى منها يفضل الأنام على الأنعام، ولكن هنا نلاحظه يؤكد قوله حين ذكر ما قام به الحجاج من نحر للأسرى المالمطين ،أي أنه يؤكد خياله الروائي بالحقيقة التاريخية.

إن هذا القول يُذكرنا بخليل باشا الأرنأوطي، الذي يقول الكوني عنه:

" وقد أمرت بدفن رأس الفقيد بما يستحق من مراسم في مقبرة سيدي حمّودة بمجرد أن بلغني النبأ"².

يذكر الروائي حديث البيك أحمد لأرملة خليل الأرنأوطي (زينوبة) مما يجعل القارئ يشعر بإكبار البيك أحمد لزوج الأرملة وشدة حزنه على ما أصابه.
ولكن الحوليات الليبية تذكر :

"ثم دفن ما تبقى منه بمقبرة سيدي حمّودة"³.

يشعر القارئ ، بأن خليل الأرنأوطي لم يعط البيك أحمد أي اهتمام في مراسم دفنه؛ كما ذكر الروائي بل أننا نشعر بأنه قد مثّل بجثته حتى كأنها لم تعد جثة إنسان بل بقايا حيوان وضيع، عرض للسخرية من قبل الجمهور⁴.
يقول الكوني :

سمعوا ارتطام بدن سيّد القصر الفاسي بمياه البئر ، ورأوا سيدهم الجديد يجلس فوق فوهة البئر...يلتهم قطع لحم¹.

¹ - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص135.

² - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص123.

³ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص269 .

⁴ - ينظر رودلفو ميكافي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص15.

فيما سبق روى الكوني من نسج خياله ، قتل شلم لسيّده الفاسي بأن رماه ببئر، ولكن بعد أن قطع منه قطعة لحم ، بينما أحمد باشا تعامل مع الأرناؤوطي معاملة أقل بشاعةً من شلم ،لعل الكوني أراد مما روى أن يبرر فعل أحمد باشا. يقول الكوني :

"في اليوم التالي بعث لها برسالة تقول : " لن يمسك سوء،ولن تعرفي في الدنيا ضائقة، ولن تتعرّضي لمظلمة ما دمت على قيد الحياة"².

نلاحظ مما سبق أن الروائي يصف طمأنة نفس أرملة الأرناؤوطي (زينوبة)؛ من قبل البيك أحمد، وهذا من خيال الروائي إذ إننا لم نجد ذكره في الحوليات الليبية.

ولا في كتب التاريخ التي اطلعنا عليها منها: تاريخ طرابلس الغرب³ ويقول الكوني :

"لقد ردّت إليه هداياه في اليوم التالي من ذلك اليوم مصحوبة برسالة في هيئة دمتين أنيقتين ملفقتين من قطع كتّان متعدد الألوان و أعواد من شجر برّي أتقنت صنعهما"⁴.

يضيف الروائي في حديثه عن البيك أحمد بأنه؛ أرسل هداياه إلى زينوبة ولكنها أعادتها إليه وارسلت إليه تهديدا مبطنا عبارة عن دمتين؛وهذا ما لم تذكره الحوليات حين تقول:

"غير أن تلك المرأة صدت جميع العروض والوعود التي بذلها لها أحمد"⁵. يتضح لنا مما سبق، أن الكاتب يغالط الحقيقة التاريخية بذكره لهذه الدمي ولكننا نلاحظ؛أن الروائي يذكر صد زينوبة للبيك ،لقصد اذلاله وذلك عبر توظيف خياله.

يضيف الكوني في سرد إصرار الباشا فيقول :

¹ - ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص211 .

² - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً،ص126.

³ - ينظر محمود ناجي،تاريخ طرابلس الغرب،ص160 - 161.

⁴ - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص 128 .

⁵ - شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص302.

"يوم أقبل عليها ليمثل بين يديها بتزكية من الحاج علي المكنّي استقبله"¹.
علمنا أن الكوني يتحدث ؛ عن سيدي الصيد الذي ذهب ليقابل زينوبة بعد أن زكّاه
علي المكنّي وأعلمها أنه ليس رسول البيك إليها، كان هذا ما أعلمنا به الكوني، ولكنه
يغالط فيما ذكر لأن الحوليات لم تذكر ما قام به المكنّي من دور في مقابلة سيدي الصيد
لزينوبة؛ كما لم نجد من يذكر هذا الخبر² ما آثار تساؤلاً مفاده:
لماذا جعل للمكنّي هذا الدور دون سواه على الرغم من أن المكنّي أراد أن يحكم البلاد
؟.
وهذا ما أكدته الحوليات:

" فإن كل واحد منهما يرغب في أن يحكم البلاد بدوره"³.
مما سبق نتضح لنا ، المغالطة التاريخية في ما ذكره الروائي عن دور المكنّي، في
مساعدة البيك أحمد في زواجه من زينوبة؛ وهو يعلم أن هذا الفعل سيساعد البيك في
تدعيم حكمه للإيالة الطرابلسية، ولكن رغم تأكيد الحوليات في نية الأخوين في تولي
الحكم، إلا أننا لم نجد ما يؤكد هذه النية ، لدى يوسف المكني لأنه لم يكف عن إبداء
رأيه ومشورات البيك حتى بعد أن أنتقل من القلعة⁴.
يقول الكوني على لسان شلم:
ذهبتُ وراءك وسخرتُ بدني وروحي لإرضائك، وأمنتك من خوف، وأنقذتك من جوع
ووضعت أموالي لأعلي شأنك ...واليوم أقتصُّ منك بعد غياب صاحب الخنوس اختار
صاحب النحوس شلم أحد أعوانه لينصب حاكماً... لأن السلطان الحق من وراء
حجاب⁵.

نلاحظ هنا أن الكوني روى ما قام به شلم حين اقتص من الفاسي، بعد أن ساندته
لكي يصل لتأسيس دولة في الصحراء ، ولكنه يذكر أن علي المكني أراد الحكم منذ
البداية لذا قام بمساندة الباشا في إحكام سيطرته على الإيالة، لعله أراد من خياله

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص139.

² - ابن غلبون، التذكار، ص245.

³ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص269.

⁴ - ينظر منصور الشريف، عائلة المكني، ص107.

⁵ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص210 - 112 .

قول إن النية في الوصول إلى السيطرة تكمن في النفوس ولا تمت للمظهر بصلة.
يقول الكوني:

هل نستطيع أن نبيع هذا العتاد لنشتري بأثمانه ذهباً؟... السلاح خلق ليستخدم،
يامولانا البك، في رحاب البرّ، أو في عرض البحر!... من يستحق القصاص ليس
أهل غريان، ولكن أهل تاجوراء وحلفاءهم من أهل ترهونة ومسلاته الذين
لا يريدون أن يكفّوا عن ممارسة الشغب واثارة القلاقل.¹

إن الكوني يذكر حوار البيك مع الخازندار؛ وأراد توضيح حاجة البيك الماسة للمال

حتى إنه أراد بيع سلاحه، وأراد أن يصف شدة انزعاجه من أهالي ترهونة ومسلاته،
وهو ما لم تذكره الحوليات الليبية²؛ كما لم تذكره بعض كتب التاريخ³ مما جعلنا نتأكد
من أن ما ذكره الروائي كان من إضافاته التاريخية خاص أنه أخذ مادته
العلمية منها.

يقول الكوني :

انتهى من أوباش الكولوغلية في تاجوراء وزحف بقواته نحو جبل نفوسة.. أقبل عليه
رسول زعيم المحاميد. قدّم إليه رقعة بفحوى من سطر واحد⁴.
يذكر الكوني حملة البيك على تاجوراء وجبل نفوسة، ولكن ذكره لرسول المحاميد
ورسالاته التي أرسلها إلى البيك، هي من إضافات الروائي لأننا لم نجد لها ذكراً في
الحوليات الليبية⁵؛ ولا بعض الكتب التي ألفت على غرارها⁶.

يقول الكوني :

" ويقول أصحاب الحوليات أن اللقاء عقد في المرتفع الذي يطل على جندوبة. ففي
حين أقبل البك مرفوقاً بكوكبة من فرسانه أقبل الزعيم وحيداً"⁷.

¹ - ينظر ابراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً ص 147، 151.

² - ينظر شارل فيرو، الحوليات، ص 263 - 304.

³ - ينظر ابن غلبون، التذكار، ص 245.

⁴ - ينظر ابراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 153.

⁵ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 263 - 304.

⁶ - ينظر ن. إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص 107 - 125.

⁷ - ابراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 156.

إن ما يذكره الروائي فيما سبق، عن لقاء البيك أحمد وزعيم المحاميد في منطقة جندوبة مغالطة من الناحية التاريخية؛ حيث نجده يذكر لقاء زعيم المحاميد بالبيك بينما لم تذكره الحوليات الليبية، كما لم نجد ما يؤكد هذا القول¹ الأمر الذي يجعلنا نشك في أنه من خيال الروائي .

يقول الكوني:

اعتلى صاحب الدعوة الفاسي رابية تشرف على السهل الذي اصطفت فيه طوابير جيوشه الجرارة ليملاً عينيه بما فعلت يداه... استوقفه شبح اعتلى الرابية من الناحية

الأخرى ومضى نحوه في خطوات².

يتضح أن الكوني قد نسج بخياله قدوم ما اسماء هنا بالشبح ، وهو شلم إلى سيده الفاسي عند مشاهدته لجموع جيوشه، ما يجعلنا نتأكد من أن لقاء البيك بزعيم المحاميد في المرتفع هو من وحي خيال الكوني.

يقول الكوني:

" عاد لينفس كربته في مرسوم استصدره في الحال يقضي بصلب الخازندار على باب زناته، وإقالة دولتي من رئاسة الجيش وتولية يوسف المكني خلفاً له إلى جانب منصبه كرئيس للبحرية ليصير بمقتضى هذا المرسوم سيّد البر وربّان البحر. " ³.

يذكر الكاتب فيما سبق، ما قام به البيك أحمد من صلب للخازندار وعزل لدولتي وتولية يوسف المكني بدلاً عنه، ولكن كل ما جاء به الروائي كان من وحي خياله، لأن الحوليات⁴ لم تذكر هذه العقوبات القاسية، كما لم نجد من يذكر هذه العقوبات⁵.

يشعر المتلقي وكأن الكوني يود تذكير وتحذير ذوي الدسائس، ورؤوس الفتن من مغبة ما سيصيبهم من خلال هذه السطور.

¹ - ينظر الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص 58 - 61.

² - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، 161 - 162 .

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 159.

⁴ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 267 - 304.

⁵ - ينظر محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ص 160 - 161.

ويضيف الكوني :

"هل قلت أن سيدي الصيد يريد أن يتزوج حلومة بنت علي المكني؟"¹.

يذكر الكوني فيما سبق، زواج حلومة من سيدي الصيد ، وهذه مغالطة من قبل الكاتب لأن الحوليات لم تذكرها².

هذا و بعد اطلاعنا على أخبار علي المكني لم نجد ما يؤكد مصاهرته لسيدي الصيد

الذي ذكره الكوني³

ما يجعلنا نلاحظ تعجب البيك أحمد من هذا الخبر؛ لأن هذا التعجب يجعل من البيك إنساناً ذا مصلحة، ثم أنه يطلق اسم آهر على سيدي الصيد، أي أنه طارقي الأصل وهذا ما لم نجده في الحوليات الليبية⁴، أي أن الروائي يجعل من الطوارق أهل فضل على البيك أحمد مرتين؛ الأولى عند انقاذه من الموت، والثانية عند زواجه من زينوبة. يقول الكوني :

"هلك في تلك الغزوة جنده، وتشتت شمله، فاستنجد بتمائمه المجوسية التي كان يروق له أن يردّها من حين لآخر"⁵.

علمنا مما سبق أن الكوني يذكر علي المكني الصنهاجي، ويقول إنه مجوسي وهذه مغالطة مجافية للحقيقة التاريخية؛ لأننا لم نجد ما يؤكد هذا القول في الحوليات الليبية⁶، هذا وقد رأى البيك من اللازم أن يكون هو على رأس جيشه لإخماد الثورة التي ترأسها علي المكني، والذي ادعى أنه المهدي، ولكنه لم يك مجوسياً⁷.

يقول الكوني :

"استعاد القره مانلي المكوس التي كان نبي الزور قد استولى عليها من القافلة القادمة من أوجلة"⁸.

فيما سبق يذكر أن القافلة قادمة من أوجلة ،وهي من خيال الروائي ذلك

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص164.

² - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص304.

³ - ينظر منصور علي الشريف، عائلة المكني، ص89 - 104.

⁴ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص304.

⁵ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص171.

⁶ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص276 - 277.

⁷ - ينظر رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص20 - 21.

⁸ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص171.

أن الحوليات تذكر:

"واستحوذ أحمد القرماني على الخراج، الذي كان علي المكني قد جباه، وقفل راجعا إلى طرابلس منتصراً"¹. وتبدو المغالطة أكثر وضوحاً، وذلك عندما يذكر الروائي اسم المنطقة التي عاد منها البيك أحمد؛ في حين أنه عاد من سرت²، التي لا تبعد

عن مرسى الزعفران³.

يقول الكوني:

"تحدث الروايات كيف فوجيء أحمد بك القرماني في ذلك اليوم بسبب صمود أسوار الواحة أمام قذائف مدافعه"⁴.

يذكر الكوني حملة البيك أحمد على فزان، ومدى اندهاشه بأسوارها ولكننا نجد الحوليات تذكر:

"وكتب لحملته أن تكون من أنجح الحملات، فإنها أدت إلى إخضاع جميع أطراف فزان بأقصى سرعة"⁵.

وفي هذا مغالطة تاريخية فما ذكره من دهشته بصمود أسوارها؛ نجد الحوليات الليبية لم تذكره، وما يؤكد هذا سرعة اقتحام مرزق واحتلالها⁶.

كما أن القارئ يشعر أن الكوني حين ذكر قوة أسوار فزان؛ قصد صمود أهلها واتحادهم وما الأسوار إلا رمز لذلك.

يقول الكوني:

ما أن مزق قبس الفجر ظلمات تلك الليلة العصبية ليرى ذلك المغامر فرساناً قيل له إنهم أحفاد يوسف بن تاشفين... بدأت المفاوضات التي قضت بإخراجه من المدينة مصحوباً بأتباعه، ولكن بعد تجريده وتجريد مريديه من أي سلاح⁷.

يبدو فيما سبق أن الكوني قد بدأ بتعظيم صحراءه حين ذكر صمود أسوار مرزق؛

¹ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 277.

² - ينظر رودلفو ميكاي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانية، ص 20.

³ - ينظر محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ص 160 - 161.

⁴ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 183.

⁵ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 277.

⁶ - ينظر رودلفو ميكاي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانية، ص 20.

⁷ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 116.

لكي ينسج ثغرة يذكر من خلالها أهله الطوارق، وهذه الثغرة مفاجئة الباشا بصمود أسوار مرزق، وما أشبه مفاجئة الباشا بمفاجئة الفاسي بقوة الطوارق. يقول الكوني :

"إذا وعدتني بأن ترافقني إلى الشمال فسوف أمكّنك من دخول الواحة"¹. علمنا مما سبق أن الكوني أراد أن يظهر هزيمة البيك أحمد قدر استطاعته لدرجة أن جعله فيها يعتمد على خداع سليلة أمم الصقالبة؛ لكي يدخل للواحة وهذا لم يرد ذكره في الحوليات الليبية²، كما وجدنا ما يؤكد سرعة احتلال فزان³. ولكن دون مساعدة من سليلة الصقالبة التي ذكرها الكوني⁴. يقول الكوني :

أما الأمير فقد أمر باحضار سليل الظلمات الملقّب بـ " لون اللعنة" ... أوماً الناصر للخدم فهجم عليه زنجيان في قوة الأسد وحمله كأنه قطعة قشّ خارج البلاط، ولم يمض وقت طويل حتّى سمع الأمير جسم الوغد وهو يرتطم بمياه البئر⁵. فيما سبق يذكر الروائي، ما قام به أمير فزان لشخصية غير معروفة، و لا بد لها أن تكون من خياله، لأننا بعد تتبعنا لما تذكره الحوليات الليبية⁶ لم نجد له أي ذكر. يقول الكوني :

"وجد نفسه يلتجئ إلى هذا البيت في ذلك اليوم الذي عاد فيه من رحلة الصحراء " التي لقّن فيها مملوك فزان درسا " مصحوبا بالفتى ليستودعه أمانة في عنق صاحبة البيت"⁷.

يذكر الكوني ما قام به البيك أحمد من تبنيه، لطفل من فزان واستيداعه عند امرأة عجوز، ولكن ما رواه عن العجوز وأصل الطفل هو من خياله، لأننا وجدنا

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 185.

² - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 277 - 278.

³ - ينظر رودلفو ميكافي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 20.

⁴ - ينظر ن. إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص 115.

⁵ - ينظر إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 193.

⁶ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 277 - 278.

⁷ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 216.

الحواليات تذكر:

" ابنه بالتبنيّ البك عبد الله، البالغ من العمر أحد عشر عاماً"¹
أي ما يؤكد تبني الباشا له ولكن ما الذي يريد أن يقوله الكوني عبر ذكره لتبني

هذا الطفل ؟ ولماذا تبناه من فزان دون سواها؟

يقول الكوني :

" ولكن هل تلقون بأطفالكم في وجوه أعدائكم أحياء لتلهوهم عنكم ،أم لمجرّد
النية في التخلص منهم كما فهمت من قولك منذ قليل ؟الحق أننا نفعل ذلك بقصد
التخلّص منهم، فإذا أربكوا العدوّ وأعموه عنّا كان ذلك هو فضيلتهم الوحيدة "².
يفهم من ذلك أن الروائي يروي حواراً دار بين البيك أحمد وأحد الآباء وهو
في طريقه إلى فزان ،وفهمنا أن أهالي فزان عند تعرضهم للحروب يتخلّون عن
أبنائهم، كما علمنا أن الكوني يجعل أهالي فزان مساوين للحيوانات التي من السهل
عليها التخلّي عن أبنائها، عندما تتعرض للخطر وهذا بالطبع غير صحيح ومخالف
لطباع البشر لأن الأنسان ذو عاطفة قوية،وبالذات كلما قلّ العدد ونحن
نعلم مدى قلة عدد سكان الصحراء أنهم أكثر حنوا وحنانا على بعضهم؛كما أننا لم نجد
ما يؤكد هذا الخبر³ في حملة البيك لفزان أي أن الكوني قد وظف خياله في
الاستتقاص من قدر أهل فزان لغاية في نفسه.

يقول الكوني :

"هذا الصغير اسمه"مسي". التقيته في رحلتي الأخيرة إلى الصحراء فرافقني ليكون
لي عزاء في غربة الزور!"⁴

علمنا مما سبق أن الكوني، يذكر ما دار بين البيك أحمد وحلومة الطرابلسية
ووجدناه قد غالط فيما ذكر عن هذا الحوار لأننا لم نجد ما يؤكد¹؛ أما ما ذكره عن اسم
اسم الطفل "مسي" فهذا الاسم طارقي،وما ذكرته الحواريات عنه أن:"ابنه بالتبنيّ البك

¹ - شارل فيرو،الحواليات الليبية،ص304.

² - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص224.

³ - ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص207-217.

⁴ - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص234.

عبد الله². وعلى هذه فهو يغالط الحقيقة التاريخية أثناء محاولته أن ينسب هذا الطفل للطوارق أطلق عليه اسم "مسي"؛ والسؤال الذي يطرح نفسه هنا:

لماذا يتدارك الكوني أبسط الثغرات لينسج من خلالها انتماءه للطوارق و إعلاءه مكانتهم؟ أهو الحنين لنسبه أم العصبية؟
يقول الكوني :

"عليّ يردد في مجالسه أن بقاء مولاي في العرش رهين بأمواله، ويوسف يردد في مجالسه أن بقاء مولاي في العرش رهين بسيفه!"³.
يتضح أن الكوني؛ يروي ما قالت حلومة للبيك أحمد عما قاله الأخوان عنه ولكننا لم نجد ما يثبت صحة ما رواه⁴؛ أي أنها فرصة اغتنمها لكي يذكر الرواية بخياله.
يقول الكوني :

"الرايس هذا هو من استغلّ غيبته عن الإيالة أثناء الحملة على "قرّان" واندلاع نار الفتنة التي أشعلها ثنائي الخيانة الترياقى والأدغم ، فجمع المغامرين والسفلة وقطّاع الطرق ليكوّن منهم جيشاً للنهب والسلب"⁵.
يشعر القارىء، أن الكوني جعل من الرايس كبير قطّاع الطرق ،لأنه ذكر أن جيشه مكوّن منهم؛ ولم نجد ما يثبت أنهم قطاع طرق ذلك لأنهم بعض من بني علوان الثائرين⁶ و هذا ما يجعلنا نتساءل ما الذي يدفع الكوني لوصف الرايس بهذا الوصف الفظيع؟.

يقول الكوني: فبعث برسول إلى الشيخ طالبا تسليمه ... ولكن زعيم المحاميد ردّ عليه بقرطاس اختطّ فيه عبارة مبتسرة، ولكنها قاطعة⁷.

1 - ينظر محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ص160-161.

2 - شارل فيرو، الحوليات الليبية ص 304.

3 - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص236.

4 - ينظر رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص10.

5 - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص240 - 241.

6 - ينظر أحمد بك الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، لا توجد طبعة، سنة النشر 1984، الناشر، دارف المحدودة/لندن -

المملكة المتحدة، ص288.

7 - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص241.

يذكر الروائي ما قام به البيك أحمد من مطالبته بابن الرايس حين احتفى بزعيم
المحاميد ؛ وذكر إرسال الزعيم إلى البيك مكتوباً، ولكننا بعد اطلاعنا على التذكار¹،

وجدناه لم يذكر احتمال ابن الرايس بزعيم المحاميد ، لأن ابن الرايس بقى في فله
لنواحي نفوسة يتقلب مع أعراب المحاميد²؛ ما يجعلنا نؤكد أنّ هذين الخبرين هما من
نسج خيال الروائي ، ولا يمتان للحقيقة بصلة.

لاحظنا مما سبق أن الروائي جعل من زعيم المحاميد حامي حمى المتمردين في
كل مرة ففي المرة الأولى؛ حين حمى البيك أحمد، والمرة الثانية حين حمى ابن
الرايس من البيك .

يرد هنا تساؤل : لماذا يجعل الكوني هذا الدور مقتصراً على زعيم المحاميد دون
سواه؟

فنحن نشعر في وصفه بصيغة الإجلال..

يقول الكوني :

"وكي يدلّل زعيم المحاميد على سجيّته هذه امتطى جواده في اليوم التالي وأقبل عليه
وحيدا دون جيش أو أعوان ليقدم له التعازي في مصابه في عقر داره ، كأنه يريد
بهذا الفعل البطولي أن يقول : "لقد أعطيت بجوابي ما لقيصر لقيصر، ولكنني أقبل
عليك لأعطي ماله لله، فإذا كنت لا تصدقني فتستطيع أن تأخذني رهينة مقابل ولد
الرايس!"³.

علمنا مما سبق أن الكوني، يذكر ما قام به زعيم المحاميد من تقديمه العزاء للبيك أحمد
في أخيه شعبان بك ، بينما نعلم ما قام به هذا الزعيم في حماية قاتل أخ البيك ابن
الرايس ؛ ذلك لأننا قد وجدنا أن قاتل شعبان بك هو ولد الرايس⁴، كما أن الحوليات
أكدت :

¹ - ينظر ابن غلبون، التذكار، ص 245 - 248.

² - ينظر أحمد بك الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ص 288.

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 242.

⁴ - ينظر رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 27.

"وكان هذا القاتل - ويدعى ابن الرايس"¹ ما نجده هنا هو تصريح بقاتل شعبان بك أي أن الروائي لم يغالط الحقيقة التاريخية حين ذكر اسم هذا القاتل؛ بينما علمنا

أن ما قام به زعيم المحاميد حسب ما روى الروائي عن حمايته للمستجير وتقديم نفسه رهينة بدلاً عنه لهو البطولة ذاتها.

ولكن الروائي قد غلط الحقيقة التاريخية، حين ذكر موقف زعيم المحاميد البطولي لأننا لم نجد في الحوليات ذكراً له، فهو من قبيل خياله كما عودنا. يقول الكوني :

" لقد قررت أن أعفي رئيس بحريتي من منصبه عقاباً له على خرقه للمعاهدة الموقعة بين بلدينا!"².

يتضح مما سبق أنه؛ يذكر قرار البيك أحمد في عزله لرئيس بحريته ولكن هذا القرار لم يثبت³؛ أي أن ما رواه الكوني كان لإثراء روايته بخياله. يقول الكوني:

حلومة دائماً مهمومة. حلومة مهمومة بالأضياف الذين لا ينقطعون عن زيارتها كل ليلة... ويترنح الرجال مع ايقاع الطبول يمنة ويسرة وهم يتجرعون سوائل مربية في كؤوس جميلة ويرددون وراء المغنية الألحان⁴.

إن الكوني يصف بيت حلومة الطرابلسية بالملهاة و ذلك حين ذكر قدوم الرجال، والشراب المريب " الخمر "، ووجود المغنية، ما جعلنا ندرك أنه أراد ذم أخلاقيات حلومة وبيتها، لعل ذلك بسبب مكانتها عند البيك أحمد وثقته بها، ولعله بذلك يذم أخلاقيات البيك شخصياً، وهذا بالطبع من خياله الروائي لأننا بعد تتبعنا للشخصيات التاريخية وجدنا حلومة زوجة علي باشا وأم ولديه الحسن ويوسف⁵، ولم نجد ما يثبت أن ما ذكره الكوني من أخلاقها.

¹ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 284.

² - ابراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً ص 251.

³ - الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص 58-61.

⁴ - ينظر إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 256.

⁵ - ينظر ريتشارد توللي، عشر سنوات في بلاط طرابلس، ترجمة: عماد الديراوي أبو حجلة، لا توجد طبعة، لا توجد سنة النشر، الناشر/مكتبة مكتبة الفرجاني، طرابلس - ليبيا، ص 47.

يقول الكوني :

"الولد أفاد بأن الفاعل رجل أكتع رآه برفقة وجهاء الإيالة الذين يترددون على

حلّومة مرارا ،وقد كشفت تحريّات الشرط أن الرجل لم يكن سوى أحد خدم
المكّني!¹.

إن الحوليات لم تذكر حلّومة²؛مما يؤكد أن الكوني غلط الحقيقة التاريخية في ما قاله
عنها وأطلق العنان لخياله، حين ذكر مقتل حلّومة وقتلها، الذي جعله المكّني، وكأنه
أراد أن يكمل نسيج خياله الذي بدأه حين ذكر أن حلّومة من أخبرت البيك عن أقوال
الأخوين المكّني.

يقول الكوني :

جاءه مرابط الصحراء شفيعا.قال إنه لم يأت لطلب الرحمة للأخوين المكّني...أعلم
أن عليّا المكّني جدّ ذريّتك ،ويوسف عمّ امراتك³.

وهكذا نرى أن الكوني يذكر ما قام به سيدي الصيد، حين ذهب للبيك أحمد يطالبه
الصفح عن الأخوين؛ذلك لما يربطه به من قرابة.

ولكن هذا القول لم نجد ما يثبته⁴؛ أي أنه من مغالطات الكوني.

هذا و نلاحظ أن في كل مرة يذكر فيها الكوني سيدي الصيد يكون دوره خادماً
للخير ومناصرا للحق؛ لعل لأنه طارقي !.

يقول الكوني :

"لقد تم تنفيذ الحكم فجر هذا اليوم"⁵.

يفهم من ذلك أن الكوني يذكر تنفيذ حكم الاعدام في الأخوين وذلك حسب أمر البيك
أحمد ،وهذا القول يُعد مغالطة من الكوني، لأننا وجدنا منصور الشريف عند دراسته

لعائلة المكّني يذكر أن تاريخ وفاة يوسف المكّني كان بين سنتي 1723

¹ - ابراهيم الكوني،نداء ما كان بعيدا ص262 .

² - ينظر شارل فيرو،الحوليات اللبية،ص284 - 304.

³ - ينظر ابراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص263-264.

⁴ - ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص107 - 115.

⁵ - ابراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص266.

- 1724 دون أن يذكر أنه مات بحكم الإعدام لما تمثله هذه الشخصية من أهمية تاريخية؛ التي ليس من السهل إغفالها، كما نجده يذكر أن أحمد باشا كان يطلق عليه

لقب صاحب السعادة أي أنه كان يقدّره وليس من السهل إصدار هذا الحكم ؛ لما يحمله من تناقض¹.

يقول الكوني :

" وبلغ بهم الحقد حدًا دفعهم لأن يهجموا على شيخنا الجليل سعيد الدامومي قاضي القضاة ومفتي الديار، فحلقوا لحيته بعد أن أشبعوه ضرباً"².

فيما سبق ذكر الكوني أن النصارى؛ أسروا الحجيج الطرابلسيين الذين كانوا موجودين في ميناء المدينة القديمة بروما وقاموا بضرب وإهانة القاضي³؛ ولكن الكوني قد غلط هنا عندما ذكر أن اسم القاضي هو سعيد الدامومي، لأننا وجدنا الحوليات الليبية تذكر ما أصيب به الحجيج الليبيين من إذلال من النصارى؛ ولكنها لم تذكر اسم هذا القاضي تقول :

"وكان من بينهم أحد القضاة وقد أخبروه في رسالتهم بأنهم ضربوا بالفلقة، بل إن إذلال النصارى لهم وصل حتى إلى حد حلقهم للحية القاضي"⁴

مما سبق يتضح لنا، أن الكوني قد ذكر اسم أحد أكابر المحاميد؛ مما جعلنا نتساءل لماذا ذكر اسم أحد أكابر المحاميد دون سواهم؟

هذا ويشعر القارئ أن الكوني أراد أن يقول إن الإذلال والإهانة، لا بد أن تكون من نصيب المحاميد لا سواهم، كما يشعر القارئ أيضاً بعداوتهم لهم لمساعدتهم للبيك أحمد.

يقول الكوني :

"لن أجلس حتى تطلق سراح الرهبان أو تعتقلني بدلا عنهم!"⁵.

¹ - ينظر منصور الشريف، عائلة المكني، ص 108

² - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 267 - 268.

³ - ينظر رودلفو ميكاسي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 26.

⁴ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 282.

⁵ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 273.

فيما سبق يتضح أن الروائي، أراد وصف مدى حرص القنصل على سلامة الرهبان ومن معه من المعتقلين لدى البيك لدرجة أنه طالب بأن يعتقل بدلا عنهم، ولكن هذا الحرص لا نجده في الحوليات حيث تذكر:

" فاستلقى اكسبلى فوق أريكة بجانبه قائلاً: "حسناً!... سأقضي ليلتي هنا على هذه الأريكة، ولن أغادر القلعة إلا وبمعيّتي الرهبان وفي يدي المفاتيح"¹.

مما سبق نتبين أن الكوني؛ قد بالغ في حرص القنصل واصراره عندما ذكر أنه سيبقي ليلته واقفا ويريد من البيك أن يعتقله بدلا عنه، بينما علمنا من الحوليات أنه جالس على أريكة مواجهة للبيك أي أننا وجدنا اختلافاً في طريقة ضبط النفس التي تحلى بها القنصل ليضغط على البيك أحمد، في حين أثبت تدخل القنصل اكسبلى في إطلاق سراح قساوسة الإرساليات²، ولكن دون أن يصل إلى الحد الذي وصفه الكوني. يقول الكوني:

"أما النفع الذي أراد القرمانلي أن يجنيه من وراء إثارة الزوبعة في وجه رسول الباب العالي فهو، كما قيل، البلبلة! ذلك أن جواسيس الباشا كانوا قد أخطروه بنية السلطان في إرسال صاحب الدهاء المدعو "كاشوف" إلى ديار الإيالة لحمله على الاقتصاص من الشاوش "محمد صولو" الذي كان أول من سدّد الطعنة المميتة إلى صدر خليل باشا الأرناؤوطي"³

إن الروائي، يصف ما فعله البيك أمام رسول الباب العالي؛ كما ذكر اسمي كل من رسول الباب العالي "كاشوف" والشاوش "محمد صولو" ولكن هذا القول لا نجد ما يثبتته في الحوليات الليبية، حين تذكر هذه الحادثة:

" فإن الباب العالي قد أوفد للمرة الثالثة إلى طرابلس.. أحد ضباطه للمطالبة برأس الشاوش: إن الرأي العام قد اتهمه بأنه هو الذي سدّد أول طعنة قاتلة إلى خليل

¹ - شارل فيرو، الحوليات الليبية ص283.

² - ينظر رودلفو ميكافي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص26 - 27.

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص276.

باشا الأرناؤوطي"¹

نلاحظ أن الحوليات لم تذكر أسماء وإن اقتصرنا على ذكر الأحداث، وإن أصر الكوني على ذكرها؛ دون أن عرف دوافعه إلى ذلك ثم لاحظنا ما ذكره الروائي عن يقينه من أن قاتل الأرناؤوطي هو محمد صولو بينما وجدنا الحوليات تذكر اتهامه من قبل الباب العالي؛ وكلنا نعلم أن المجرم بريء حتى تثبت إدانته، فمن أين جاء الكوني بدليله ليثبت إدانة محمد صولو بهذه الجريمة؟!.

رغم أن الحوليات ذكرت الاتهام من قبل الباب العالي، فإننا لم نجد ما يثبت هذا القول² وما وجدناه هو ذكر خبر مقتل خليل باشا من قبل أحمد باشا³. يقول الكوني :

إلى جوار الضباط جثا "محمد صولو" على ركبتيه مقيد القدمين، مغلول اليدين... وفي اليوم الثالث كان الشاوش محمد صولو "يجلس في حانة" ترافيرسو" الواقعة في ميدان "ماركوس أوريليوس" يحتسي نبيدا إيطاليا فاخرا⁴. علمنا مما سبق أن الكوني ذكر ما فعله البيك؛ بمحمد صولو عند مطالبة الباب العالي للقصاص منه، ولكننا لم نجد ما يثبت هذا الفعل، حيث تذكر الحوليات عنه: "تظاهر أحمد القرمانلي بالتعجيل في الامتثال لرغبات السلطان، إذ قبض فوراً على ذلك الشاوش ووضع على ظهر مركب في حراسة اثنين آخرين من الضباط قيل أنه صدرت إليهما أوامر مشددة بقطع رأس الشاوش عندما يصبح المركب على بُعد أربعة أميال من المدينة، ثم بإلقاء جثته في البحر. وعاد الضابطان في اليوم التالي حيث أعلنوا في كل مكان أنه قد نفذ حكم الإعدام في ذلك الشاوش.. وقفل المندوب التركي راجعا بسفينته إلى الأستانة، غير أنه ما أن توارى حتى ظهر الشاوش"¹.

¹ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 282.

² - ينظر الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص 56 - 71.

³ - ينظر ن. إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص 111.

⁴ - ينظر إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 281 - 282.

يتبين لنا مما سبق ذكره أن الكوني؛ وافق الحقيقة التاريخية حين ذكر قبض جنود البيك أحمد على محمد صولو منفذين لأمر قتله، إرضاءً من البيك للباب العالي، ولكننا لاحظنا؛ أن الروائي أغرق محمد صولو في نعيم من خياله؛ حين ذكر أنه في حانة ويشرب نبيدا فاحرا؛ نلاحظ التناقض بين حكم الموت وإذلاله بالقيود، وما عاشه من سعادة بعد ذلك بأمر البيك، لعل الكوني قصد تصوير خداع البيك للباب العالي واستهزائه بمطالبه²؛ ولعله قصد مكافأة البيك لمحمد صولو عن ما أتهم به، من الأستانة ذلك ليوضح الكوني مدى سعادته بمقتل خليل باشا الأرناؤوطي.

يقول الكوني :

"فقد أعقب سفر رسول الإنجليز وصول المندوب الفرنسي الذائع الصيت "دوزو" رسولا من ملك فرنسا لتوقيع معاهدة سلام جديدة بين البلدين"³

سبق أن ذكر الروائي وصول مندوب فرنسا لطرابلس ليوقع معاهدة جديدة مع البيك أحمد، اتضح لنا أن الكوني لم يغالط في هذه الحقيقة التاريخية لأننا وجدنا الحوليات الليبية تذكر مجيئه لطرابلس لهذا السبب حيث تذكر:

" وفي شهر مارس سنة 1720 ، توجه مندوب آخر من طرابلس، مجدداً إلى باريس للعمل على الحفاظ على حالة السلم بين البلدين. وترتب على تلك الزيارة إفاد فرنسا لمبعوثها، المطلق الصلاحيات، (دوزو Dusault)، مرة أخرى، حيث أبرم مع طرابلس، باسم بلاده، معاهدة جديدة في الرابع من يولييه سنة 1720 "⁴

أزدادت مغالطة الكوني وضوحاً، لأنه ذكر مجيء مندوب فرنسا وحرصه على إبرام معاهدة جديدة مع طرابلس؛ وكأنه يريد القول بأنه يخشى فقدان العلاقة مع الإيالة لمكانتها لدى فرنسا، ما يجعلنا نقول إن من بادر للذهاب إلى فرنسا هو مندوب الإيالة؛ أولاً في حين أعقبها مجيء مندوب فرنسا إلى طرابلس⁵.

¹ - شارل فيرو، الحوليات الليبية ص282 .

² - ينظر رودلفو ميكاي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص39.

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص286.

⁴ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص282.

⁵ - ينظر محمد الهادي أبو عجيبة، النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط، ص130 - 131.

يقول الكوني :

وما أن اعتلى السفير "دوزو" متن سفينته حتى فوجيء بأنها قد تحولت إلى مدينة رومانية تنتصب في كل أركانها تماثيل منحوتة من المرمر الأخضر... ولم يكن ذلك المتحف الذي فاز به رسول ملك فرنسا "دوزو" في تلك الرحلة التاريخية سوى آثار مدينة "لبدة"¹.

يتبين لنا مما سبق، أن الكوني يجعل من البيك أحمد غير مبالٍ بتاريخ الإيالة الطرابلسية؛ حين ذكر أنه قدّم آثار مدينة لبدة هدية لمندوب فرنسا "دوزو" لأن الآثار لدى من يقدرها؛ لاتقدم هدية مهما بلغت درجة الصداقة. كما أننا لم نجد ما يثبت صحة ما ذكره الكوني²؛ عن هذه الآثار، مما يجعلنا نتساءل عن سبب وصف الكاتب للبيك أحمد بهذا القدر من اللامبالاة؟!.

يقول الكوني :

" فهو لم يطأ هذا البيت منذ أن كتم الطاعون أنفاس المدينة فمنعه القره مانلي خوفا من الوباء"³.

إن الكوني يذكر إصابة طرابلس بوباء الطاعون ، وهذا ما ذكرته الحوليات الليبية أيضاً :

" في شهر يونيه سنة 1733 تفشى الطاعون في طرابلس وفتك بالناس فتكا شديدا سواء في المدينة أو في السواحل"⁴.

أي أننا علمنا أن الكوني لم يغالط في ذكره لإصابة طرابلس بالطاعون، ولكنه ذكر خوف البيك على ابنه بالتبني "مسي" ، كأنه يريد ذكر حرص البيك على سلامة الطوارق؛ بينما لم نجد مايؤكد حرص البيك على سلامة ابنه بالتبني "عبد الله"⁵.

¹ - ينظر إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 286 - 287.

² - ينظر محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ص 160 - 161.

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 291.

⁴ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 298.

⁵ - ينظر الصادق النهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص 58 - 61.

إن حرص البيك على ابن الطوارق هو في الحقيقة حرص الكوني لا البيك ذلك لمعرفة بنسبه لهم. وإنما أتخذ حرص البيك ثغرة لما يجول في نفسه.

يقول الكوني :

" ولهذا وجد المسيو "مارتان" MARTIN في تلك المواجهة التاريخية مع القرمانلي حرجاً لم يعرفه يوماً".¹.

علمنا مما سبق أن الكوني ؛يصف ما أصاب "مارتان" MARTIN من حرج عندما قابل البيك لعل قصد الكوني شدة هيبة البيك أحمد ،أو لكي يصف تفاهة الأمر الذي جعل "مارتان" يقابله، ولكن ما ذكره عن مصاب "مارتان" لم نجد ما يؤكد² أي أنها بذرة من خيال الكوني التي يحاول إنماءها من خلال هذا الحرج، والتي لعل يكون أصلها السخرية إذ قصد شدة هيبة البيك لدى "مارتان".

يقول الكوني :

" فليسمح لي سعادة الباشا أن أذكره بأن هذا القرصان هو الذي استصدر الباب العالي بشأنه فرمانا يقضي بإعدامه نزولا عند طلب صاحب الجلالة ملك فرنسا!³ أن تذكير سفير فرنسا للبيك بطلبه إعدام القرصان بعد أن أصدر الباب العالي فرمانا؛ جاء بعد مطالبة ملك فرنسا أولا باعدامه ،ولكن الحوليات الليبية تذكر :

" وعده بقتل القرصان المذكور لم ينفذ⁴ ،بالرغم من أن السلطان العثماني نفسه كان قد طالب برأسه بموجب فرمان خاص تحصل عليه عندئذ السفير الفرنسي في الآستانة

5"

يتبين لنا أن المغالطة التاريخية تكمن في مطالبة البيك بإعدام القرصان أولا حيث علمنا أن الكوني يجعل فرنسا أول من طالبت بذلك فأصدر الباب العالي فرمانا بإعدامه، وهذا القول من خيال الكوني لأننا وجدنا أن الباب العالي هو من

أراد هذا الحكم وهو ما وافق رغبة فرنسا¹.

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص328.

² - ينظر رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص38-39.

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص335.

⁴ - ينظر رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص39.

⁵ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص286.

لعل قصدَ الكوني مما رواه هو توضيح مكانة فرنسا عند الباب العالي.
يقول الكوني :

"" الشيطان " ينتظر إذن مولاي بالدخول ! "2.

قدوم القرصان للبيك حدث تاريخي من خيال الكوني؛ لأنه لم يذكر³ في كتب التاريخ.

لاحظنا أن الكوني استغل دور القرصان؛ لكي يترك المجال لخياله في الرواية، لعله علم أن هذا العنصر لم يشغل مكانه المعتاد فيها؛ ذلك لأنه قد ذكر العديد من الحقائق التاريخية.

يقول الكوني :

كان الوليد قد ترعرع ودبّ على قدميه. قال ببرود " أنت لست أبي، وهي الخادم التي اشتريتها في السوق بقطعة حديد! ". جئت بهدي النبوة لأنقذ صاحب النبوة من الورطة في الوقت المناسب!⁴

يبدو فيما سبق أن الكوني حين روى عن القرصان جعل منه شيطانا، من ناحية إغراقه للسفن، وحين روى عن الطفل جعل منه شيطانا أيضاً لمعاملته لوالديه السيئة وبعد ذلك عاد الكوني لوصفه بالمنقذ ؛ حين أنقذ صاحب النبوة في وقتٍ عصيب. بعد تتبعنا لهذه الأدوار، لعله أصاب حين وصفه في معاملته لوالديه، ولكنه لم يصب حين جعل منه منقذاً، رغم إصرار الكوني على وصفه بهذا الاسم.
يقول الكوني :

" حرصاً على وحدة البلاد التي وضعت الأقدار زمام أمرها بين يديّ.
فأرملة الأرناؤوطي لكسب أهل المدينة، والتركية لذرّ الرماد في عيون

¹ - ينظر محمد الهادي أبو عجيبة، النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط، ص 137.

² - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 338.

³ - ينظر رودلفو ميكافي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 39.

⁴ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 39 - 40، 112.

الجالية التركية وبقايا الانكشارية، والجبالية لاسترضاء قبائل الجبل، والدرناوية لاستمالة أهل برقة، فأى هذه النساء تريدني أن أطلق دون أن أززع البنيان الذي شيدته بيدي؟¹.

هذا ما ذكره الكوني على لسان البيك أحمد لسيدي الصيد عندما أراد الزواج من ابنته، ولكن الحوليات تذكر:

" أحمد القره مانلي وحبه للنساء على الدوام مضرب الأمثال ².

أي أن الكوني يتفق والحوليات الليبية؛ في حب البيك للنساء، ولكن الحوليات لم تعدد زوجات البيك ولم تذكر أن لهن دوراً في امتلاك حكمه وحمايته. في حين أننا بعد تتبعنا لأخبار البيك، لم نجد ما يؤكد ولعه وحبه للنساء³ أولاً، واتخاذهن وسيلة لنيل الحكم⁴.

بينما ذكر الكوني أسماءهن وجعلهن أربعاً من مناطق مختلفة؛ لكي يجعل من أهلن حماة عرشه، كما نجده يسخر من البيك حين جعلهن أساس بنيان عرشه.

يقول الكوني :

وقفت الشقية أمام الأب ساعة اختلى بها...أوصاها أيضا ألا تنسى أن تضع محتوى الصرة في فمها وتبتلعه دفعة واحدة ما إن تطأ قدماها مخدع الباشا ... نزعت خيط الجلد فوجدت في الصرة مسحوقاً كثيراً تفوح منه روائح أعشاب مجهولة⁵.

إن الكوني، ذكر ما حدث لابنة سيدي الصيد يوم زفافها ؛ حين قدّم لها الوالد صرة؛ تحمل مسحوقاً لتموت به، بينما نجد الحوليات الليبية تذكر:

" ردّ عليه المرابط قائلاً ان ابنته كان لديها ما يكفي من الأنفة ما يجعلها تقبل بأن تتجرع من يديه قبيل رحيلها مشروباً مسمماً⁶.

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ماكان بعيداً، ص 351 - 352.

² - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 302.

³ - ينظر محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ص 160-161.

⁴ - ينظر ابن غليون، التذكار، ص 245 - 248.

⁵ - ينظر إبراهيم الكوني، نداء ماكان بعيداً، ص 354 - 355.

⁶ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 304.

يتبين لنا مما سبق أن الكوني؛ قد نسج بخياله مرتين، المرة الأولى حين ذكر أنها تناولت الصرة ما أن وصلت حجرة البيك، في حين ذكرت الحوليات أنها تجرعت السم قبيل ذهابها إلى بيت البيك.

والمرة الثانية ؛ حين وصف السم بأنه مسحوق من أعشاب مجهولة ،في حين ذكرت الحوليات أن السم مشروب.

ما قاله الكوني يجعلنا نتساءل:إذا كانت الفتاة قد ماتت منتحرة حين تناولت السم من والدها في رواية الكوني ؛ لماذا يغير الكوني في نوع السم ووقت تناولها إياه ؟ إذا كان المضمون واحداً.

ثم إننا لم نجد ما يؤكد هذه الحادثة التاريخية¹ في حياة البيك أحمد سوى الحوليات ما يجعلنا نشك في صحتها.

يقول الكوني :

"حرروا بياناً خطياً موجهاً إلى قنصل فرنسا في الإيالة يقضي برفض المملكة الطرابلسية للإنذار الفرنسي شكلاً وموضوعاً!"².

يتضح أن الكوني ،ذكر بيان الباشا القره مانلي الذي حرره لقنصل فرنسا والذي يتضمن رفض الإيالة لإنذار فرنسا، ولكن نجد الحوليات الليبية تذكر: "وإذ أبلغ القنصل مارتان بمضمون ذلك التصريح فإنه توجه إلى القلعة على الفور للاحتجاج على تلك النوايا السيئة"³.

يفهم من ذلك أن الكوني لم يغالط الحوليات الليبية؛ عندما ذكر أخبار القنصل الفرنسي، ولكنه غالطها حين ذكر أنه حرر بياناً خطياً، لأن الحوليات ذكرته تصريحاً، والتصريح عادةً يكون شفوي لا خطياً، وما يؤكد أنه شفوي حين صرح البيك بأنه لم يكن يرغب في تسليم الفرنسيين أي شيء ،وعندما علم القنصل "مارتان"

¹ - ينظر رودلفو ميكافي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 5 - 89.

² - ابراهيم الكوني، نداء ما كلن بعيداً ص 367

³ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 286.

بذلك احتج لدى الباشا¹.

يقول الكوني :

"بحر ليبيا مساء يوم 20 يوليو 1728 المسيو بروش مستشار القنصلية الفرنسية فقد استأذن الباشا بالتوجه إلى دار القنصلية و لكن القره مانلي لقن النذير وصية يطوف بها شوارع المدينة تقول "كل الرعايا الأجانب، بما في ذلك الأسرى و رهبان الإرسالية، هم أمانة في أعناقنا، والتعرض لهم بالسوء هو مساس بالدين، علاوة على أنه إهانة موجهة للباشا!"².

يتضح في بادئ الأمر أن الكوني لم يغالط حين ذكر استشارة القنصل الفرنسي للباشا، وإعطائه الإذن بالتوجه للقنصلية، حيث نجد الحوليات الليبية تقول :
"أما مستشار القنصلية الفرنسية بروش BROCHE الذي كان محتجزا بالمدينة - فقد سمح له بالتوجه إلى دار القنصلية الفرنسية في صحبة حراس لضمان عدم تعرض الناس له"³.

إن مغالطة الكوني، تكمن في ذكره الوصية التي لم نجد لها ذكراً⁴، أي أنها من خياله الروائي.

لعل الكوني قصد حماية الباشا لهؤلاء الأجانب هو خوفه من بلدانهم ، لذا أكد الكوني شدة حماية الباشا لهم بهذه الوصية.
يقول الكوني:

"في الساعة الثامنة من مساء اليوم نفسه بدأ القصف مساء يوم 20 يوليو 1728 استمر القصف طوال الليل ،ولكن سادة الإيالة لم يفلحوا في اقناع الباشا بالانتقال إلى المخيم إلا في صباح اليوم التالي بعد أن حوّل القصف المدفعي المستمر جناحه بالقلعة إلى أنقاض"⁵

¹ - ينظر محمد الهادي أبو عجيبة، النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط، ص 138.

² - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 385 - 386.

³ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 290.

⁴ - ينظر ن. إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص 121.

⁵ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 386 - 389.

ذكر الكوني فيما سبق، ما حدث أثناء قصف الإيالة من السفن الفرنسية، ومدى إصرار الباشا أحمد على البقاء في القلعة، وهذا لم تذكره الحوليات الليبية حين تذكر هذه الحادثة:

" وقعت أول قنبلة داخل القلعة، الأمر الذي اضطر الباشا إلى مغادرتها والخروج للتخيم عند السهل الواقع بين المدينة والواحة"¹.

تتضح لنا مما سبق مدى مغالطة الكوني التاريخية، ذلك لأن الحوليات لم تذكر إصراره على البقاء في القلعة في حين ذكرها، جعل منه بطلاً بينما لم نجد هذه البطولة في الحوليات.

هذا وقد وجدنا ما يؤكد ذكر الحوليات حين سقطت أولى قنابل الأسطول الفرنسي على القلعة، واضطرّ الباشا إلى معادرتها لمعسكر خارج أسوار المدينة². نستنتج من هذا القول شدة مغالطة الكوني للحقيقة التاريخية. يقول الكوني :

نجا " الخناس " بحيلة... انتهر اللئيم الفرصة فقفز على جواده واستنجد بالخلاء³. يبدو فيما سبق، الأمر أكثر وضوحاً، في فرار الفاسي بعد هزيمة جيشه الذي غالت الكوني حقيقته التاريخية، لأن الفاسي من القوة لدرجة أن أهل فزان استعانوا به لانقاذهم من جور حكامهم، ولحسم الخلافات التي كانت بين الطوارق والخرمان، وذلك بتتصيه سلطاناً عليهم سنة 1550م⁴.

بينما وجدنا الكوني لم يرو فرار البيك أثناء القصف ما يؤكد موقفه من البيك. يقول الكوني :

"كان اليوم الذي أعقب قصف الليل العنيف عرساً حقيقياً وقد تعمد الباشا أن يستخف بقصف الفرنسيين اليأس طوال صبيحة ذلك اليوم حتى إنه لم يجد حرجاً في أن

¹ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص290.

² - ينظر رودلفو ميكاي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص50.

³ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص142 - 143.

⁴ - ينظر رجب نصير الأبيض، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، الطبعة الأولى، سنة النشر 1998، منشورات مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية، ليبيا، ص50 - 51.

يقترح استدعاء القائد دي جرانبيري ليشاركهم طعام اللائم قبل أن يواصل في المساء
قصف المدينة "1.

علمنا مما سبق أن الكوني، أراد أن يصف مدى سخرية الباشا بالفرنسيين، وفي ذات
الوقت لاحظنا مدى اغراقه في خياله الروائي، لدرجة أفقد خياله رونق الرواية،
ما جعلنا نتساءل: كيف لعدو يقصف ومتضرر أن يقيم أعراساً؟.
لماذا يقيم الباشا الأعراس أكان هو المهاجم المتأكد من هزيمة خصمه؟.
ولكن في المقابل أكان على الكوني أن يوظف خياله، في وصف حماسة الباشا لبث
روح العزيمة بين سكان الإيالة !.
لعل الكوني قصد بهذه المفارقة شيئاً آخر!...

يقول الكوني :

"لأن شظية أصابت الأمير الفرنسي (دي بوفوا) في رقبتة فتبين له نزيفٌ حاد لم
يفلح أطباء الباشا في إيقافه إلا بعد كفاح باسل"2.
ذكر الروائي هذه الحادثة، ولكننا لم نجد لها في الحوليات الليبية؛ كما لم نجد لها ذكراً
في كتب التاريخ التي اعتمدت عليهم الحوليات، والتي فصلت أحداث الحرب ضد
الإيالة الطرابلسية وذكرت قلة الخسائر في الأرواح3.
أي أنها من خياله لعله ليذكر شدة قصف القوات الفرنسية للإيالة، لدرجة إصابة
السجون ومن فيها بالأضرار.

يقول الكوني :

" أمر الباشا باستدعاء أعضاء الديوان وأكابر المدينة والتجار وأعيان القبائل، تكلم
الباشا يومها فقال باقتضاب بأن النصارى يريدون الصلح "4.

1 - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص391.

2 - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص398.

3 - ينظر رودلفو ميكافي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص50-51.

4 - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً ص401.

مما سبق وجدنا الكوني ذكر ما قام به الباشا عند ما طالبه الفرنسيون بالصلح حين اجتمع بأعضاء ديوانه، ولكن الحوليات الليبية ذكرت :
" وكان السيد دي جرانبيري في رسالته يحث الطرابلسيين على قبول الصلح.
فاستدعى القرمانلي كبار موظفي الولاية وأكابرها وأعيانها لإطلاعهم على محتواها. ونصح آغا القوات بقبول الصلح تفادياً للاضطراب فيما بعد إلى قبول شروط أشد إجحافاً"¹.

لقد غلط الكوني الحقيقة التاريخية ؛ حين ذكر عبارة (تكلم الباشا) بينما ذكرت الحوليات الليبية عبارة (لاطلاعهم على محتواها)، وقد أثبت ورود هذه العبارة² نجد أن الكوني اقتضب في ذكره لقول الباشا دون أن يذكر أمر الرسالة والاطلاع عليها، وهنا تكمن المغالطة رغم أن المضمون في إعلام أعضاء الديوان وطلب الفرنسيين الصلح واحداً.
يقول الكوني :

" أن الماركيز دانتان قدم للباشا مسدساً فريداً دقيق الصنع موشى بالذهب هدية رمزية من الجانب الفرنسي"³.

إن ما ذكره الكوني عن هدية الماركيز للباشا يعد من خياله الروائي ذلك لأن خبر هذه الهدية لم تذكره الحوليات الليبية⁴، كما أننا لم نجد من المؤرخين من ذكره⁵، ما يجعلنا نتساءل: ما قصد الكاتب من هذه الهدية؟ ولماذا كانت الهدية مسدساً دون سواه؟ ولماذا ذكر أنها من الماركيز الفرنسي دون غيره من الرسل؟.
كثرة التساؤلات هذه لابد أن تكون لها إجابات ، سواء أ كانت في ظلال سطور الرواية أو أنها باقية في نفس الكوني!.
يقول الكوني :

كانت قارورة في حجم الإبهام... فتح سدادة فوهتها ساعة تلقاها من العم سليمان¹.

¹ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص290.

² - ينظر محمد الهادي ابو عحيلة، النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط، ص143.

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص409.

⁴ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص291.

⁵ - ينظر ن. إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص107-125.

يتضح أن الكوني روى عن هدية العم سليمان لمحمد باشا ؛وهي قارورة من سم كأنه أراد أن يؤكد نيل أحمد ومحمد باشا هدايا غريبة ،والتي تؤدي للموت أم أن الكوني فضل ما نسجه خياله حول هدية الماركيز للبيك،فأثر أن يُهدى محمد باشا هدية مماثلة لهدية والده ولكنها من العم سليمان.

يقول الكوني :

" أريدك أن تفهمه أنه ليس حاكماً على عاصمة الصحراء فزان "2.

فيما سبق نجد الكوني ذكر الحديث الذي دار بين الباشا وابنه محمد عن حاكم فزان،بينما لم نجد ما يؤكد³ أي أن ما رواه الكوني من خياله.

لعله قصد من ذلك إذلال حاكم فزان وإهانتته ،ذلك ما جعله يذكر هذا الحديث.

يقول الكوني :

" بعد قطع الطريق على الكنوز بعث إلى الناصر في قمقمه الخرافي رسالة تقول:

" لست في عجلة من أمري لأنه ليس لدي ما أفعله كأبي!وسوف أنتظر خروجك هنا إلى الأبد إذا استدعى الأمر ،لأنني على يقين بأنك لن تستطيع أن تصمد في هذا الجحر حتى لو تحوّلت فأراً "4.

ذكر الكوني فيما سبق ما قام به محمد باشا حين وصوله إلى قلعة حاكم فزان حيث أرسل إليه رسالة يعلمه فيها أنه باقٍ في انتظاره مهما طال ذلك، بينما علمنا أن ما ذكره الكوني عن هذه الحادثة هي مغالطة تاريخية لأنها لم تذكر⁵،لعل قصد الكوني من إيرادها وصفه لشدة محاصرة حاكم فزان ،وبالمقابل شدة عزم محمد باشا في انتظاره مدى الحياة.

يقول الكوني :

"لم يطل مقام الناصر في جحره لأنه ما لبث أن بعث إلى الأمير محمد بالأولياء ليضعوا تحت قدميه رايات الاستسلام"1.

1 - ينظر إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص170.

2 - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص426.

3 - ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص58 - 6.

4 - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص431.

5 - ينظر محمود ناجي،تاريخ طرابلس الغرب،ص160 - 161.

ذكر الكوني ما قام به الناصر حين استسلم لمحمد باشا ، من إرساله لأوليائه، وهذه مغالطة تاريخية أخرى حيث وجدنا الحوليات الليبية تذكر :

" ولم يكن في إمكان أحمد ناصر أن يتصدى لقوات جرارة كتلك ، فاضطر إلى التسليم." ².

نلاحظ أن الحوليات الليبية؛ قد أكدت أن الكوني قد غلط الحقيقة التاريخية حين لم تذكر أولياء الناصر الذي قام بإرسالهم لمحمد باشا ³.

يشعر القارئ لما سبق، أن الكاتب ذكر ذلك ليتلذذ بهزيمة الناصر وشدة خوفه من الباشا.

يقول الكوني :

"ولكن الأمير وضع شروطاً مخيبة للآمال مقابل الغفران قال لفريق المرابطين أن الناصر يجب أن يدفع ثمن خطيئته بما تقدّم من المكوس وما تأخّر . ليس هذا فحسب، ولكن عليه أن يتحمل نفقات الحملة كاملة ذهباً ابريزاً " ⁴.

نلاحظ أن الكوني ذكر شروط الأمير محمد القره مانلي على ناصر فزان ، ولكنه غلط الحقيقة التاريخية، في ذكره لمتقدمات المكوس والذهب الأبريزي ، حيث لم نجد ما يؤكد ما ذكره الكوني ⁵ أما الحوليات الليبية فتذكر هذه الشروط :

" وعفا عنه محمد بك شريطة أن يقوم بدفع نفقات الحملة ومتبقيات ضريبة الخراج " ⁶.
إن الكوني غلط في شرط المتقدمات، في حين أن محمد بك طالب بالمتبقيات ⁷ أي أنها مغالطة من النقيض إلى النقيض، كما ذكر الذهب وهذا بالطبع من خيال الكوني

الروائي.

يشعر المتلقي لما سبق أن الكوني ذكر الشروط التي أراد من البيك أن يشترطها على الناصر.

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 431.

² - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 299.

³ - ينظر رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 65 - 66.

⁴ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 431.

⁵ - ينظر ن. إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص 115.

⁶ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 299.

⁷ - ينظر رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 65.

يقول الكوني :

" تصادف عودة الأمير منتصرا مع إصابة الباشا ببليّة غامضة اسمها الصّداغ! "¹.
ويتضح أن الكوني قد ذكر خبر إصابة الباشا بمرض الصّداغ ولكن هذا الخبر يُعد من خياله لأن؛ الحوليات لم تذكر أصابته بهذا المرض²، كما لم نجد من يذكره ويؤكد³.
يقول الكوني :

كان يحترق بجحيم الحمّى...وبعدها لفظ أنفاسه الأخيرة⁴.
إن الكوني يصف ما أصاب شلم بعد لدغ الأفعى له، والتي كانت سبب موته
ولاحظنا أنه قد روى مرض البيك أحمد بالصّداغ، لكي يدلّل عن ضعف قواه،
من ناحية، وليفسح المجال لخياله، ما يشعر المتلقي بأن الكوني لا يريد أن يقتل
شخصه قبل أن يتلذذ بهلاكهم.

يقول الكوني :

" أمر الباشا بإلقاء الناصر في غياهب السّجن قبل أن يوحى إلى القضاء بالحكم عليه
بالإعدام ! وبالفعل صدر الحكم فأمر الباشا بإعداد المشنقة في إحدى ساحات سوق
الترك "⁵.

وهذا مخالف للحوليات الليبية :

" فإنه سلم نفسه هو وابنه إلى معسكر محمد بك، فاقتاده هذا الأخير إلى طرابلس وكان
الباشا يرغب في الحكم عليه بالإعدام "⁶.

مما سبق يتضح لنا مدى مغالطة الكوني، لأننا وجدنا الحوليات ذكرت أن الناصر وابنه
هما من ذهباً بنفسيهما للسّجن، وهما لم يعدما⁷ رغم نية الباشا في ذلك.

أي أن الكاتب ذكر هذا الخبر بيقين كأنه أراد تحقيق نوايا الباشا ضد الناصر؛ ولعل

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص432.

² - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص299.

³ - ينظر أحمد بك النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ص282 - 289.

⁴ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص235.

⁵ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص434.

⁶ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص299.

⁷ - ينظر رجب نصير الأبيض، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، ص89.

الكاتب شارك الباشا في هذه النوايا المبطنة.

يقول الكوني :

" اسمحوا لي أن أبتاعه منكم بقرشين اثنتين فحسب لا لأستبقيه إلى جواري ولكن لكي أتنازل عنه لابني "محمد" الذي قرر أن يجرب حظّه مع أهل السوء ! " ¹.
إن الكوني ذكر أن أحمد باشا هو من تحدث وتنازل عن الناصر لابنه محمد؛ ولكننا نجد الحوليات تذكر غير ذلك :

"حيث قام بعرض أحمد ناصر وابنه للبيع بالمزاد العلني كما لو كان من الأرقاء الأذلاء؛ فاشترهما ابن الباشا بقطعتين من النحاس " ².
نلاحظ أن الكوني أطلق عنان خياله فيما ذكر ثلاثة مرات، الأولى حين ذكر أن أحمد باشا هو من تحدث وهذا لم تثبته الحوليات ،والثانية حين ذكر عن الناصر بمفرده والحوليات ذكرت أن معه ابنه في هذا الموقف ،والثالثة حين ذكر أن الباشا تنازل عنه لابنه في حين ذكرت الحوليات أن ابن الباشا اشتراهما، وشتان بين التنازل والشراء، وهذا ما أكد ³، بالأخص مرافقة ابن الناصر لوالده حين أرسل إلى طرابلس ⁴.
يقول الكوني :

باع مخدومه الذي لم يكن له يوماً مخدوماً بقدر ما كان أنيساً وجليساً وحميماً...
الفاسي قال لشلم لقد تحدثت حتى الآن عن عصفورين... تركت العصفور الثالث لفراصة مولاي! ⁵.

هنا نلاحظ أن الكوني ذكر ما قام به الفاسي من بيع لأنيسه شلم كالأرقاء، وبعد ذلك ذكر أن شلم قد عاد لمولاه وعادت الثقة المتبادلة بينهما، لعل هذا ما جعل الكوني يذكر بيع البيك أحمد لحاكم فزان، وإعادته حاكماً عليها مرة أخرى، لعل الكوني أراد تأكيد ما نسجه خياله حول بيع الفاسي لشلم.

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص438.

² - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص299.

³ - ينظر رودلفو ميكافي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرماتلية، ص65 - 66.

⁴ - ينظر رجب نصير الأبيض، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، ص89.

⁵ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص108 - 13، - 132.

يقول الكوني :

"اخلعوا قفطان السلطة على هذا العبد وأعيدوه حاكماً على الاقليم.ولكن إياكم أن تنسوا هدم أسوار مرزك"¹.

ذكر الكوني بعض الحقائق التاريخية²، في حين غالط في البعض الآخر حيث نجد الحوليات الليبية تذكر :

" خلع عليه القفطان الفخري الذي يعني تقليده منصب عمالة فزان من جديد بدرجة بك وأعادته إلى موطنه يحيط به جيش جرار يقوده رجب بيرى الذي حمل أوامر بهدم أسوار مرزق"³.

من الحقائق التاريخية التي تبينت لنا أن الكوني قد ذكرها؛ أمر الباشا الذي يقتضي خلع قفطان السلطة على الناصر، وكذلك أمره بهدم أسوار مرزق، أما مغالطة الكوني التاريخية فهي تكمن في ؛ إعادة الناصر حاكماً على فزان حيث لم تذكر الحوليات هذا الأمر، وإنما ذكرت أمر إعادته لفزان مصحوباً بجيش دون تنصيبه عليه. نلاحظ مما سبق شدة تنكيل الكوني، بناصر فزان لعله ضعيف ويسهل التنكيل بالضعفاء، لعله لوجود مشاكل بين الطوارق والناصر .

يقول الكوني :

" قال الباشا ببرود أنا أعمى ! "⁴.

هنا ذكر الكوني بأن الباشا قد صرح بعماه ، وهذه مغالطة تاريخية أخرى حيث لم نجد

ما يؤكد أن الباشا قد صرح بذلك⁵ .

يقول الكوني :

" يبدو أن هذا هو السرّ الذي جعل عملاء الباشا علي بن حسين يضعون في يده صرّة سميكة من القطع الذهبية مقابل أن يصيب بعيار بندقيته الشيطانية جبين المتمرد سعيد بن موسى حاكم جربة ! "¹.

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص438.

² - ينظر رودلفو ميكاكي، تاريخ طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص66.

³ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص299.

⁴ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص441.

⁵ - ينظر محمد الهادي ابو عجيبة، النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط، ص110.

إن الكوني ذكر حقيقة تاريخية مرة وهذا ما تذكره الحوليات :
فكلفت تونس في الخفاء قاتلا مستأجرا...فقتله بطلقة بندقية².
هذه هي الحقيقة التاريخية التي ذكرها الكوني، ولكنه غلطها من ناحية أخرى حين ذكر
اسم علي بن حسين بينما الحوليات لم تذكره.
يقول الكوني على لسان محمد القره مانلي :
من استحق الشنق (بيد ذلك المسخ المأجور) ليس أحمد حسن كاهية، ولكنه من وجه له
الطعنة في الظهر!³.
لعل الكوني أراد أن ينبه حين أعاد خبر مشابهاً لما سبقه، عن المأجورين وكيفية
استغلالهم بالمال لعلمه بضعف نفوسهم للمال، وما يؤكد أنه من نسج الكوني، لم نجد هذا
الخبر قد ورد في أخبار محمد باشا⁴
يقول الكوني :
"في ذلك اليوم استخرج الباشا من خزنه المسدّس ذي الماسورة الذهبية الذي تلقاه يوماً
هدية من الماركيز الفرنسي "دانتان"⁵ .
نلاحظ إن الكوني ذكر استخرج الباشا لمسده ولكن الحوليات تقول :
"وبمجرد ولوجهما إلى الكشك أمر غلامه أن يسلمه غدارتيه"⁶.
مما سبق نجد الكوني قد نسج بخياله أكثر من مرة؛ الأولى ما ذكرناها سابقاً ، والثانية
حين طلب الباشا غدارتيه⁷ بينما ذكر الكوني مسده، والثالثة حين لم تذكر الحوليات
من قدّم هاتين الغدارتين للباشا، في حين ذكر الكوني أن من قدّم المسدس للباشا هو
دانتان.
يقول الكوني :

هجع في المخدع... تناول القارورة... تجرّع. مذاق غريب. سكب السائل في جوفه

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص449.

² - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص300.

³ - ينظر إبراهيم الكوني، في مكان تسكنه في زمان يسكننا، ص28 - 29.

⁴ - ينظر أحمد بك النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ص294 - 295.

⁵ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص465.

⁶ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص304.

⁷ - ينظر ن. إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص125.

دفعه واحدة.¹

نلاحظ أن الكوني يصف انتحار محمد القره مانلي بيديه ، رغم أن الحوليات تقول:
" وفي بداية شهر يوليه مرض محمد باشا القرمانلي ، ثم سرعان ما اشتد مرضه ، حيث وافته المنية عند الساعة الخامسة من عشية الرابع والعشرين من نفس الشهر"².
ما يجعلنا نقول إنه أراد أن ينهي روايته على غرار روايته التي سبقت، وذلك بعد أن تأكدنا من مغالطته التاريخية³.

يقول الكوني :

" تدخل الزعيم ليوضّح نوايا تاجوراء : ذهب الوفد مستجيرا بالباب العالي من فظائع
النصارى "⁴.

ذكر الكوني فيما سبق ما قام به وفد تاجوراء حين استجار بالباب العالي من فظائع
النصارى، ولكن هذا القول لم تذكره الحوليات الليبية⁵؛ في حين أكد في أحد كتب
التاريخ⁶.

يقول الكوني :

الأمير أحمد بن موسى...يا سعادة الباشا جئت كي أرجو ضمّ الجزيرة إلى المملكة

الطرابلسية⁷.

هنا يتبين أن الكوني يؤكد استجارة تاجوراء بالباب العالي ،من خلال ما رواه عن
استجارة أحمد بن موسى بأحمد القره مانلي⁸.

يقول الكوني :

"المسيو كوليه: جئت يا سعادة الباشا، لأعبر لكم على امتنان فرنسا لعملكم على تحرير
سفينتنا التي اختطفها بحارتكم قبالة سواحل مرسيليا"⁹.

¹ - ينظر إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص 173.

² - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 317.

³ - رودلفو ميكاي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 89.

⁴ - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص 51.

⁵ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 317.

⁶ - ينظر ابن غليون، التذكار، ص 155.

⁷ - ينظر إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 454 - 456.

⁸ - ينظر رودلفو ميكاي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 79.

⁹ - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص 58.

ذكر الكوني قدوم المسيو كولليه لكي يعبر عن امتنانه وشكره للباشا، وذلك لتحريرها بعد أن أختطفها التجار الليبيون قبالة سواحل مرسيليا، ولكن الحوليات تقول: "وتدخل القنصل الفرنسي كولليه في الأمر، فتمت الاستجابة لجميع مطالبه، حيث استعاد السفينة المخطوفة وشحنها، وطرد رئيس القراصنة الذي انتهك حرمة علمها الفرنسي"¹.

يتضح أن الكوني قد نسج بخياله؛ حين ذكر المسيو كولليه جاء لكي يشكر الباشا لتحرير سفينتهم المختطفة من قبل البحارة الطرابلسيين²، في حين ذكرت الحوليات الحوليات أن قدومه لأجل مطالبته بتحرير السفينة، أي أن الكوني في بداية الأمر أطلق عنان خياله، ثم لم يكمل ذكر ما قام به المسيو كولليه من قصاص للرئيس القرصاني من طرد.

يقول الكوني :

"قال القنصل :ملك فرنسا سوف يكون في غاية الامتنان فيما لو تكرمتم بتزويد اصطبيلات مملكته بفحول جياذكم لتمكن من تحسين سلاطات الخيول بعد أن أفنت الحروب تلك الفصائل التي سبق لأسلافكم أن زودوا بها أسلافه قديما من جياذ

منطقة درنة ! "³.

ذكر الكوني مطالبة القنصل بالفحول من الباشا محمد القره مانلي وذلك بسبب كثرة الحروب التي أدت لإفناء تلك الفصائل من الفحول ، ولكن الحوليات تقول : "حملت ملك فرنسا على تكليف السيد (جورناي GOURNAY) - مفوض الجيش - بدراسة مدى إمكانية التزود من طرابلس الغرب بالفحول التي تحتاجها اصطبيلات الفروسية في المملكة. وبفضل همة..القنصل كولليه، فقد أمكن نقل فحول من خير الجياذ"⁴.

¹ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص312.

² - ينظر محمد الهادي أبو عجيبة، النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط، ص110 - 111.

³ - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص63 - 64.

⁴ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص312.

لاحظنا أن الكوني ذكر طلب القنصل للفحول لتحسين سلاطاتها، لأن الحروب أفنتها، أي أن الكوني جعل طلب الفحول للحروب، أما الحوليات فقد أكدت مطالبة ملك فرنسا للفحول كان من أجل الفروسية.

في حين أننا لم نجد ورود هذه المطالبة¹، لا من أجل الحروب ولا الفروسية² لعل الكوني قصد من هذا التزود شيئاً آخر يعلمه!
يقول الكوني :

" لقد أنفق الأموال بسخاء لتقوية الأسطول لا لكي يستولي على الغنائم كما فعل أسلافه ولكن لكي يحقق لنا الأمان من كيد القوى العظمى"³
يتضح هنا أن الكوني ذكر ما قام به محمد باشا من تقوية لأسطوله البحري⁴ لغرض تحقيق الأمان من قراصنة البحر، أما ما تذكره الحوليات عنه :
" وتكاثرت الشكاوي من تعدد غزوات هذه القطع البحرية الطرابلسية"⁵.
يبدو خيال الكوني أكثر وضوحاً ، لأن الحوليات الليبية لم تذكر أن أسطول محمد باشا قد ساد بفضل الأمان ، بل ذكرت كثرة الشكاوي منه أي أنه كان أداة الباشا للقرصنة وليس لحفظ الأمان⁶.

يقول الكوني :
"اجتمع محمود راغب المتنكر في جلد درويش الأناضول إلى المفتي"⁷.
إن ما ذكره الكوني عن إجتماع محمود راغب للمفتي هو من وحي خياله لأننا لم نجد من ذكر هذا الاجتماع⁸، لعله قصد تصويره للدسائس وأهدافها؛وكيفية إبطالها.
يقول الكوني على لسان دي غراس:

1 - ينظر رودلفو ميكاي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 66 - 89.
2 - ينظر محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ص 161 - 162.
3 - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص 74.
4 - ينظر محمد الهادي أبو عجيبة، النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط، ص 111.
5 - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 312.
6 - ينظر ن. إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص 125.
7 - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص 77.
8 - ينظر رودلفو ميكاي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 84 - 89.

"مولاي الملك حملني أن أبلغ سعادتك بوجوب الوفاء بالوعد قبل الدخول في أي جدل من شأنه أن يضع حجر الأساس لاتفاق بين بلدينا!"¹.

ذكر الكوني فيما سبق مطالبة القنصل الفرنسي من الباشا الوفاء بالوعد وهو قرع سيكارد بالفلقة، ولكن الحوليات تذكرت :

"(دي جراس DEGRASSE)، حيث قابل الباشا وطالبه، كشرط أولي للترضية، بأن يأمر فوراً بقرع القراصنة الذين ضجت فرنسا من أفعالهم، بالفلقة"².

لاحظنا أن الحوليات لم تذكر الوعد وإنما طالبت بشرط؛ كما أنه اقتصر وعد الكوني على سيكارد، بينما ذكرت الحوليات الليبية جميع القراصنة، أي أن خيال الكوني قد أسعفه مرتين.

ولكننا نجد الحوليات قد غالطت أيضاً، لأن طلب Cavaliere de Grasse Du Bar معاقبة المغامرين الذين شكت منهم فرنسا كترضية أولى³، فمن أين جاء صاحب الحوليات بقرع الفلقة؟.

يقول الكوني على لسان محمد القره مانلي:

" أنت تنسى أن من تدعوه "سيكار" هذا لم يعد يحمل اسم سيكار منذ زمن بعيد. بل هو

رجل يدعى مراد و فوق ذلك رجل اعتنق الاسلام"⁴.

ذكر الكوني ما قاله محمد باشا عن سيكار، ولكن الحوليات ذكرت :

كان يعرف الرئيس مراد... وكان يعرف، قبل اعتناقه الاسلام باسم سيكارد SICARD⁵.

يتبين أن الكوني قد نسج بخياله حين ذكر اسم سيكار ذلك لأن الحوليات ذكرته سيكارد في حين أننا لم نجد ما يؤكد ما ذكرته الحوليات⁶.

¹ - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص 83.

² - شارل فيرو، الحوليات الليبية ص 314.

³ - ينظر رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 87.

⁴ - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص 85.

⁵ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 314.

⁶ - ينظر الصادق النهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص 70.

يقول الكوني على لسان محمد القره مانلي:

" فلا نملك إلا أن نعبر عن أسفنا العميق لإعادة رسوله إلى دياره خائبا ! " ¹.

إن ما ذكره الكوني عن حديث محمد باشا وتصريحه بطرد رسول ملك فرنسا خائبا كان من خياله ، لأننا لم نجد ما يؤكد هذا القول في الحوليات الليبية حين تقول :
"إنني لن أعاقب قراصنتي قط عما بدر منهم في الماضي، ولم أعد أحداً بذلك " ².
ولكنه قد وافق الحوليات في ذكره لعدم موافقة محمد باشا، على قرع قراصنته وهو مضمون القول .

هذا وقد وجدنا ما يؤكد هذا القول ³، في حين أن بعض الكتب التي ألقت على غرار الحوليات لم تذكر هذا الخبر ⁴، أما ما يقوله الكوني:

" أمّا عن سرّ فراره من مسقط رأسه البحر المواجه لسواحل فرنسا فسيرة لفّها غموض كثيف. هذا بالرغم أن صالح بك رئيس بحرية طرابلس في تلك الأيام روى عنه علّه لم تقنع أحداً تقول أن الأعداء كادوا له وزجّوا به في السجون " ⁵.
هنا ذكر الكوني أصل الرئيس مراد وسر تركه لبلاده وسجنه، ولكن هذا من نسج خياله الروائي.

ـ المبحث الثاني :

¹ - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص 87.

² - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 314.

³ - ينظر الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص 70.

⁴ - محمد الهادي أبو عجيبة، النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط، ص 111.

⁵ - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص 99.

مثلث السعادة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية

- **السلطة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.**
- **المال عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.**
- **المرأة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.**

السلطة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية:

بعد دراستي لوصول أسرة القره مانليين إلي السلطة وجدت أن العوامل التي ساعدت في وصول القره مانليين للسلطة :

إن الإيالة الطرابلسية قد ظلت تحت الحكم التركي لمدة 200 سنة من الزمن ؛ ونتيجة لهذا الحكم تكونت طبقة القولوغلوية، وقد احتلت مكانة مرموقة ومتميزة بين الناس وبدأت تتطلع للسلطة، وكانت هذه الطبقة تستقر في ضاحية المنشية، وكانت معاملتهم للناس حسنة عكس القراصنة؛ نتيجة لصلة الرحم التي كانت بينهم وبين سكان

طرابلس، فقد كانوا يشتغلون عدة أعمال منها، الحرف، والزراعة ، والخدمة العسكرية ؛ والتي من خلالها حصلوا على امتيازات منها: عدم دفع الضرائب. أما العامل الثاني: الذي ساعد على تحول حكام طرابلس الغرب إلى ملوك مستقلين هو الانحطاط الاقتصادي للإمبراطورية العثمانية ؛ والذي من نتائجه عدم الاعتراف بسلطتها من قبل حكام أفريقيا، مما أدى إلى وضع المقاتلين تحت تصرف استامبول، فلم يبق للباب العالي إلا أن اعترف بوصول القولوغلية إلى السلطة في الإيالة الطرابلسية¹.

أما العامل الثالث: فيتلخص في أن النزاعات قد سادت الطبقة الانكشارية، مما أدى لضعفها² فساعد ذلك على تطلع القولوغلية للسلطة³.

هذا وقد أورد حاتم علي يورد قول ابن غلبون المعاصر لأحمد القره مانلي: " فان عهد حكم الأتراك قد انتهى سنة 1710 وبدأ عهد القولوغلية "4.

وقد كان أحمد القرمانلي مؤسس الأسرة القرمانلية مؤيدا لعهد الجن ،الذي خاض حربه ضد الأتراك.وقد لعبت مناقب شخصيته ،والوضع الاجتماعي لأحمد باشا

دوراً مهماً في تأسيس الأسرة القرمانلية الحاكمة في الإيالة.فجدّه لأبيه،مصطفى القرمانلي، مولود في تركيا وقد قدم إلى طرابلس بعد أن جمع ثروة من القرصنة⁵ وكان في الدفعة " الأولى من الانكشارية خلال حكم مراد آغا في طرابلس حيث تزوج بامرأة منها"⁶.

وهذا ما يذكره الكوني في قوله:

"ربما كان ذلك دسّا من عرق السلف الذي أقبل على هذه الديار محمولا على ظهر الموج قادما من"قرمان" المتشبهة بتلابيب بلاد الأناضول "7 .

¹ - ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص108 - 109.

² - ينظر محمود ناجي،تاريخ طرابلس الغرب،ص160.

³ - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية ،ص8.

⁴ - ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص108 - 109.

⁵ - ينظر ابن غلبون،التذكار،ص241.

⁶ - ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص109.

⁷ - ابراهيم الكوني ،نداء ما كان بعيدا ص45 .

إن الكوني أراد تأصيل أحمد القرماني لبلاد الأناضول، وهو ما سبق ذكره في كتب التاريخ منها التذكار لابن غلبون الطرابلسي¹.

أما يوسف والد أحمد باشا، فهو الممثل الأنموذجي للقولوغلية، فقد بدأ خدمته بالأمن الداخلي في الإيالة، وبفضل حزمه وشجاعته بدأ يتدرج في المناصب القيادية وتحصل على لقب بك وأصبح قائدا لفرقة الجند، دخل أحمد باشا الجيش وانتظم في الفرقة التي كان والده يرأسها، وترقى في مدارج النجاح إلى أن أخذ مكان والده². يقول الكوني:

"لا يستطيع أن ينكر أن وسواسا تملل في صدره يوم فوجيء بترقيته إلى مرتبة" باش آغا" خلفاً للوالد ليجد نفسه على رأس جيش من خياله الساحل وكذلك المنشية. هذه الترقية هي التي أجبت نهمه لنيل المزيد بدل أن تروي ظمأه من منصب لم يخطر له على بال"³.

كانت فرقة أحمد باشا مكونة من القولوغلية، وكان يتعامل مع الناس بدهاء جعله مُهدّناً لهم، ولم يحاول التدخل بين فئات الانكشارية لكي ينتهز الفرصة ليتدخل في الصراع على السلطة، ولكن ثار قلق أبو موسى من أحمد باشا؛ بسبب حيويته

ونجاحه في كسب عطف أهل طرابلس.

حاول أبو موسى التخلص منه؛ بأن أرسله إلى حاكم غريان⁴، ولكن شك أحمد القره مانلي جعله يفتح رسالة أبو موسى، وأدرك أحمد القرماني أن الوقت قد حان للهجوم على الداوي⁵؛ وبمساعدة مناصريه داخل طرابلس وخارجها استولى أحمد القره مانلي على قيادة الجند⁶.

كما حاول أيضاً محمد الفاسي السيطرة على الصحراء بإشعال نار الفتنة حيث يقول الكوني:

¹ - ابن غلبون، التذكار، ص241.

² - الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص59.

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص39.

⁴ - ينظر ابن غلبون، التذكار، ص239.

⁵ - ينظر رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانية، ص10.

⁶ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص265.

نشبت الحرب..وتبادلا التهنة على نجاحهما في إشعال الفتنة بين القبليتين.. ثم أمر الجند بالتحرك لضرب العدو من الخلف!¹.

ولكن الفاسي هُزم حيث يقول الكوني :

عقد القوم صلحاً مع أقربائهم أهل آهجار² الذين ربطتهم صلة الدم بعد أن انكشفت للفريقين فصول المكيدة قاتلوه..وتشتت شمل الشراد³.

لم يتم قبول أحمد باشا داي للإيالة الطرابلسية من قبل الباب العالي ،حيث أرسل خليل باشا⁴.

وهذا ما يؤكد الكاتب بقوله :

"يوم بلغه خبر وصول رسول الباب العالي حاملاً رسالة ممهورة بتوقيع السلطان تقضي بتعيين خليل باشا الأرناؤوطي واليا على إيالة طرابلس"⁵.

ولكن بعد أن دارت حرب بين أحمد القرماني و خليل الأرناؤوطي ؛حيث قتل فيها خليل، وانتصر أحمد باشا سارع لإرسال هداياه القيّمة⁶ ، لسلطان الآستانة لتدعيم

إنتصاره⁷.

أما ما يقوله الكاتب :

القرماني أباح للغوغاء جسد خليل باشا لسُرّ ظلّ مجهولاً إلى اليوم.⁸

مما سبق نلاحظ أن الكوني ؛ لم يذكر سبب ما فعله القره مانلي بخليل حين أباح للغوغاء جسده ربما لشدة انتقامه منه .

وأرسل أحمد باشا الهدايا للباب العالي، بعد قتله لخليل باشا ثم دبّر أحمد باشا خطة للقضاء على الأتراك ،حيث قام بدعوتهم إلى بيته وذلك من أجل الاحتفال ثم قام باستدراجهم لداخل بيته وكان الجنود قد اشبعوهم طعنا حتى قضى عليهم¹ .

¹ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص140.

² - هي إحدى القبائل التارقية التي تقطن جبال هقار.
ينظر محمد سعيد القشاط، صحراء العرب الكبرى، الطبعة الأولى، سنة النشر 1994 ، دار الرواد، طرابلس - ليبيا، ص110.

³ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص142.

⁴ - ينظر ن.إ.بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص109 - 110.

⁵ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص87.

⁶ - ينظر الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص60 - 61.

⁷ - ينظر ن.إ.بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص110 - 111.

⁸ - ينظر إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص108.

يقول الكوني :

"بدأ الخلاص حقاً ،لأن سادة الإنكشارية الذين كانوا يلجون القصر باستكبارهم المعهود كانوا يتلقّون الطعنات المميتة في الحال من أيّد مدربة على استعمال السيوف"².
لعل الكوني قصد ؛ خلاص أحمد باشا من الإنكشارية ذلك لأنهم يمثلون حجرة تحول دون وصول خطاه للسلطة .

و بعد ذلك جمع الثروات؛ وأرسلها للباب العالي محاولة منه لذر الرماد في العيون لعلمه بفساد ذممهم³ .

يقول الكوني :

" ويروى أن أحمد القرمانلي قال لأحد خلصائه يوم بعث برسوله إلى الأستانة محملاً بهداياه : " بأموالهم اشترينا دماءهم كما اشترينا خلاصنا بهلاكهم ! " ."⁴.
هنا أراد الكوني أن يقول إن الباشا اشترى خلاصه من الأستانة بأموال الإنكشارية إن ما قام به أحمد القره مانلي ضد الأتراك جعل الأهالي يشعرون بالارتياح وعندما أرسل الباب العالي جانم خوجه لمعرفة أحوال الأيالة علم بأن على السلطان أن

يؤكد السلطة الفعلية لأحمد القرمانلي في طرابلس .

وهذا ما قام به الباب العالي ؛حيث أصدر فرماناً بتعيينه والياً على الإيالة الطرابلسية⁵، وهو ما أكده الروائي حين قال :

"أن الاتفاق تمّ بين الطرفين باتمام مراسم التنصيب"⁶.

أن الاتفاق الذي ذكره الكوني هنا،اتفاق القره مانلي ورسول الباب العالي.
بعد أن تحصّل أحمد القره مانلي على لقب الباشا ؛ انصرف لتدعيم سلطته داخل البلاد⁷ .

وهذا ما يوافق عليه محمد أبو عجيّة إذ يقول:" كما تمكّن من استصدار فرمان من

¹ - ينظر محمود ناجي،تاريخ طرابلس الغرب، ص160.

² - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص79.

³ - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص272.

⁴ - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص86.

⁵ - ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص112.

⁶ - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص106.

⁷ - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص6-18.

الباب العالي يجعل الحكم وراثيا في أسرته. وبذلك ضمن أحمد القره مانلي تحقيق سياسته المقبلة التي رسمها لنفسه¹.

ونتيجة لكثير من الجهود ؛ أصبحت الإيالة دولة إقطاعية أي لا تعترف إلا شكليا بالسلطة العليا للسلطان التركي ؛ حيث قام الباشا بتقسيم البلاد لمناطق يتراءسها موالون له .

هذا وقد أعاد تشكيل الجيش ، وكانت القولوغلية تمثل قلب الجيش كما أعيد توزيعها على مختلف الفرق العسكرية والحاميات² .

نلاحظ أن أحمد القره مانلي قد حاول كسب رضا الباب العالي بالهدايا³ ، ولكن محمد الفاسي جعل من المال وسيلة للوصول للسلطة حيث يقول الكوني :
كما حققنا بالحيلة ما أخفقنا في تحقيقه بالوسيلة قبل اليوم ، كذلك نستطيع اليوم أن نشترى بالمال الذمم ... وإذا نلنا مجداً فقد أفلحنا في وضع الأساس لمُلكٍ لن يأتيه الباطل لا من أمام ولا من خلف⁴ .

أما محمد باشا القره مانلي فقد تولى السلطة ميراثاً من أبيه أحمد القره مانلي، حيث يقول شارل فيرو، في حولياته :

" ولم يكن قد أوصى ابنه محمد الذي خلفه سوى بأمرين : احترام فرنسا، التي كانت قد لقّنته دروساً مروّعة، ومُدارة قبيلة المحاميد والتساهل معها، لأنه كان يعود إليها الفضل في اعتلائه العرش"⁵ .

أما ما يقوله الكوني عن وريث أحمد باشا :

"فليس عليه إلا أن يجعله وريثاً لخطواته قبل أن يجعل منه وريثاً لعرشه"⁶ .

ما علمناه من هاتين الفقرتين ، أن أحمد القره مانلي أورث ابنه محمد عرش الإيالة الطرابلسية هذا ما قالت كُتب التاريخ¹ وما أكّده الكوني أيضاً؛ على الرغم من أنه ليس

¹ - محمد الهادي أبو عجيبة النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط، ص 109.

² - ينظر ن. إ. بروسين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص 113.

³ - ينظر الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص 61.

⁴ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 200.

⁵ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 305.

⁶ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 419.

الأكبر في أبنائه.

يقول الكوني :

" وليس من قبيل المبالغة أن أقول أن احترام العهد مع فرنسا هو أحد أهم أركان وصاياه !"².

رغم أننا وجدنا كتب التاريخ قد ذكرت أن احترام فرنسا كان أول وصية أوصاها أحمد باشا لابنه محمد³، فإن الكوني بالغ عند وصفه لاحترام الإيالة لفرنسا بأنه أهم أركان الوصايا.

هذه الوصايا التي أوصاها أحمد باشا لابنه محمد، كما أخبرنا شارل فيرو هي سبب اختياره والياً دون أخيه محمود لأن محمداً ينحدر من ناحية أمه - من سلالة محمد باشا الإمام شائب العين⁴، أحد دايات طرابلس السابقين له⁵، والسبب الآخر هو أن الشعب يحبه ويفضله على أخيه الأكبر، لما يتمتع به من خصال طيبة و روح

عادلة⁶.

يقول الكوني على لسان زينوبة :

"بأي حق تضع ابني في فوهة المدفع ؟"⁷.

إن قول زينوبة هنا، كان القصد منه إثبات أن المتحدث عنه هو محمد باشا ابنها. هذا وكان محمد يحظى بالرضا العام لا بسبب مواهبه الشخصية، بل لأنه كان يحظى بتقدير قناصل الدول الأوروبية عندما باشر حكمه في حياة والده⁸.

لقد تعددت العوامل لصالح محمد باشا، مما جعله لا يتعرض لصراع يذكر من بعض مناصري أخيه محمود.

سار محمد باشا على خطى والده في الحكم سواء في سياسته الداخلية أو الخارجية⁹.

¹ - ينظر محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ص161.

² - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص9.

³ - ينظر محمد الهادي أبو عجيبة، النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط، ص111.

⁴ - ينظر رودلفو ميكافي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص84.

⁵ - ينظر ابن غليون، التذكار، ص220 - 221.

⁶ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص304 - 305 .

⁷ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص427.

⁸ - ينظر محمد الهادي أبو عجيبة، النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط، ص111.

⁹ - ينظر ن. إ. بروتشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص125.

فقد حاول كسب رضا الدول الأوروبية، وقام بتدعيم علاقته بالدولة العثمانية بإرساله لبعض الهدايا، ولم ينس ملك فرنسا فقد أرسل إليه رسله لطلب التعاون¹.

يقول الكوني :

" جنّت ،يا سعادة الباشا، لأعبر لكم على امتنان فرنسا لعملكم على تحرير سفينتنا التي اختطفها بحارتكم "².

فيما سبق نجد الكوني؛ يؤكد على مدى التعاون والاتفاق بين محمد باشا وفرنسا. وهو الأمر الذي سبق ذكره في كتب التاريخ.

اهتم محمد باشا بالأسطول لتقديره مدى أهميته للإيالة³، وهذا أدى لقيام الدول الأوروبية بمطالبته بعقد الاتفاقيات لحماية سفنها⁴.

الحال عند مؤسسي الأسرة القره مانلية:

يقول شارل فيرو :

" أما البك الحاكم ،أحمد القرمانلي، فلا يملك أية سلطة فعلية .فان الشقيقين علي المكني ويوسف المكني - وهما من أعراب الدواخل ويعتبران التاجرين الثريين الوحيدين في البلاد - هما اللذان يتحكمان في تصرفاته وهذا أمر سيكون فيه هلاكهما، لأنهما هما وحدهما اللذان طردا الأتراك بدسائسهما وبفضل أموالهما."⁵

أما ما يقوله الكوني :

" لقد استدان من آل المكني في محن الأيام الأولى وما تلا ذلك من أحداث "⁶

¹ - ينظر محمد الهادي أبو عجيبة، النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط، ص111.

² - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص58.

³ - ينظر أحمد بك النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ص295.

⁴ - ينظر محمد الهادي أبو عجيبة، النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط، ص111.

⁵ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 269 .

⁶ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص113.

ان لفظة "استدان" التي ذكرها الكوني ؛ أكدت ما قام به القره مانلي، عند بداية عهد توليه محاولةً في تحسين حال الإيالة¹، حيث اتفقت كتب التاريخ وما يقوله الكوني ؛ حول افلاس القره مانلي عند توليه الحكم².

عند تولي أحمد باشا القره مانلي الحكم، كانت أمامه مهمة صعبة وهي إيجاد مصدر للدخل لانفاقه على القوة العسكرية؛ ولأن المال يعد من الأركان الأساسية لتثبيت حكمه على الإيالة، وما الإفلاس الذي أصابه إلا نتيجة لاستبداد الإنكشارية واستهتارها قبيل توليه الحكم³؛ فقد كانت تجارة القوافل في أفريقيا الوسطى المصدر الأول للدخل، ولكن لخروج فزان عن صلاحيات الدولة العثمانية، ولضعف نظام الدايات الذي أدى إلى الفوضى التي سادت الدواخل، سعى أحمد باشا، لتأمين طرق القوافل الممتدة من جنوب البلاد إلى سواحلها على البحر المتوسط ؛ مما أدى الى تنشيط التجارة والحرف في طرابلس⁴.

وهذا ما أكده الكوني :

"وما أن التأموا حتى خاطبهم بضرورة تأمين الطرق البرية والبحرية على السواء"⁵.
كما قام أحمد باشا بفرض الدخول الضرائبية، على الرغم من أن هذا الفرض أدى إلى الفوضى في عدة مناطق منها: مسلاته، وترهونه؛ ولكن الباشا أخضعهم بالقوة⁶.
وهو ما ذكره الكوني أيضاً :

"الخازندار قال أن العمل في مثل هذه الأحوال هو الاستنجا بالأهالي. هو اللجوء إلى المكوس"⁷

أن الكوني أكد ما ذكرته كتب التاريخ، كما في قوله:

"بعد عودته من تأديب العصاة ونهبه للأموال التي سلبوها من غاراتهم على القوافل أو العابرين أو نجوع القوم أمر بعقد مجلس الديوان داخل حصن القلعة"¹.

¹ - ينظر ابن غلبون، التنكار، ص242.

² - ينظر رودلفو ميكاي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص15.

³ - ينظر محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ص159.

⁴ - ينظر ن. إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص113 - 114.

⁵ - إبراهيم الكوني ، نداء ما كان بعيداً ص 115 .

⁶ - ينظر رودلفو ميكاي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص16 - 21.

⁷ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص113.

نلاحظ أن الكوني أراد أن يصف ؛فيما سبق مدى حاجة الباشا للمال لدرجة أنه قد نهب أموال العصاة .

كما كان أحمد باشا القره مانلي،يولي أهمية كبيرة لبعث أمجاد الأسطول البحري الطرابلسي²، وبطبيعة الحال يحتاج ذلك لكثير من الأموال بإضافة الحملات العسكرية المستمرة في دواخل البلاد الثائرة ضده ،وكذلك حاجة البلاط للأموال مما أدى لاتخاذ القرصنة كاحدى المنابع الأساسية للدخل في تلك الفترة³ .

يقول الكوني :

"عادت فيه القطع البحرية حاملة على متنها الغنائم ، تعجّ بالأسرى ،وتسوق السفن المغتصبة"⁴.

إن الكاتب؛ أراد أن يذكر اتخاذ القره مانلي للقرصنة بابا يرتزق منه ؛لكي يملأ خزائن

الإيالة الطرابلسية ويجنبها خطر الإفلاس .

كما أنه قام بتجديد وزيادة عدد سفنه ، فأعاد بذلك شهرة الأسطول البحري القديمة التي كان يتمتع بها أيام "درغوت باشا"⁵.

بعد أن استطاع أحمد باشا إعادة قوة الأسطول الطرابلسي لأيام مجده⁶،قام بإعلان حمايته للقراصنة مقابل أن يدفعوا له ثلث غنائمهم لقاء ضمان الملجأ لهم، وتزويد سفنهم بما تحتاج إليه.

ومن المعروف أن إعلان حماية القراصنة ؛يعني إعلان الحرب على السفن الأوروبية وهو ما جعل الدول صاحبة تلك السفن ؛تدفع أموالاً مقابل سلامة التجارة البحرية عند السواحل الطرابلسية.

كما كان لهذا الأسطول مهمة أخرى هي حماية السواحل الطرابلسية من هجوم القراصنة الأوروبيين¹.

¹ - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص115.

² - ينظر محمد الهادي أبو عجيبة،النشاط النشيط الحربي الليبي في البحر المتوسط،ص110.

³ - ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص114 - 119.

⁴ - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص237.

⁵ - ينظر محمد الهادي أبو عجيبة،النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط ،ص 110 .

⁶ - ينظر ابن غلبون،التذكار،ص242.

يقول الكوني :

"والبرهان دائماً في الآثار، في السفن التي نستولي عليها لنستخدمها، في الأسرى الذين نحفظ بهم لنبيعهم .أما الأموال التي نغنمها فإنها لا تتكلم"².

أكد الكاتب فيما سبق قرصنة البحارة التابعين للإيالة الطرابلسية ومدى استفادتهم من عوائدها.

نستنتج مما سبق أن قوة أسطول الباشا، وحمايته للقرصنة، وعوائده من غنائمهم، والمكوس التي تدفعها الدول الأوروبية لقاء سلامة سفنها، وتجارة الصحراء، والضرائب ساعد أحمد باشا على تدعيم حكمه للإيالة الطرابلسية وجعل له مكانة مرموقة مهيبة الجانب في عيون الدول المجاورة، والمقابلة لشواطئ الإيالة الطرابلسية.

في الوقت الذي سعى فيه أحمد باشا لتدعيم حكمه للإيالة بالقرصنة، كان هناك من يتخذ الأمم المطرودة وسيلة للحصول على المال وفي هذا يقول الكوني :

أقلع بالحمولة إلى صقلية هناك باع السفينة ومن على متنها بالثمن الذي راق له... حمل ثروته وذهب إلى السوق واشترى عبداً وأمةً وجُبَّةً وعمامة ... ليشتري بالمال أتباعاً³.

وصف الكوني هنا ابتزاز محمد الفاسي، وطريقته للحصول على المال ببيع الأمم كالأرقاء، هذا وقد كانت التجارة لدى الفاسي إحدى طرق حصوله على المال⁴.

يقول الكوني :

"أتى ملك الظلمات إلى حرم الصحراء ببدعة التجارة فتبلبلت النفوس في الحال"⁵.

عند انتقال الحكم إلى محمد باشا، لم تكن الإيالة تعاني الإفلاس ذلك؛ لذكاء أحمد باشا واستغلاله لشواطئ الإيالة، ولأن محمد باشا كان يُسيّر الإيالة في مرض والده، فقد سار على خطاه، واهتم بالأسطول البحري¹.

¹ - ينظر ن.إ.بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص 119.

² - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 339.

³ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 108 - 109.

⁴ - ينظر رجب نصير الأبيض، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، ص 51.

⁵ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 186.

يقول الكوني على لسان صاحب السحنة المستديرة :

"لقد أنفق الأموال بسخاء لتقوية الأسطول"².

هذا وقد أكدت الحوليات ما ذكره الكوني حيث جاء فيها :

" كان غيوراً على قواته البحرية، فحرص على جعلها في حالة راقية، كما عمل على

تضخيم أسطوله. ولقد تمتعت بلاده ،من حيث مدى قوتها البحرية ،بسمعة طيبة"³.

هذا وكانت القرصنة تمثل دخلاً للإيالة، وكذلك الفدية التي كانت تقدمها الدول مقابل

إطلاق أسر سفنها من الشواطئ الطرابلسية.

فكان القراصنة يخرجون على مسؤوليتهم الخاصة ، وعند ظفرهم بالغنائم يدفعون ثلثها

للباشا، وقد أجبرت الإيالة العديد من الدول على قبول شروطها من أجل السلام بناءً

على المدفوعات ومقادير الجزية⁴.

يقول الكوني على لسان المسيو كولليه:

"جئت، يا سعادة الباشا، لأعبر لكم على امتنان فرنسا لعملكم على تحرير سفينتنا التي

اختطفها بحارتكم قبالة سواحل مرسيليا"⁵.

هذا ما أكدته الحوليات أيضاً حين ذكرت :

" كان القراصنة مستمرين في إحراز انتصارات جديدة. فقاموا باختطاف سفينة تجارية

يقودها القبطان (لانسارد LANSARD) قرب مرسيليا"⁶.

نستنتج مما سبق أن القرصنة البحرية ، وما تقضي إليه من فدية هي الدخل الأول

للإيالة الطرابلسية في حكم محمد باشا القره مانلي.

¹ - ينظر محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ص 161- 162.

² - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص 74.

³ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 317.

⁴ - ينظر ن. إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص 126 - 127.

⁵ - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص 58.

⁶ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 312.

المرأة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية:

كان أحمد باشا القرمانلي شديد الوله بالنساء ، فقد تدلّله عشقا بأرملة خليل باشا الأرناؤوطي ؛ والتي قتل زوجها خليل من قبله قبل أن يدخل بها¹.
يقول الكوني :

"أن اغتيال رجل في وزن بعلمها بتلك الطريقة القبيحة كان عملاً لا يغتفر"².
تتفق كلّ من كتب التاريخ وما قاله الروائي ؛ حول موت خليل باشا قبل الدخول على زوجته زينوبة، رغم أننا وجدنا صاحب التذكار يؤكد دخوله³، أما أرملة خليل فقد رفضت أحمد باشا ووعوده لها رفضاً شديداً حتى أنها صدّته⁴.
كما يقول الكوني أيضا :
"استنكر أن يرفض من قبل امرأة"⁵.

¹ - ينظر شارل فيرو الحوليات الليبية ص 302 .

² - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 123.

³ - ينظر ابن غلبون، التذكار، ص 224.

⁴ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 302.

⁵ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 127.

يشعر القارىء أن الروائي، ذكر استنكار الباشا واندعاشه لرفض زينوبة، بشيء من الاستمتاع لهذا الرفض، لعل هذا الرفض قد وافق نفسية الروائي تجاه الباشا. هذا وقد عدته المستفيد من قتل خليل أي المَحْرُض . ولكن تزوجته أخيراً¹ بعد تدخل سيدي الصيد؛ واقناعها من قبله بحجتين ، الأولى أنها ستصبح زوجة داي طرابلس، والثانية إن زواجها منه سيؤدي إلى انجاب ذرية من الأمراء² . يقول الكوني :

"صاحب الحظ يتولى الأمر جيلاً، وذرية صاحب الحظ تتولى الأمر من بعده أجيالاً"³. نلاحظ أن الكاتب أراد التأكيد على ما ذكرته كتب التاريخ؛ على سبب اقناع زينوبة بالزواج من الباشا.

كما نلاحظ أن زواج أحمد باشا من زينوبة أرملة خليل باشا⁴، لم يك بهدف المال بل رضاء لشهوته من امرأة جميلة. والدليل على ذلك أن أحمد باشا لم يكتف بزواجه من زينوبة، بل طلب يد ابنة سيدي الصيد نفسه والتي رآها في بيت أبيها ما يثبت أن أحمد باشا كان زير نساء، وتمادياً في الغطرسه لم يطلب يدها من أبيها، بل أوصلته شهوته لتهديده إن لم يرسلها إليه عروساً⁵. يقول الكوني :

"هل قلت أن ترياقك بين يدي ؟ بلى ،انه ابنتك !"⁶. يشعر القارىء أن الكوني أكد على اشتهاه الباشا ؛لابنة سيدي الصيد لعل في ذكره لكلمة ترياق وما تحمله من رواق. يقول الكوني أيضا :

"عليك أن تهيب لها هودجاً في الغد إذا كنت تريد خيراً بنفسك وزوجك وابنتك !"¹.

¹ - ينظر رودلفو ميكاي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 84.

² - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 302.

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 144.

⁴ - ينظر ابن غلبون، التذكار، ص 224.

⁵ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية ص 303 .

⁶ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 349.

نلاحظ فيما سبق أن أسلوب الكوني؛ انطوى عن التهديد والوعيد من قبل الباشا أحمد لوالد الفتاة سيدي الصيد تماماً كما ذكرت كتب التاريخ²، ذلك لأن سيدي الصيد رفض تزويجه إياها، لعلمه بأن لدى الباشا أربعة زوجات، وإن ابنته ستكون بهذا الزواج إشباعاً لنزوته، نلاحظ أن الكوني يعتز بما فعله سيدي الصيد وقبول ابنته الموت بدل زواجها من الباشا، وسبب هذا الاعتزاز هو انتماء سيدي الصيد للطوارق، أي أن الكوني يعتز بكرامة الطوارق.

يقول الكوني على لسان أحمد باشا :

" حرصاً على وحدة البلاد التي وضعت الأقدار زمام أمرها بين يديّ فأرملة الأناؤوطي لكسب أهل المدينة والتركية لذرّ الرماد في عيون الجالية التركية وبقايا

الانكشارية والجبالية لاسترضاء قبائل الجبل ، والدراوية لاستمالة أهل برقة"³.
مما سبق نستنتج ، أن الكوني جعل المرأة وسيلة يستطيع أحمد القرماني من خلالها السيطرة على البلاد ؛ ولم نجد في كتب التاريخ⁴ ما يؤكد قوله حول هؤلاء الأزواج ومدى أهميتهن للباشا في سيطرته على البلاد، ومدى انتهازه لهن لضمان حكمه للإيالة، لعل الكوني ينظر للمرأة نظرة الوسيلة وفيها تكمن أهميتها.

يقول الكوني :

أم زنجية باعها أحد قراصنة البحار... بعد أن استخدمها في إشباع شهواته على متن سفينته طرداً للملل في ساعات الكساد.⁵

نلاحظ الكوني هنا قد أضفى على المرأة دوراً آخر، ألا وهو إشباع الشهوات، أكثر منها أمّاً وهو الدور الذي كان عليه أن يذكره في بداية حديثه عنها، لما تعنيه الأمومة لها من دور أساسي، لا يمكن تجاهله.

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، 353.

² - ينظر شارل فيرو، الحوليات اللببية، ص303.

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص351 - 352 .

⁴ - ينظر الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص58 - 61.

⁵ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص20.

أن محمد باشا القرماني؛ ابن زينوبة الطرابلسية¹، ولكن ما لم نعلمه هو تعامله مع أمه، وزوجته أم علي باشا الذي نُصب داي طرابلس بعد وفاة والده²؛ ذلك لأن بعض كتب التاريخ³، لم تشر للمرأة ودورها في حياة محمد باشا، كما ذكرت عن والده أحمد باشا. يقول الكوني :

"إبعاد الولد عن مخادع النساء بل وحتى مرأى النساء، لأن حضور المرأة في عيون الناشئين لعنة حتى لو كانت هذه المرأة أماً أو أختاً"⁴.

يشعر القاريء أن الكوني هو من عزل محمد باشا عن النساء لا والده، ويتبين ذلك حين وصف المرأة باللعنة، وما يؤكد هذا الشعور هو قول الكوني في إحدى المقابلات التي قد أجريت معه : الشيطان امرأة⁵.

هذا ونستنتج من قول الكوني أنه صاحب هذه النظرة اتجاه المرأة، لأننا وجدنا الطوارق الذين ينتمي إليهم الكوني، يُجلون المرأة ويحترمونها، لدرجة جعلتهم يعطون الأحقية لابن البنت أكثر من ابن الابن⁶ ويقول الكوني :

"متى كان التنقل بين مخادع الزوجات دليلاً على حكمة؟"⁷.

يريد الكوني أن يضيفي على الرواية شيئاً من خياله، حين ذكر تنقل محمد باشا بين مخادع نسائه؛ لأن كتب التاريخ، منها الحوليات الليبية⁸، تاريخ طرابلس الغرب⁹، وتاريخ ليبيا في العصر الحديث¹⁰ لم تذكر هذا.

¹ - ينظر رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانيّة، ص 5- 83.

² - ينظر محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ص 160 - 161.

³ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 309 - 318.

⁴ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 417 - 418.

⁵ - مقابلة أجريت مع إبراهيم الكوني، ضمن برنامج زيارة خاصة بقناة الجزيرة. 29/ 6/ 2009 ف.

⁶ - ينظر محمد سعيد القشاط، عرب الصحراء الكبرى التوارق، ص 217.

⁷ - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا ص 74.

⁸ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 309 - 318.

⁹ - ينظر محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ص 161- 162.

¹⁰ - ينظر ن. إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص 107 - 130.

الفصل الثاني

انحسار دور المرأة في الرواية التاريخية عند الكوني

المبحث الأول:

▪ **تحقيق شهوة الانتقام في الروايات الثلاث.**

المبحث الثاني:

▪ **تحقيق شهوة المتعة في الروايات الثلاث.**

■ المبحث الثالث:

■ تلاشي دور المرأة في الروايات الثلاث.

■ المبحث الأول:

تحقيق شهوة الانتقام في الروايات الثلاث:

العدوان لغة :

هو الاعتداء والتَّعَدِّي والْعُدوان : الظُّلم ،وقد قالت العرب ،اعتدى فلان عن الحق واعتدى فوق الحق ،كأن معناه جاز عن الحق إلى الظلم .

والْعُدوى : طَلَبك إلى والٍ لِيُعْدِيكَ على مَنْ ظَلَمك : أي يَنْتَقِم منه¹.

أما العدوان اصطلاحاً :

فيعرف العدوان في علم النفس بأنه :إيذاء للغير أو الذات أو ما يرمز إليهما.² كما أنه يُعرف بأنه سلوك يتوجه إلى الغير غالباً ويقصد به أن يعانون منه نفسياً أو مادياً³ الانتقام لغة :

نقم :النِّقْمَةُ والنِّقْمَةُ :المكافأة بالعقوبة⁴.

أما الانتقام اصطلاحاً :

يطلق في علم النفس على السلوك الذي يقوم به الشخص ردّاً لاعتداء عليه من قبل

¹ - ابن منظور، لسان العرب المجلد الخامس عشر، لا توجد طبعة، سنة النشر 1956، دار صادر، ص 33-34 .

² - موسوعة علم النفس الشاملة، المجلد التاسع، لا توجد طبعة، لا توجد سنة النشر، Editio Crepsnai Internat ص 44.

³ - عيد المنعم الحفني، موسوعة الطب النفسي، الكتاب الجامع في الاضطرابات النفسية وطرق علاجها نفسياً، المجلد الثاني، لا توجد طبعة، لا توجد سنة النشر، مكتبة مديولي - مصر، ص 849.

⁴ - ابن منظور، لسان العرب، الجزء الرابع عشر، الطبعة الأولى، سنة النشر 2000، دار صادر، ص 346.

شخص آخر، وقد يكون الانتقام أشد من العدوان.
هذا وقد كانت شهوة الانتقام حاضرة لدى بعض شخوص روايات إبراهيم الكوني
فنجده في روايته لون اللعنة يقول :
"كان على القرصان أن يدفع ثمن نزواته الليلية غالباً. كأن الفتاة قررت أن تنتقم لنفسها
من جلادها فألت على نفسها أن تتجلب له توأماً مكللاً بالسواد"¹.
نلاحظ أن كلمة "الانجاب" وردت في النص بعد حرف التأكيد "أن" ما جعل منه انتقاماً
مؤكد؛ على الرغم من بداية الفقرة بلفظة "كأن" التي تفيد التقريب لا التأكيد.
أما عن الفعل، فقد تأكد بانجاب التوائم؛ لأنها تأكدت بأن القراصنة لا يحبون أن يكون
لهم أطفال في عرض البحر على ظهر سفنهم المتحفزة دائماً للقرصنة ذلك لكيلا

يكونوا نقطة ضعفهم؛ عند هجومهم على السفن الأخرى، لذا اتخذت من انجاب
الأطفال وسيلة لانتقامها منه.

ولكن القرصان تنبّه لنية الفتاة، فاتخذ وسيلتها للانتقام، نقمة عليها حيث قام بقتل
أطفالها أمام ناظرها بطريقة فظيعة.

" قام بإطعام الأجنة المسكينة لأسماك القرش "².

كان هذا انتقام القرصان من الفتاة ردّاً على إنجابها للأطفال في المرة الأولى ولكن
ما قام به القرصان للفتاة يجعلنا نتساءل: هل أنسى الانتقام القرصان أبوته لهؤلاء
الأطفال؟!.

" استمر هذا البرود حتى عندما شرع القرصان يلقي بصغارها على الحوض المغمور
بمياه الملح ليشرقوا بالملح، ويختنقوا ويموتوا "³.

وهذا الانتقام الثاني، الذي قام به القرصان وهو من نوع آخر؛ أي أن القرصان كان
يمارس أنواعا من الانتقام ضد هذه الفتاة في قتل أطفالها أمام ناظرها!

¹ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص20.

² - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 20 .

³ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص22.

"وأبصر أن الجنيّة انتقمت منه بسكونها بدل أن ينتقم منها، نزع حزامه الجلدي الملفف حول خصره ،وتقدم منها ليبدأ معها مراسم أخرى. ظلّ يجلدها على مرأى ومسمع من جنوده "1.

نلاحظ ان الفتاة قد انتصرت على القرصان بسكونها؛ عندما علمت أنه يريد تعذيبها، مما أدى لازدياد انتقام القرصان منها، وذلك بأن ظلّ يجلدها "أمر الأعوان أن يستبيحوا المرأة كتدبير أخير في سيرة الثأر"2. إن انتقام القرصان من الفتاة كان شديداً ففي بداية انتقامه كان يتخذ من أمومتها وسيلة لقهرها ،وبعد قتله أطفالها ظلّ يجلدها ثم أمر باستباحتها من قبل جنوده . يستمر الكوني في روايته عن الفتاة فيقول:

"باعها بثمن بخس بعد أيام عندما رست سفينته في أوّل مرفأ من مرافئ شبه الجزيرة الإيبيرية "3.

إن الفتاة قد قضت زمناً طويلاً في رحلة انتقام بشعة؛ في سفينة القرصان حتى قام أخيراً ببيعها.

يقول الكوني أيضاً عن انتقام الفتاة :

"لم تجد الأمّة سبيلاً للانتقام غير الوليد "4.

علمنا مما سبق أن الأمّة استمرت في اتخاذها من الوليد سبيلاً للانتقام، ولكن نحن نتساءل كيف يكون الانتقام عبر الوليد ،وممن أرادت الانتقام؟.

ولكننا نجد إجابة هذا التساؤل في قول الروائي :

" ولكن الرجل اعتاد مع الزمن أشعارها المسمومة التي اعتادت أن ترجم بها أبناء جلدته دون أن يخطر بباله يوماً أن مثل هذه التسالي يمكن أن تتحوّل سمّاً زعافاً في عقل الطفل "5.

علمنا من الفقرة السابقة ؛ أن الأم كانت ترجم البياض وأبناء جلدته في أشعارها،

1 - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص22.

2 - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص23.

3 - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص23.

4 - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص25.

5 - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص27.

التي كانت تهدد بها وليدها، وهنا يتبين لنا أنها أرادت الانتقام من الجنس الأبيض في شخص القرصان.

ويروي الكوني انتقاماً آخر:

" في الليل تسلل العبد إلى دار صاحب الشكوك وفعل به ما فعل، في الصباح وُجد المسكين في فراشه ميّناً، لأن الديدان افترست بطنه ¹.
هذا ما فعله "سلم" بالرجل المطالب بالبيّنة² من "الفاسي" ، عندما ادّعى النبوة بفاس .
يقول الكوني أيضا :

" أهل فاس بعثوا له برسول يدعوه للخروج من المدينة في مهلة أقصاها صباح الغد " ³.

من هذا القول ،نرى أن أهالي فاس طردوا مدّعي النبوة "الفاسي" بعد مقتل الرجل الذي طالبه بالبيّنة.

ولكن القارىء يشعر بأن الكوني قصد انتقام أهالي فاس من صاحب الخنوس "الفاسي" لأن النفي أقسى على الفاسي من القصاص، ولكننا لا نعهده انتقاماً بل قصاصاً لعله يكون عادلاً.

نلاحظ شهوة الانتقام بدأت تزداد لدى الروائي ؛حيث نجده يروي كيفية الانتقام من شخص إلى عدة أشخاص ،بدل أن كان بين شخصين " القرصان والفتاة".

يقول الكوني عن النوع الثاني من الانتقام :

" تقطع الطريق على الجوهرة المسحورة التي تغدّي ممالك الشمال الراقدة على شطوط البحار فننتقم لنفسك ولي من هؤلاء الأوباش القائمين على أمرها الذين خذلونا بدل أن يجيروننا " ⁴.

¹ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 113 .

² - بان التبيين :الايضاح، تبيينت :الأمر أي تأملته وتوسمته ،التبيين:التثبت في الأمر والتّأني فيه، ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني، ص 198 - 199.

³ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 114.

⁴ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 131.

ما يتبين لنا مما سبق أن شلم يريد الانتقام من ممالك الشمال جرّاء طردهم له وسيده
"الفاسي" بَدَل أن يجيروه .

وهذا الانتقام ؛ يكون بالاستيلاء على الجوهرة التي تغدي ممالك الشمال .

يقول الكوني على لسان الفاسي :

"الملثمون !أراهن برأسي أن الملثمين هم من أردت أن ننزل على رؤوسهم انتقامنا!"¹

بهذا القول نلاحظ أن شلم أراد الانتقام من الطوارق ؛ لأنهم حماة القوافل إن هذا
الانتقام الذي أراده شلم للطوارق؛ هو انتقام مسبق لهم لأن الكوني متأكد من حمايتهم كل
التأكيد؛ ولعله علم مدى قوة دفاعهم عن القوافل.

هذا ما قصده الكوني بالانتقام في هذا القول ؛لأن الانتقام يبين مدى قوة الطوارق
ومكانتهم التي يفخر بها الكوني نفسه .

يقول الكوني :

" فما كان من الفارس إلا أن فزَّ إلى السوط "².

ما ورد في القول السابق ؛ هو عقاب لا انتقام ولو عُدَّ ما قام به الفارس انتقاماً من
العبد جرّاء نيةً أضمرها العبد للفارس؛ فهي نية في القلب أي أنها "مبطنة" ولم يقم
العبد بتنفيذها، فلا يصح لنا أن نطلق عليها انتقاماً .

يَرُدُّ الانتقام في قول الكوني :

" مات صاحب العبد ميتة غامضة بعد أشهر فحامت الشكوك حول العبد "³.

ما رواه الكوني عن بطله الخيالي "شلم" ما جعلنا نقول لعله هو من قتل الفارس انتقاما
منه لتعذيبه إياه.

يقول الروائي :

" أنت لا تعلم أننا لانحيا لكي ننال السعادة ،ولكننا نحيا لننتقم!"⁴.

¹ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص132.

² - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص146.

³ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص148.

⁴ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص205.

هذا تصريح من الكوني على لسان شلم وقد اتخذ منه وسيلة لهذا التصريح أي أن "وراء الأكمة ما وراءها"؛ ولكن ممن أراد الكوني الانتقام ؟ ولماذا؟!.

يقول الكوني أيضا :

"واليوم عندما أقتصُّ منك إنما أنتقم لهؤلاء جميعا !"¹ .

هذا ما قاله شلم لسيدة الفاسي عندما اقتربت ساعة الانتقام، ولكن شلم ازدادت شهوة انتقامه، حتى أراد أن ينتقم لكل شخص آذاه الفاسي .

يكمل الكوني عن انتقام شلم من سيده فيقول :

" سمعوا ارتطام بَدَنَ سيّد القصر بمياه البئر "².

هذا ما قام به شلم للفاسي ؛ لا لأن شلم لا يعرف إلا هذه الطريقة في الانتقام، ولكن لأنه أراد أن يفعل به مثلما فعل الفاسي بالأطفال، الذين أغرقهم في صندوق خشبي مليء بمياه البحر.

ويضيف الكوني انتقاماً من نوع آخر حين يقول :

" كأن الخنّاس أراد أن يثأر لنفسه من قرينه الذي قرأ فيه ببصيرته الخرافية نوايا الشرّ، فدوّن تلك الوصايا التي تشنّع بالعبودية، وبحملة الروح العبودية ،حتّى أن الناس" الظامئين إلى الحقيقة ظمأهم إلى حطام الدنيا" تناقلوها كما تناقل أهل الصحراء وصايا ناموسهم المفقود "أنهي" ليكون لهم دستوراً يهتدون به برغم ضياعه"³.

إن الفاسي كان على علم بكراهية شلم له، حيث قام بتدوين وصايا ضده ؛وبعد أن قتله شلم شاعت تلك الوصايا بين الناس .

يُعد هذا انتقاماً،ولكنه إنتقامٌ نفسي لا جسمي كما عودنا الروائي في ذكره للانتقام فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أصنافاً من الإنتقام مبتوتة ،في ثنايا رواياته الثلاثة ففي لون اللعنة تعددت ألوان انتقام القرصان من الفتاة من ضرب،وجلد، وبيع وفي المقابل تحولت الفتاة المضطهدة إلى منتقمة من جلادها، ولكنه انتقام سلبي بلاعنف شمل

¹ - ابراهيم الكوني،لون اللعنة ،ص 210 .

² - ابراهيم الكوني،لون اللعنة،ص211.

³ - ابراهيم الكوني،لون اللعنة،ص213 - 214.

الفاسي وبني جلدته وهو أشد أنواع الانتقام، وذم لبني جلدة الفاسي من قبل الفتاة، وطرد للفاسي من قبل أهالي فاس، والاعتداء على حماة القوافل والمماليك بالقوة، وانتقام شلم من الفاسي بقتله، وأخيراً انتقام الفاسي من شلم بما أودعه من وصايا ضده.

أما في نداء ما كان بعيداً فيقول الكوني :

"هو طفل ! ولكنه الطفل الذي عليه أن يدبر الانتقام إذا شاء أن يبرهن لنفسه على أنه جدير بلقب طفل!"¹.

ولكن هل الطفولة تساوي الانتقام كما أرادها الكوني، أو أن الطفولة تساوي البراءة² كما أرادها الله .

يتحدث الكوني فيما سبق، عن أحمد باشا القره مانلي الطفل، ولكن الطفولة براءة كما أسلفنا، فما صلتها بالانتقام؟، وكيف يكون الانتقام شرطاً للبراءة عند الكوني ؟ . إن الانتقام ليس شرطاً للبراءة، فهو اعتداء وظلم وحقد، بينما البراءة صفاء وطهارة فطرية .

يقول الكوني :

فإن زواج أبي موسى من كريمة المغدور ابن الجن أمر كفيل بأن يلبسه جبّة الغريم الذي يبيت النية في الانتقام ويتأهب للوثوب على عرش السلطة في أول فرصة³. مما سبق علمنا أن أبا موسى كافأه ابن الجن بتزويجه ابنته، ولكن الكوني يذكر أن أبا موسى انتقم منه، بأن قتله غدراً⁴ ولكن هل الانتقام هو: المكافأة بالعقوبة؟. وهل قصد أن ابن الجن عندما زوج ابنته لأبي موسى الإساءة لهذا استحق الانتقام من قِبله؟.

يقول الكوني :

" حرّر الرسالة التي ستردّ الكيد الى نحر صاحب الكيد، وتحفر الحفرة التي سيقع فيها حافر الحفرة"⁴.

¹ - ابراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 23 .

² - البّريء: المُتَنَجّي عن الباطل والكذب، البعيد من التهم، النَّقِيُّ القُلُوبِ من الشرك، ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني، ص48.

³ - ينظر ابراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص25.

⁴ - ابراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص25.

علمنا مما سبق أن أحمد باشا كتب رسالة أخرى ، بدل التي أرسله بها أبو موسى إلى زعيم المحاميد (حاكم غريان)، عندما علم بمحتواها الذي ينص على قتله بأمر منه، هنا يتبين انتقام أحمد باشا من أبي موسى .

لعل ما فعله أحمد باشا برسالة أبي موسى، هو ما وظّفهُ الكوني من تاريخ الأدب لخدمة نصه عندما أراد عمرو بن هند قتل المتلمس وطرفة بن العبد لهجائهما إياه ، فأرسلهما بكتابين إلى عامله بالبحرين ، وأوهمهما أنه كتب لهما بالجوائز ، ولكن شك المتلمس في كتابه فوجد فيه أمراً بقتله، وهو ما وافق شك أحمد القره مانلي برسالة أبي موسى كما وافق أمر قتله¹.

يقول الكوني :

"لا يستطيع أن ينكر أن وسواساً تملل في صدره يوم فوجيء بترقيته الى مرتبة "باش آغا" خلفاً للوالد ليجد نفسه على رأس جيش من خيالة الساحل وكذلك المنشية، هذه الترقية هي التي أجّبت نهمه لنيل المزيد بدل أن تروي ظمأه من منصب لم يخطر له على بال "².

نشعر بأن الكوني ،يقول إن الترقية حركت في نفس أحمد باشا الطمع ولهذا أراد الباشا الانتقام،إلا أننا نقول إن التاريخ يعيد نفسه فهذا أبو موسى يكافئ ابن الجن على ترقيته وتزويجه ابنته ،بأن يستولي على السلطة منه وبالمقابل فإن أحمد باشا كافأ أبا موسى على ترقيته بأن استولى على السلطة منه، وإن اختلفت الطريقة، مما يدفعنا للقول بأن الفكرة التي كانت مسيطرة على الكوني أثناء كتابته هي "اتق شر من أحسنت إليه" ، وإن لم يصرح بها علناً.

هذا ويستمر الكوني في حديثه عن الانتقام ،ولكن بالمغالطة؛ حيث نجده يقول:

" ثمن الاحسان دائما انتقام ! "³.

¹ - ينظر طه حسين، في الأدب الجاهلي، الطبعة الثانية عشر، لا توجد سنة نشر - دار المعارف، ص226.

² - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 39 .

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص64.

فإذا كانت الفكرة الأولى المسيطرة عليه تحذيرية وغير ظاهرة ، فإن هذه الفكرة
تقريرية.وكأنني به اعتنق مبدأ الشاعر الذي يقول :

لَا يَكُنْ ظَنُّكَ إِلَّا سَيِّئاً
إِنَّ سَوْءَ الظَّنِّ مِنْ أَقْوَى الْفِطَنِ
مَا رَمَى الْإِنْسَانَ فِي مَخْمَصَةٍ
غَيْرِ حَسَنِ الظَّنِّ وَالْقَوْلِ الْحَسَنِ¹

وفي إضافة أخرى يقول الكوني أيضا على لسان أحمد القره مانلي:
" بالطبع ينتقم بل أنه لن يفكر بشيء بعد أن يستعيد الحياة التي وهبتها له بجرعة الماء
بغير الانتقام منك شر انتقام"².

علمنا مما سبق ،أن الكوني يتحدث بثقة في أن الانتقام يكون جزاء الإحسان وكأنه

يؤصل للانتقام في النفس البشرية.

وفي هذا المضمار قال أحدهم للآخر إني أكره فلاناً، فما كان من الآخر إلا أن أخرج له
سلاحاً وقال له اذهب واقتله فرد عليه لا يصل الأمر إلى هذا الحد فأجاب صاحبه
اصمت عليك ألا تعهر هذه الكلمة مرة ثانية، ويقصد بها كلمة "الكراهية". يكون جزاء
الإحسان ،كأنه يؤصل بذلك للانتقام في النفس البشرية.

ولعل الانتقام يرتبط باللؤم، كما يقول المتنبي:

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ، مَلَكْتَهُ
وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ النِّمَّ
تَمَرَّدَا³.

ويضيف الكوني :

" حاصروه في القلعة في نيّة لقتله شرّ قتلة انتقاماً لقيامه بقمع انتفاضتهم التي قاموا بها
منذ شهور احتجاجاً على فرضه الغرامات "⁴.

ورد هذا القول في الحديث عن ما فعله أهالي تاجوراء ؛بشعبان بك أخي أحمد باشا،
وقد وظف الكوني هنا هذا الحدث التاريخي لإثبات ما ذهب إليه من آراء حول

¹ - ديوان أبو عبد الله محمد بن أدريس الشافعي، جمع وتحقيق وشرح اميل بديع يعقوب، الطبعة السادسة، سنة النشر 2001 ،دار الكتاب
العربي،بيروت/لبنان،ص136.

² - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص64.

³ - ديوان أبي الطيب أحمد بن الحسين الشهير بالمتنبي،لاتوجدطبعة،لاتوجد سنة نشر،طبع بمطابع الزهراء للإعلام العربي،مصر،
ص 281.

⁴ - ابراهيم الكوني،نداء ما كان بعيدا ص152.

الانتقام وعندما قبض أحمد باشا على قاتل أخيه شعبان وهو ولد الرايس، نجد الكوني يشكك في أن يكون الانتقام وحده كافياً ليشفي غليل أحمد باشا.

يقول الكوني في ذلك :

"يتم القبض عليه لينال القصاص. القصاص الذي سيهون عليه القصاص الذي سيشفى غليله. ولكن هل يداوي قصاص الانتقام الغليل حقاً"¹.

يقول الكوني :

" خرج له القرمانلي كالقدر ليلقنه الدرس الذي لم يخطر له على بال ولم يُقدّر له أن ينساه عبر كل ما تبقى له من أيام فقد انهزمت قواته شرّ هزيمة"². ولعل أسباب هذا الانتقام ترجع إلى أن الأدغم والترياق، كانا قد رفعا راية

العصيان ضد أحمد باشا للاستيلاء على عرش طرابلس. لذا خرج عليهما القره مانلي وشتت جيشهم وهزمهم شر هزيمة.

وحول انتقام أحمد باشا من رهبان إرسالية النصارى لتعرض حجيج المسلمين للإهانة والضرب من قبل الفرنسيين ،وعلى مذهب الثارات "كان خدك البدوي خد بن عمه"³. قام أحمد باشا بأخذ رهبان النصارى، وسجنهم وأغلق كنيستهم وفي هذا يقول الكوني: "أصدر أمراً بإلقاء القبض على رهبان إرسالية النصارى وتكبيّلهم بالسلاسل واقتيادهم إلى الأقبية"⁴.

هذا ما قام بفعله أحمد باشا رداً على ما فعلوه بالحجيج ،من ضرب وسجن وتعذيب وفيما أظن أن هذا الفعل يكون قصاصاً عادلاً ناهيك عن جعله انتقاماً ذلك لأن الباشا لم يقيم بتعذيب المعتدين من الفرنسيين.

يقول الكوني :

"تقول أن الأبناء الذين ننحبهم من البطون يولدون وهم ظامئون إلى الانتقام، ولهذا فإن أنبل ما يفعلونه بالآباء هو أن يفرّوا من الآباء لأنهم إن لم يفرّوا فإنهم كثيراً ما تسوّ

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص243.

² - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص199.

³ - مثل شعبي ليبي.

⁴ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص269.

لهم نفوسهم الانتقام من الآباء بالتطاول على الآباء"¹.
يذكر الكوني أن كيفية الانتقام تكون إما بالفرار أو بالتطاول، ولكننا نجزم أن ما جاء به الكوني نكراناً وجحوداً لا انتقاماً، وإذا سلمنا بما جاء به الكوني فما الخطيئة التي ارتكبها الآباء في حق الأبناء لتوجب عليهم الانتقام منهم؟!
إلا إذا كان الأمر يتعلق بالاستيلاء على الحكم.

ويبدو أن الكوني لا يستقر على حال من حالات الانتقام، فمرة يجعل الأبناء ينتقمون من الآباء، ومرة يجعل الآباء ينتقمون من الأبناء من ذلك قوله :
"لقد عمل على قمعه منذ الطفولة المبكرة مذكراً إياه بأنه مجرد ظل، ولن يفلح إلى الأبد في أن يصير أصلاً. وقد اختاره على رأس الحملة إلى "فزان" لا ليجعله في

مواجهة مع قدره، ولكن ليستخف به، وقد عبر عن هذا الاستخفاف أصدق تعبير يوم أصدر قراره بإلغاء العفو على حاكم فزان نكاية به، ثم جاء بـ "الناصر" الشقيّ مكبلاً بالأغلال لينكّل به"².

ولكننا نقول إن ماجاء به الكوني في الفقرة الأخيرة لا يُعد انتقاماً ولا قمعاً، بل يُعد نوعاً من التدريب والإعداد للابن ليكون خليفة قوياً لأبيه بعد رحيله، وإن حاول الكوني جاهداً في أثبات أن ما قام به أحمد باشا لابنه كان انتقاماً، لهذا نراه يقول مرة أخرى :
" لقد فعل ما فعل انتقاماً منه هو. فعل ما فعل استصغاراً لانتصاره، وتسفيهاً لفلاحه، واستهانةً بشخصه"³.

يبدو أن الكوني لا يسير على وتيرة واحدة في مفهوم الانتقام وأسبابه، فمرة الانتقام جزاء الإحسان، ومرة يرى أن انتقام الأقدار أشد من انتقام صاحب الدنيا يقول في ذلك :

" انتقام الأقدار أشد من انتقام صاحب الدنيا!"⁴.

ويخلص الكوني في النهاية إلى أن الانتقام شر مطلق ويوصي بعدم اتيانه يقول :

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص291.

² - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص94.

³ - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص94.

⁴ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص455.

" لا تفعل شيئاً على سبيل الانتقام أبداً "1.

هذا وينتقل الكوني للحديث عن نوع آخر من الانتقام السلطوي، ولكن بأداة خارجية. يقول الكوني :

" إن فرنسا بدأت في تصنيع أسلحة فتّاقة خصيصاً للانتقام من القرماني "2.

وهذا يوافق ما ذهب إليه صاحب الحوليات من أن الفرنسيين فعلاً بدأوا في التجهيز لحملة تأديبية ضد أحمد باشا لاعتدائه على الجاليات الفرنسية في ليبيا من جهة، ولأعمال القرصنة التي كان يباركها ويستفيد منها من جهة ثانية3.

ولا يفنأ الكوني ليضع خلاصة تجاربه الحياتية بين الفينة والفينة في ثنايا هذه الرواية

من ذلك قوله :

" أمّا إذا تمرّد صاحب السلطان على هذا النظام فسوف يعضّ بنان الندم .لأنّ الخدم "أو العسس " سوف ينتقمون منه شرّ إنتقام. لأنّ الخدم سوف يخذلونه في الوقت المناسب

4"

إذاً فالكوني ذكر فيما سبق، كيفية انتقام الرعية من صاحب السلطة وهذا الانتقام يكون بتخليهم عنه، في وقت حاجته إليهم.

هذا وكثيراً ما تظهر حكمة الكوني على لسان سيدي الصيد الذي جعله الكوني دائماً مصدر الحكمة ،وصاحب المشورة الأول ، والملجأ الروحي لأحمد باشا من ذلك قوله على لسان سيدي الصيد مخاطباً أحمد باشا :

يقول الكوني :

"أقف أمامك اليوم بضمير نقيّ،وهو ما لا تستطيع يا سعادة الباشا أن تقوله عن نفسه لأنك خنت الإنسان الذي أحسن لك مراراً وأردت أن تلطّخ شرفه بالعار جزاء هذا الإحسان.أردت أن تنتقم منه شرّ انتقام لأن الناس لا بدّ أن يردّوا الإحسان انتقاماً!"5.

هذا ما قاله سيدي الصيد للقره مانلي، عقب موت ابنته حيث أن سيدي الصيد عدّ ما

1 - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص455.

2 - إبراهيم الكوني،نداء ماكان بعيداً،ص329.

3 - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية، ص285.

4 - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص347.

5 - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص359.

فعله القره مانلي انتقاماً منه؛ لأنه أراد ابنته لإشباع نزوة مقابل إحسان سيدي الصيد له، وهذا يوافق قول الحكماء :

أن النفس الخبيثة لا تخرج من الدنيا ،حتى تسيء لمن أحسن إليها. لأن سيدي الصيد لم يضّر القره مانلي أو يعاديه بل كان صديقه الحميم.

ويؤكد صاحب الحوليات ما جاء به الكوني من أن سيدي الصيد قد تضرع إلى النبي بأن يعمي أحمد باشا فكان له ما أراد . وإن كان ما أورده صاحب الحوليات هو من باب الأمانة العلمية لما كانت تتناقله العامة لأسباب فقدان أحمد باشا البصر¹.

يقول الكوني على لسان سيدي الصيد :

"فانتقامي لم يتوقف عند حد حرمانك من إرضاء شهوتك الآثمة، ولكن الثمن هو فقدان البصر في هاتين العينين اللتين أبصرت بهما ابنتي الوحيدة فكانت سبباً في هلاكها وهلاكي!"².

ويُعد هذا الانتقام الثاني لسيدي الصيد من الباشا ،حيث كان إعطاء العقار لابنته وموتها الانتقام الأول من الباشا، أما الانتقام الثاني فكان فقدان الباشا البصر. ويضيف الكوني فيقول :

" ساعة أبلغوه ،أثناء خلوة الخباء، بنبأ تمرّد صاحب "فزان" "³.

إن تمرّد صاحب فزان ،كان انتقاماً من القره مانلي لأنه يريد منهم أن يدفعوا المكوس. نستنتج أن الانتقام تعدد وتنوع في الروايات الثلاث ،ولكنه في رواية (في مكان نسكنه في زمان يسكننا) لم يذكره الكوني بالقدر الذي ذكر في الروايتين الأخريين.

¹ - ينظر شارل فيرو، الحوليات اللبية، ص304.

² - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص362.

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص420.

▪ المبحث الثاني:

تحقيق شهوة المتعة في الروايات الثلاث:

يقول الكوني :

" فقد استدرج أباه المزعوم ليغرقه في النهر، وقد تعجّب أهل البلاد من هذه الفعلة الشنيعة " ¹ .

هذا ما فعله شلم بطل الكوني الخيالي في روايته "لون اللعنة" إنتقاماً من الرجل الذي ربّاه، وكان له والداً فما كان من شلم ؛ إلا أن أغرقه في النهر جزاء إحسانه.
كما يقول الكاتب أيضاً :

"لقد أتيت لك بالدواء .سوف تشفين ! " توسّلت المسكينة مرة أخرى: "لا أريد أن أموت!" فعاد الرجيم يغنيّ أغنيته الغربية قبل أن يقول : " جئتُك بالدواء الذي سيشفيك إلى الأبد !" بعدها هيمن صمت. خيّل للجارة أنها سمعت حشرة مكتومة قبل أن يسود في المكان سكون الأموات " ² .

كان هذا انتقام الابن "شلم" من إمه ،عندما قتلها جزاءً لرعايتها إياه واهتمامها به أما عن السبب الذي جعله يقوم بهذا الفعل الشنيع لأنها قد أنجبته،وهذا السبب ليس كافياً؛لأن النساء كلهن ينجبن ولا يلاقين نفس المصير.
يلاحظ القارئ لما سبق،مدى متعة شلم بقتل أمه وتلذذه بذلك ،وقد أضاف الكوني في إيضاح متعته ؛في ذكره لإيجاد الدواء من قبل الابن لأمه .

¹ - ابراهيم الكوني ،لون اللعنة، ص 48 .
² - ابراهيم الكوني،لون اللعنة،ص50.

لأن الدواء يريح المرضى، ووجوده يضيف السعادة لنفوسهم ومدى محبتنا لهم ومدى سعادتنا لشفائهم. ولكن هذه السعادة تكمن في موت الأم لا شفائها، ولعل هذا هو سبب المتعة هنا وبذا نستطيع أن نقول مطمئنين بأن شلم كان يُعاني من مرض نفسي اسمه، السادية Sadism¹ وهو: التمتع بألم الآخرين² ويبدو أنه في مرحلة متقدمة حتى وصل به الحال لقتل أمه.

وفي هذا يُضيف الكوني تعليقاً على الأغنية التي كان يتلذذ بها شلم وهو يُقدم لأمه

الموت :

" إلى حد جعل أحدهم يعقد مقارنة بين أشعاره تلك و بين الأشعار التي نظمها الطاغية نيرون في يوم الحريق الذي التهم روما فاعتلى الرابية المشرفة على المدينة ليغني أبياتاً جادت بها قريحته المريضة احتفاء بزوال أم الدنيا"³.
إن شلم نظم أبياتاً شعرية، دليلاً على شدة فرحه ومتعته وهو يُذيق أمه كأس الردى، ولكن هل هناك فرق بين أن يقتل الإنسان أمه التي أنجبته وبين أن يقتل الإنسان أمه الوطن؟.

إن قتل أيٍّ منهما وعلى يد أحد أبنائها يدل دلالة لا لبس فيها على ما يعانيه القاتل من مرض نفسي.

أراد الكوني أن يذكرنا بمن هو أشبه حالاً بشلم، من الشخصيات التاريخية فلم يجد إلا نيرون⁴ الطاغية الذي أمتعته حريق مدينته لدرجة جلوسه على قمة مقابلة لها وإنشاده للأشعار الدالة على المتعة⁵.

وكم كنت أتمنى لو أن الكوني استقى خياله من التاريخ المعاصر الحاضر بيننا بما قام ويقوم به الجنود الأمريكيون من حرق للعراق أو أفغانستان بدم بارد وهم في غاية

¹ - مجدي وهبه/كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص110.

² - ينظر فرج عبد القادر طه، معجم علم النفس والتحليل النفسي، الطبعة الأولى، لا توجد سنة نشر، دار النهضة/مصر، ص223.

³ - ابراهيم الكوني، لون اللعنة ص 67

⁴ - إمبراطور روماني، حكم روما أربعة عشر سنة، وتشتهر فترة حكمه بالحريق الذي دمر كثيراً من روما سنة 64، والذي بنى نيرون قصراً ضخماً وسط المنطقة المحترقة.

الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الثانية، سنة النشر 1999، الناشر/المملكة العربية السعودية، ص621.

⁵ - ينظر الصادق النهوم، تاريخنا، الجزء الثالث، ص40.

المتعة وكأن قلوبهم قدت من صخر، ولو أن الشبه الذي جاء به الكوني كان أقرب ؛ لأن نيرون حرق أمه روما وشلم حرق أمه التي أنجبته، ولكن من جاء بالأمريكيين ليحرقوا العراق أو أفغانستان ألا يكونون مثل نيرون ! وللتدليل أكثر نقول إن ما حصل في سجن بو غريب على يد الجنديّة " ليذي انجلند " LYNN DIE ENGLAND التي لم يشف غليلها سجن العراقيين ، بل تمتعت بإهانة كرامة الإنسانية فيهم حين التقطت الصور معهم وهي ضاحكة وهم في قمة إذلالهم وذعرهم من كلاب الشرطة وهي

تشير إلى أجسادهم العارية بإستهزاء¹.

كل ما سبق ذكره ، يجعلنا نتساءل أي متعة تنتاب الإنسان أمام هذه المناظر ؟!.

إن كانت مجرد الدراسة والاطلاع على هذه الإساءة تُدمي القلوب !.

يقول الكوني :

" ويبدو أن سليل الظلمات اعتاد من سيّده مثل هذه النزوات الجنونية، فهبّ واقفاً لينزع جلبابه في غمضة. نزع اللباس وركع أرضاً استعداداً لنيل القصاص "².

إن للمتعة أنواعاً، وما ذكره الكوني في الفقرة السابقة كان أحدها وهو التعذيب كجلد الفاسي لشلم عندما كان ينزعج منه ولا يجد ما يستمتع به سواء جلده.

يقول الكوني في موضع آخر ذاكراً تتكيل الفاسي لشلم :

"ونكّل به لأتفه سبب ، وأحياناً بلا سبب "³.

لاحظ أن الروائي عندما ذكر الفاسي يربطه بشده التعطش للتعذيب ، لعل هذا يؤدي غرضاً مخفياً لنفسية الروائي الذي يقول عن الفاسي:

"إلا أنه لم يتوقف لا عن ارتكاب آثامه، ولا عن التلذّد بترديد سيرة التهام اللحم

البشري النيّء "⁴

¹ - ينظر محمد بسيوني، العار الأمريكي، الطبعة الأولى، سنة النشر 2005 - دار الكتاب العربي، ص191.

² - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص81.

³ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص85.

⁴ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص89.

إن الكوني قد بالغ فيما سبق، ذكره لمتعة أكل الفاسي للحم البشري ومتعة ترديده لسيرة أكل هذا النوع من اللحوم.

أما النوع الآخر للمتعة كما ذكره الكوني، فهو انتهازية السلطة حيث يقول: " تبادلًا التهنة على نجاحهما في إشعال الفتنة بين القبيلتين يوم قاما بإرسال جندهما سرّاً إلى حدود " أزجر " الغربية لنهب القافلة وأسر نساء العشيرة متتكرين في أزياء الملتمين، مرددين بمناسبةو بلامناسبة المزاعم التي تؤكد انتماءهم إلى فرسان " آهجار " ¹. تتجلى فيما سبق ، متعة الفاسي في إشعاله فتيل نار الفتن بين القبيلتين ليتسنى له

الوصول لمبتغاه وهو السلطة.

يتحدث الكوني عن أحمد باشا فيقول :

تخلّى عن السرايق ورجع ليختلي بنفسه في الخباء داخل السراي. هناك استسلم للخلوة استسلم للذة. استسلم لذلك النوع من اللذات التي لن يعرف حلاوتها إلا من حمل العصا وارتحل مصمماً أن يمضي في هجرته إلى الأبد. ولكن ... أليس مريباً أن يجمع في عشقه بين الخلوة وبين غريمتها الخالدة : السلطة ؟ ².

ما أراد الروائي قوله فيما سبق، هو أن متعة الباشا كانت في الخلوة بنفسه. فكيف يجمع بينهما وما الخلوة بواحدة منها ؟ !.

ذلك لأن السلطان هو امتلاك لجميع المتع من أموال، ونساء، وأولاد.

لعل الروائي قصد من قوله ، أن الباشا أراد متعة الروح لا الجسد والسلطة متعة الجسد لا الروح .

يقول الكوني :

" لو كان الأمر كما تقولين لماذا يُدخل الباشا إلى مخدعه امرأة أخرى ما أن خرجت من قصر المنشية ؟. لأن الباشا رجل يا مولاتي ، و فوق ذلك سلطان. يفعل الرجال ذلك بسبب الملل " ³.

¹ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص140.

² - ينظر إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص95.

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص306.

ما قاله الكوني سابقاً، يؤكد ما استنتجناه سابقاً عن متعة الجسد والسلطة، ومن أن الباشا يتلذذ بهما لذا قَدِمَ بامرأة لمخدعه.

يقول الكوني :

" الناس يتكلمون فيقولون إن الكنز بلبل عقلك فذهبت لتمتلك به النساء بدل أن تنفقه على حاجات الإيالة"¹.

ذكر الكوني حديث سيدي الصيد لأحمد باشا، وما أراد قوله أن الباشا يستمتع بأموال الإيالة في إشباع لذاته على حساب قضاء حاجات الإيالة في تصرف غير مسؤول ،

وهذا ما نسميه بلذة² أو متعة المال.

سطوة المال ولذته عندما تحققت دفعت إلى المطالبة بلذة أخرى تصحبه دائماً هي طلب اللذة عند النساء.

يقول الكوني :

"لأنك تريد أن تنال اللذة وتتصل من دفع ثمن اللذة ككل الأوغاد ! لأنك لا تريد أن تنال من بطن الأمة ثمرة موسومة باللعنة ! ظننت أن الابن يستطيع أن يحب أباه."³.

هذا ما قاله شلم للفاسي، الذي اتخذ الأمة جسداً لإشباع لذاته الليلية دون أن يعطيها أدنى حق ، متجاهلاً بذلك إنسانيتها.

ودون حتى أن يدفع حق هذه المتعة الليلية بأبوته لأطفالها، بل كان ناكراً لهذه الأبوة مهتماً بلذته فقط، وسبب هذه القوة والجبروت عائداً، لأنه قرصان السفينة، وما يتاح له لا يتاح لغيره.

وهذا يخالف ما قام به أحمد باشا، على الأقل من وجهة نظر الكوني فإذا كان الفاسي فعل ما فعل طلباً للذة فإن أحمد باشا فعل ما فعل قتلاً للسأم والملل حين يقول الكوني: "لو كان الأمر كما تقولين لماذا يُدْخِلُ الباشا إلى مخدعه امرأة ما أن خرجت من قصر

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص311.

² - اللذة: نقيض الألم، واحدة اللذات، لذّة ولذّ به يلذّ لذاً ولذاذه والتلذذ والتلذّ به واستلذه: عده لذيداً، أي المشتهى.

³ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص208.

المنشية ؟. لأن الباشا رجل يا مولاتي وفوق ذلك سلطان. يفعل الرجال ذلك بسبب الملل "1.

ذكر الكوني ما دار بين زينوبة زوجة أحمد باشا وخادمتها، وما فهمناه من هذا القول أن لذة السلطان المستبد لا تتوقف عقب زواجه، بل لديه الحق في أن يتلذذ بمن شاء من النساء ،وما اتخاذه لهن كالجواري إلا ليمتعنه بما لديهن من أنوثة وجمال، لا لشيء إلا لأنه سلطان مستبد جائر ؛وهن نساء ضعاف كل ما يملكه هو إرضاء للذة ذلك الرجل وطرد الملل عنه.

يقول الكوني :

" الناس يتكلمون فيقولون إن الكنز بلبل عقلك فذهبت لتمتلك به النساء بدل أن تنفقه على حاجات الإيالة "2.

إن ما قاله الكوني يجعلنا ندرك أنه أراد أن الباشا قد قدم لذته بالنساء على حاجات الإيالة، متناسياً أن العرش هو من قدّم له اللذة وإن فقدته فقد معه اللذة والمال. يقول الكوني :

" لم أجلب إلى مخدعي قرينات أربع إرضاءً لنزوة يعلم الله ولكن حرصاً على وحدة البلاد التي وضعت الأقدار زمام أمرها بين يدي. فأرملة الأرناؤوطي لكسب أهل المدينة والتركية لذرّ الرماد في عيون الجالية التركية وبقايا الإنكشارية، والجبالية لاسترضاء قبائل الجبل،والدرناوية لاستمالة أهل برقة وما حول برقة، فأبي هذه النساء تريدني أن أطلق دون أن أززع البنيان الذي شيدته بيدي؟"3.

الكوني برر لأحمد باشا عدم اتخاذه النساء لإشباع نزواته ،ولكنه اتخذهن وسيلة لتثبيت عرشه ، لكي يستطيع أن يحكم من خلالهن .

يقول الكوني :

"لا أحسبك تطلب يد ابنتي لإشباع نزوة"4.

1 - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً ص306 .

2 - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص311.

3 - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص351 - 352.

4 - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص351.

هذا ما قاله سيدي الصيد لأحمد باشا ، عندما طلب الباشا يد ابنته لكي يتزوجها ، ولمعرفة سيدي الصيد بالباشا ، من عدم احترامه لزوجته ، أم أبنائه ، التي هي في نظره وسيلة لإشباع شهوة ، أو تثبيت عرش ، مما أدى إلى صدمة سيدي الصيد وتعجبه ، ذلك لأنه لم يعط أي اهتمام لزينوبة ولا لغيرها ، بل كان يتعامل معهن معاملة السلطان المالك لكل شيء ، مالك الجسد ومالك الروح .
متناسياً أنهن بشر لهن أحاسيس ومشاعر ، إنه يتعامل معهن ، كأنهن قطع من أثاث السراي تنتهي حاجته بإنتهاء غرضه منه .

لعل القارئ يشعر أن ما كان يتعامل به الباشا مع نساء قصره ، هو انعكاس لما يجول في نفس الكوني ضد المرأة ؛ والدليل على ذلك قوله عندما أجريت معه مقابلة :
"المرأة شيطان الإغواء... وإن احترف الرجل مخادع النساء فشل في كل شيء"¹ .

¹ - مقابلة أجريت مع إبراهيم الكوني، ضمن برنامج زيارة خاصة لقناة الجزيرة، 29/ 6/ 2009 ف.

▪ المبحث الثالث:

تلاشي دور المرأة في الروايات الثلاث:

تُعد المرأة إحدى الركائز المهمة في تكوين الأسرة؛ ومن ثمّ المجتمع فهي الأم والأخت، والزوجة، والابنة، وقبل أن يظهر الإسلام وينصفها، ويعطيها حقها من الرجل؛ كانت مضطهدة مهانة، سواء في عهد الجاهلية، حيث كانت تُباع وتشتري كالبضائع، تتخذ عنوةً خادمة ليس لديها أدنى حق في امتلاك حريتها .

إن هذا القول بعض من كل، وقد ذكرناه على سبيل المثال؛ لأن ما أصاب المرأة من اضطهاد جدير أن يُكتب في كتب.

أما في الإسلام فقد نُسب إلى رسول الله أنه قال عن ابنته فاطمة: " هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي يُرِيئُنِي مَا أَرَابَهَا وَيُؤْذِنِي مَا آذَاهَا"¹.

علمنا مدى الأهمية التي كان يُوليها، الرسول - ﷺ - للمرأة، كما أن القرآن ذكرها، وكرمها فيه حتى أنه أطلق اسمها على سورة من سورته هي سورة "النساء"، كما أوضح الله حقوقها، وواجبات الرجل نحوها بكل تفصيل.

إن هذا يدل على علو مكانتها، في ديننا الإسلامي الحنيف ، ومدى اعترافه بدورها وأهميتها في الأسرة والمجتمع، فهي التي تقوم بإنجابه وتربيته.

أما من الناحية العمل، فقد تمّ "تعيين المرأة في منصب حكومي رفيع في عهد عمر بن الخطاب الذي يُعد من أشداء الخلفاء حرصاً حيث ولّى (الشفاء بنت عبد الله العدوية) شؤون(حسبة السوق) في مكة² .

¹ - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب النكاح، باب الغيرة والإنصاف، الجزء الثالث، لا توجد طبعة، لا توجد سنة نشر، دار الفكر العربي، ص 265.

² - ياسر عبد المعطي، بحوث في علم الاجتماع/المرأة في المجتمع، لا توجد طبعة، سنة النشر 2007 - دار الكتاب الحديث، ص 45.

أما في وقتنا الحاضر فقد بدأت المرأة بأخذ مكانتها في كل المجالات، واعترافاً بما تؤديه من دور فقد ألفت العديد من الكتب عنها¹. ولعل هذا ما يجعلنا نودُّ معرفة دور المرأة في حركية الأحداث في روايات الكوني الثلاث موضوع البحث.

حيث يقول :

سلم ترجع أصوله إلى أم زنجية باعها أحد قراصنة البحار إلى أحد المراكبين التجّار في قرطبة بعد أن استخدمها في إشباع شهواته على متن سفينته طرداً للملل في ساعات الكساد².

نلاحظ أن الكوني ذكر، ما أصاب المرأة الزنجية من إساءة في المعاملة، وبيعها واتخاذها بكل ظلم لإشباع شهوات الرجال.

نستطيع القول إنه قد نقل إحدى صور المعاملة السيئة للمرأة بكل قناعتها.

يقول الكوني :

"وقد استبشر بالنبأ الذي تلقاه من شفتي اللقية الأخيرة لأنه تذكّر نبوءة عراف متجول أخبره بأنه سوف ينال بغيته من امرأة ولادة! فما كان منه إلا أن تقاسم مع الأمة المخدع مقرراً أن يتخذها قرينة³."

جعل الكوني من الولادة صفقة تجعل من الأمة زوجة، أي أنه يرفع من حالها ولكن دون تقديرها هي لكونها امرأة، بل لأنها تنجب الأطفال.

يقول الكوني :

"الأمة اللئيمة كانت تدرك هذا السر بغريزتها الأنثوية الفظيعة منذ البداية⁴."

لعل الكوني قصد من قوله للفظـة "اللئيمة" حدة التنـبـه لمجريات الأحداث من حولها

¹ - ينظر محمد فؤاد حجازي، الأسرة والتصنيع، الطبعة الثالثة، سنة النشر 1979 - القاهرة، ص 190 - 192.

² - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 19 - 20.

³ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 24.

⁴ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 25.

ولكن اللؤم: ضد الكرم¹ لا الذكاء رغم أنه قد يتبين لنا أنه يذكر ذكاء المرأة، والذي من خلاله قدح غريزتها.

يقول الكوني :

"أن الأم التي استطاعت أن تروض رجلاً يتوهم أبوة مزعومة لوليدها الوحيد، ما لبثت

أن استغلّت تسامحه في شأن تشنيعها بملة قومه بأشعارها الرهيبة، فتمادت."2.

أراد الكوني أن يثبت خداع المرأة، لدرجة جعلها قد نسبت طفلاً لرجل ليس والده، وظلت تخذعه بأبوة مزعومة.

نلاحظ أن الكوني قد قدح ونكلّ؛ بهذه المرأة لدرجة يُصور لنا أنه يصف امرأة يعرفها حق المعرفة، وجعل الرواية وسيلته للنيل منها.

يقول الكوني :

"تابعها بفضول شديد لأنه اكتشف في تلك المرأة التي نكلّت بها الأقدار امرأة أخرى، خفية، لم يعرفها قبل ذلك اليوم"3.

إن الروائي جعل انتماء هذه المرأة، لعالم الخفاء جرّاء ما أصابها من مصائب الدهر، لعله قصد بالخفاء الجن لا الإنس، لماذا وصفها بالخفية ولم يصفها بالحكمة؟ أليس هو من يقول إن المصائب تجعل الناس حكماء؟!

لعله يقع في تناقض عندما يتعلق الأمر بالمرأة، أو لعله قصد بعد المرأة عن الحكمة !.

يقول الكوني :

"أطلقت الأم اسم "جرمنت" على ولیدها البكر الذي كُتب عليه أن يكون أوّل وليدٍ للأرض على الأرض كما تحدّثت بذلك أساطير الأولين"4.

ذكر الكوني حديثه عن المرأة الأم، وبأنها الأصل لوليدها أي أنه يُعرج على أحد

¹ - اللئيم: الذئبي الأصل الشحيح النفس.

ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث عشر، ص153.

² - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص27.

³ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص28.

³ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص125.

جوانب تركيبة المرأة وهي الأمومة.

ولكنه ذكر أن الأم هي من أطلقت اسم "جرمنت" والذي يعني "المتفوق على نفسه"، إذا فهمنا أن التفوق على النفس هو العقلانية، فهذا يعني أن المرأة عقلانية، وهذا يعني أنها حكيمة، وإن رفض الكوني هذه العقلانية وأقر بوجودها خفية فيما سبق.

أما إذا حاولنا إرجاع كلمة "جرمنت" إلى التاريخ فإننا نجد أنهم قوم سكنوا جرمة بالجنوب الليبي، وأسسوا بها حضارة وكانوا من القوة بحيث أنهم كانوا يغيرون على حدود الدولة الرومانية، وما زالت آثارهم بجرمة حاضرة حتى يومنا هذا وتزار¹. يقول الكوني :

" قد أفضل مكائد المتآمرين على خلع بيعة محمد باشا الإمام فكافأه الأخير بأن عقد له على حسناء الزمان كريمته زينوبة"².

ذكر الكوني ما قام به محمد باشا الإمام من مكافأة لخليل باشا، وذلك بأن زوجة ابنته لماذا جعل من ابنته مكافأة رغم غنى محمد باشا الإمام!. وما أشبه هذه المكافأة بالهدية التي نحسن أن نشترىها ونعطيها لمن نود، وكأنها ليست إنسانة من روح وجسد. أو أن محمد باشا زوجة ابنته لكي يجعلها وسيلة في توطيد العلاقات بينه وبين خليل باشا، إن في هاتين الحالتين ظلم للفتاة .

يقول الكوني :

" النساء دائماً ملك من ملك. النساء زينة الملك. النساء حقيقة الملك"³.

جعل الكوني المرأة مملوكة مستعبدة، ثم يضيف بأن يجعلها زينة، دون أن يجعل أي دور في الحكم، ما جعلنا نتساءل: لماذا يحرص الكوني أن تكون المرأة في زوايا معينة مثل العبد، اللذة، الزينة؟ دون أن النظر لما تحمله من أمن وعطف...

¹ - ينظر محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، الطبعة الأولى، سنة النشر 1969، دار المصراطي، طرابلس - ليبيا، ص 70 - 141.

² - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 102.

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 105.

يقول الكوني :

" أن النساء أفة الرجال الذين استسلموا لهنّ . ولكنهنّ سلاح الرجال الذين أحسنوا استخدامهنّ. المرأة بالشهوة استنزاف؛ المرأة بالحبّ قوّة "¹.

أراد الكوني أن يقول إن هناك نوعين من النساء : منهنّ تهلكة، ومنهنّ سلاح

وهنّ صاحبات اللذة، وفي هذا يضيف الكوني:

إذا احترف الرجل مخادع النساء فشل في كل شيء "² أي أنه يحذر من اشتهاه النساء،

أما النوع الثاني فهن من أحبين الرجل وأحبهن هو يجعلنه قوياً.

أي أننا نعلم من أن النساء عبارة عن :لذة ،حب .فقط.

لماذا ذكر الكوني لفظ استخدام دون غيرها؟! أم أنه يؤكد على اتخاذها وسيلة!.

يقول الكوني :

" أشبه ما تكون بنميمة النساء اللاتي إذا لم يجدن من يغتبن فلا بد أن يبدأن في اغتياب

أنفسهنّ "³.

في هذه العبارة نلاحظ تناقض رأي الكوني، لأنه سبق وأن اعترف بذكائها فكيف

يذكرها هنا بأنها تغتاب نفسها؟ وهذا الغباء ذاته.

يقول الكوني :

"إن لغة القلب هي حرفة المرأة التي لا تخطيء مهما أخطأت في سبل أخرى لأنها

لغتها هي قبل أن تكون لغة أي مخلوق آخر في هذه الدنيا "⁴.

يصرح الكوني بعاطفة المرأة، ولكنه بالغ في ذلك حين جعلها حرفة لا تجيد سواها.

ذلك لأن العاطفة ليست مقصورة على النساء، بدليل وجود رجال يفوقون بعض النساء

عاطفةً. ولكنه يجعل منها أداة للتفرقة بين السادة والعبيد في قوله:

"إذا كان لهؤلاء السادة البلهاء من فضل على عبيد هذه الدنيا فهو فوزهم بالحسان من

دون الناس جميعاً "¹.

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص105.

² - مقابلة أجريت مع إبراهيم الكوني، ضمن برنامج، زيارة خاصة لقناة الجزيرة، 29/6/2009 ف.

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً ص155

⁴ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص184.

إن هذا القول جعلنا نتساءل :لماذا النساء بالذات اتخذهم الكوني للتمييز بين طبقات المجتمع؟.

ألم تكن الحكمة أو المال أو السلطة أو العلم أكثر تمييزاً من الحصول على النساء!.

يقول الكوني :

" ربما لأن النساء يلدن من الرجال أكثر مما تلد الأفراس من الجياد!"².

نجد الروائي فيما سبق، عقد مقارنة بين النساء والأفراس في كثرة الولادة كلنا على علم بأنهما يلدان، وكلاهما مهمتان ولكليهما مكانته، ولكن لايجوز المقارنة بينهما، لأن الأفراس حيوانات - أكرمكم الله - والنساء من البشر كما أن ما تنجبه النساء من أبناء لهو زينة الحياة الدنيا.

يفهم من ذلك أن الكوني يجعل المرأة في زوايا دون الأخرى، يجعلها مصدر الشهوة والمتعة، ثم بأنها ولود، والمخادعة تارة والغبية تارة أخرى.

إن ما ذكره الكوني جعلنا نتساءل :لماذا لم يذكرها مناضلة، امرأة فاضلة طاهرة، متعلمة تساعد أخاها الرجل من أجل التقدم؟.

¹ - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص 21.

² - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص 63 .

الفصل الثالث

التاريخ وانعكاسه حاضراً ومستقبلاً

▪ **المبحث الأول:**

▪ **استدعاء التاريخ العربي.**

▪ **المبحث الثاني:**

▪ **رؤية الحاضر بعين الماضي.**

ـ المبحث الأول :

استدعاء التاريخ العربي.

في هذا المبحث نحاول أن نثبت، استعانة الروائي بالتاريخ العربي، في كتابته لرواياته وما الأحداث التاريخية التي استعان بها؟.

فوجدناه قد استعان بتاريخ قبيلة أولاد محمد التي تتحدر من أصل مراكشي، ومنها جاءوا، وبنوا مرزق وجعلوها عاصمة دولتهم حين يقول الكوني عنها:

شالوم هذه بطن من بطون قبيلة مجهولة اسمها "حاطوم"... اقتحمت الصحراء في حملة غزو عُرفت في تاريخ الصحراء بـ "غزوات أولاد محمد"¹.

هذا وقال حبيب وداعة عن مرزق إنها كانت من أهم المراكز الصحراوية التاريخية والسياسية في القرن السادس عشر؛ حيث كانت مكاناً كبيراً تلتقي فيه القوافل بين السودان ومصر، وأقطار المغرب العربي، أي أن تاريخ فزان خلال حكم أولاد محمد هو تاريخ العلاقات السياسية، والثقافية، والتجارية بين مركز وأطراف الصحراء الكبرى² كما أنشئت دولة مرزق حواضر لها، في كل من (القلعة) في الوادي الشرقي و (تكريبة) في الوادي الغربي.

مما جعل الناس يشعرون بقيمة الدولة وهيبتها³

استعان الكوني بتاريخ أولاد محمد، وقد قام بتوظيفه في روايته رغم أنه غلط في بعض ما قال، ولكنه أصاب أيضاً في ذكره لحرفتها وهي التجارة حين قال عنها: القبيلة المجهولة التي احترفت التجارة يوماً على طول شطوط النهر المسمى "الوادي الكبير" في بلاد الأندلس ما لبثت أن امتهنت حرفتها القديمة ما أن وضعت الحرب أوزارها في الصحراء⁴.

أما ما يتعلق ببلاد الأندلس فنجد الكوني قد استعان بتاريخ (فترة ملوك الطوائف) التي توصف بإنهيار الدولة الإسلامية؛ لما حدث فيها من انهيارات على مختلف الصعد.

¹ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 11-12.

² - ينظر حبيب وداعة، وثائق دولة أولاد محمد بفزان، المجلد الأول، ص 9.

³ - ينظر الأمين محمد الماعزي، حضارات الصحراء (2)، الطبعة الأولى، سنة النشر 2003، ص 37.

⁴ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 12.

هذه الثغرة هي بداية سقوط الدولة الأموية وضعفها؛ ذلك بعد أن خلع هشام، تنازع المروانيون على الحكم، مما زاد في ضعف الدولة، فهب كل رئيس يستقل بإمارة ويسميتها دولة، من هذه الدويلات: بني هود، بنوزين، بنو حمود، بنو عامر، بنو الأقطس، بنو عباد، بنو جهور، بنو ذي النون.

أي أن هذه الدويلات كانت عربية وبعضها بربر، أو أخلاط من الناس ألهاهم الملك والمجون، إلى أن هجم عليهم ألفونسو، فتجمعوا حول بن عباد مما جعله يطلب معونة المرابطين، في المغرب برئاسة يوسف بن تاشفين الذي لبي الطلب وقدم للأندلس، وهزم ألفونسو ثم رجع لبلاده تاركاً جزءاً من جيشه في الأندلس يحميهم به، ثم عاد إليهم ثانية بعد أن رأى يوسف حال الناس وما يعانونه من ضعف، وفوضى فقام بخلع ملوك الطوائف؛ وبهذا أنضمت الأندلس للمغرب تحت راية يوسف بن تاشفين¹.

كما وجدنا بعد اطلاعنا على تاريخ الأندلس؛ أن ما جعل المسلمين يخرجون مطرودين منها، كان نتيجة لاستيلاء البرتغاليين على سبة سنة 1415 م، وهي التي كانت أول قاعدة في إفريقيا لهم، مما جعلهم يستطيعون التوغل في القارة، أو أن يقوموا بهجوم على جبل طارق، عبر بحر الزقاق، الذي كان في أيدي سلاطين غرناطة، نحو خمسين عاماً رغم المنازعات المستمرة عليه.

بعد استيلاء النصارى على جبل طارق؛ سيطروا على ثغور بحر الزقاق الثلاثة (طريد والجزيرة الخضراء وجبل طارق)، مما حال دون وصول قوات من المغرب لنجدة غرناطة، وهذا عجل بسقوطها في يدهم؛ وانتهاء الوجود الإسلامي في الأندلس سنة 1492 م. كما أن سيطرة الأسبان على مضيق جبل طارق، أدت إلى نمو التجارة بين موانئها على ساحل البحر المتوسط والمحيط الأطلسي.

ولكن المسلمين العاملين تحت إمرة خير الدين بربروسا؛ شنوا غارة على جبل طارق سنة 1540 م وكادوا يستولون عليه، فعمد الأسبان بعد هذه الغارة إلى تعزيز تحصينات

¹ - ينظر عبدعزیز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 93 - 99 .

الجبل.

هذا وقام الأميرال(دون خوان دي مندوزا DON JUAN DE MENDOZA) سنة 1610 م؛ بنقل المسلمين من ميناء جبل طارق، وبهذا يكون إجلاؤهم النهائي عن أوطانهم في الأندلس إلى ساحل المغرب¹.

وظّف الكوني ازدهار الأندلس بالتجارة وطرد المسلمين منها إلى دول المغرب العربي؛ حين ذكر مؤسس دولة أولاد محمد أحد هؤلاء المطرودين. هذا وقد علمنا من كتب التاريخ أن يوسف بن تاشفين هو من حكم المغرب، مما جعل الكوني يوظّف مكانته وقوته في طرد محمد الفاسي من المغرب.

وفي هذا يقول الكوني:

قبيلة أولاد محمد شقية أقبلت من الأندلس يتزعمها قاطع الطريق السقّاح محمد الفاسي الذي طُرد من بلاد المغرب الأقصى بسبب نشاطاته الإجرامية بالذات عندما حلّ بأرض تلك البلاد مُلاحقاً بسيوف الفرنجة فما كان من أهل المغرب إلا أن دفعوا به مع أترابه من فلول الفارة من حراب هؤلاء الأعلاج².

إن قبيلة أولاد محمد كما يقول الكوني اقتحمت الصحراء غازية. حين قام بتوظيف غنى طرابلس في سنة 833، في فترة تولي عبد الواحد بن حفص وثراء أهلها، لدرجة أن أحد التجار سحق جوهرة ونثرها على الطعام في وليمة أقامها للفرنجة، وعدم إيجاده لسكين عند فتحه للبطيخة³.

جاعلا منه سبب قدوم محمد الفاسي مؤسس دولة أولاد محمد لجنوب طرابلس طمعاً في هذا الثراء.

كما استدعى الكوني أيضاً من التاريخ الصراعات التي كانت على ملكية الأرض بين أصحاب الإقطاعيات من حاملي الجنسية الرومانية التي حاول ماريوس إعادة تقسيم

¹ - ينظر أمين توفيق الطيبي، تاريخ المغرب والأندلس، ص 293 - 294.

² - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 12.

³ - ينظر ابن غلبون، التذكار، ص 140 - 142.

أراضيها، ولكن الرومان كانوا يرحمون موظفيه بالحجارة حتى الموت¹.

هذا وقد قال الكوني عنها:

" في خرائب قديمة تقع في الجهة الشرقية من النهر كان جنود يوليوس قيصر يتخذونها معسكراً زمن الاحتلال الروماني"²

إن كتب التاريخ قد ذكرت أن نيرون الطاغية كان في أول عهده مشرفاً على الإستقطلات الملكية، ثم ترقى لوظيفة مستشار الأباطور، هذا وقد قام بقتل أمه اغريبينا وزوجته اكتافيا ؛ لكي يتزوج من المرأة الفاتنة بوبايا . وفي وسط هذا الجو الغريب يشب حريق روما سنة 64³.

إن ما قام به نيرون نحو أمه وزوجته، جعل الروائي يستعين بهذه الشخصية لكي يضيف لروايته واقعا تاريخياً، فنجد يقول:

" الأشعار التي نظمها الطاغية نيرون في يوم الحريق الذي التهم روما فاعتلى الرابية المشرفة على المدينة ليغني أبياتا جادت بها قريحته المريضة احتفاء بزوال أم الدنيا"⁴ هذا وقد استعان الروائي بالتاريخ في ذكره لما أصاب سكان الأندلس حين طردوا فقد كانوا مختلفين ،من حيث الأصل والدين فمنهم العرب والبربر، والجاليات اليهودية⁵. يقول الكوني مستنداً للتاريخ:

" في مساء تلك الليلة التي انطلقت فيها سفينته محملة إلى جانب "الخناس" بطوابير من المطرودين من مختلف الأجناس والألوان (يهود وزنوج وعرب وبربر) ليلقي بهم على الشواطئ الأخرى كما يُلقى الناس في العراء بفضلات الزبالة"⁶ بعد تتبعنا لكتب التاريخ التي أوردت نسب محمد الفاسي، الذي ينتمي لمراكش⁷ نجد الكوني يقول عنه:

¹ - ينظر الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الأول، ص30.

² - إبراهيم الكوني، لون اللعة، ص47.

³ - ينظر الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الثالث، ص40 .

⁴ - إبراهيم الكوني، لون اللعة، ص67.

⁵ - ينظر أحمد هيكال، الأدب الأندلسي، الطبعة الثانية عشر، لا توجد سنة نشر- دار المعارف ص38- 39، 50 .

⁶ - إبراهيم الكوني، لون اللعة، ص100.

⁷ - ينظر حبيب وداعة، وثائق دولة أولاد محمد بفزان، المجلد الأول، ص9.

"حمل ثروته وركب سفينته رست به على شواطئ طنجة هناك ذهب إلى السوق واشترى عبداً وأمةً وجبةً وعمامة، واختفى من هناك ليظهر بعد أمدٍ في مدينة "فاس" ¹.

بما أنه مراكشي فمن الطبيعي إذاً أن يذهب الإنسان لمسقط رأسه و بلاده. كما استدعى الكوني ؛يوسف بن تاشفين الذي قالت كتب التاريخ إنه أمير المسلمين في مراکش، وقد كان ديناً حازماً داهية مجرباً عادلاً، يميل لأهل الدين والعلم ويكرمهم، ويصر على رأيهم، كما كان حليماً كريماً يحب الصفح عن الأمور العظيمة. إلا أن ما فعله بإشبيلية، من نهب وسوء معاملة للمعتد أبان عن صغر نفسه، ولؤم طبعه ². أي أن الكوني قد وظّف تدوين يوسف بن تاشفين وقوته، في روايته حيث يقول:

"لم يصدق صاحب البهتان ما رواه شهود العيان عن سلطان القوة التي حاصرت مأواه في مساء ذلك اليوم إلى أن مزّق قبس الفجر ظلمات تلك الليلة العصبية ليرى ذلك المغامر بأم عينيه ظلمة من فرسان قيل له إنهم أحفاد يوسف بن تاشفين الذين سمع عن شجاعتهم الأساطير أقبلوا من تخوم مراکش" ³

هذا وقد استدعى الكوني تاريخ الأندلس والمغرب، حين قام الفرنجة بمحاولة لاحتلال المهدية؛ عندما علموا بأن الحسن بن علي والي المهدية على علاقة ودّ مع يوسف بن تاشفين الغازي لبلاد الأندلس؛ وأن الحسن هو محرّض يوسف على غزو الأندلس؛ فقام الإفرنج بقيادة "رجار" بمهاجمة المهدية والاستيلاء على القصر، ولكن عندما حاصر المسلمون من في القصر من الفرنجة، ولم تستطع الفرنجة إنقاذهم رجعوا لصقلية ⁴. حيث يقول :

" فما كان منهم إلا أن انطلقوا لملاحقة الأقوام التي أخرجوها من بلادهم ليستعبدوها اليوم، كما استعبدتهم بالأمس" ⁵.

كما استدعى الكوني أيضاً احتلال الإفرنج القادمين من صقلية لدويلات شمال إفريقيا،

¹ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة ص 108 - 109 .

² - ينظر ابن غلبون، التذكار ص 105 - 109، 112 .

³ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 115 - 116.

⁴ - ينظر ابن غلبون، التذكار ص 80 - 82 .

⁵ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 118.

الذي كُتب فيه: سقوط المهدية وسقوط طرابلس بيد الإفرنج بقيادة "رجار"¹.
حيث نجده يقول عن ذلك:

"لم يستغرب حتى أهل الترف أنفسهم(من سكان الشطآن الشمالية للقارة السوداء) أن يسقطوا فريسة سهلة المنال في يد هؤلاء المرّة . تساقطت الدويلات الساحلية الواحدة تلو الأخرى"²

ولعل السبب الرئيسي، كما ذكره الكوني وذكرته كتب التاريخ، في مجيء الإفرنج "الأسبان" إلى طرابلس واحتلالهم لها كان طمعاً فيما ظن أنها تملكه من ثروات وذلك أن أحد الأثرياء بمدينة طرابلس قام بطحن جوهرة كبيرة ونثرها على موائد الطعام بدلاً من البهارات³، وفي هذا يقول الكوني أن:

"أحد البلهاء استضاف عدداً من تجّار الفرنجة في بيته بأصناف الأطعمة وأنواع المذاق والطيب إلى حدّ أنه تناول جوهرة لم يشهد الأضياف لحجمها مثيلاً ثم ذهب وطحنها حتى تحولت هباء ونثرها بعد ذلك على الأطعمة بمثابة بهار من البهارات إكباراً لضيوفه وتباهياً منه بما ملكت يده"⁴.

وإذا كانت هذه الرواية لا تمجها الأذن و أقرب للتصديق مما يجعل جانب الحقيقة فيها ظاهراً، فإن الرواية الثانية التي ساقها عن سبب احتلال الفرنجة لطرابلس يغلب عليها جانب الخيال الروائي وتوظيفه في مثل هذه الأحداث يقول الكوني:
"رواية أخرى تناقلها تجّار الفرنجة في رحلتهم تلك تقول إن ربّ البيت الذي استضافهم بحث عن سكين لشق بطن البطيخ في البيت فلم يجد وأرسل الخدم إلى بيوت الجوار ، ثم إلى سكان الحيّ كله فلم يعثر على نصل يصلح لتقطيع الفاكهة، فكيف بسلاح يصلح لمقاومة عدو؟"⁵.

وأياً ما كان سبب احتلالهم لطرابلس طمعاً فيما ظن فيها من خيرات ،أو بسبب عدم وجود سلاح أو للسببين معا فإن الإحتلال قد تم¹.

¹ - ينظر ابن غليون، التذكار ص 84 - 88 .

² - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 119.

³ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليلية، ص 67 - 69.

⁴ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة ص 120 .

⁵ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة ص 121 .

وكعادة الكوني في سرده للتفاصيل الدقيقة لم يغفل أن يسرد علينا الطريقة التي أخضع بها الفرنج طرابلس سنة 916 هـ²، فنجده يقول:

"سال لعاب سلاله كل مغامر، فشدوا إليها الرحال من كل صوب فكانت الغلبة في البداية من نصيب عدد من قراصنة الجزر المجاورة في الوقت الذي كان فيه دهاة الفرنجة يتأهبون للاستيلاء على هذه الجوهرة من جهة الشمال"³ وعند الحديث عن الاستيلاء على عرش الإيالة فالأجدر أن نتتبع تاريخ بعض ولايتها الذين منهم أبو موسى الذي قتل بن الجن بعد أن تولى ابن الجن الحكم حيث ذهب إلى القلعة صحبة أبي موسى الذي غدر به وأجهز عليه ذبحاً أثناء نومه⁴. وعن هذه الحادثة نجد الكوني يقول:

"أبومويس خنق ابن الجن غيلة. ولكن الأكابر يرفضون الاعتراف بسلطانته برغم فوزه بتأييد أولئك الذين لايعجبهم العجب"⁵ يلاحظ أن الروائي رغم تغييره كيفية القتل؛ فإنه وافق التاريخ في أن أبا موسى هو من قتل محمد ابن الجن.

عند تولي أبي موسى عرش الإيالة ثار قلقه من شخصية أحمد القره مانلي الذي كان يحظى بعطف سكان طرابلس والذي خلف والده يوسف⁶ في منصب باش آغا على مطلب جماعي من رفاقه لما أبداه من شجاعة⁷ وهو الذي ذكر الكوني عنه:

"فوجيء بترقيته إلى مرتبة"باش آغا" خلفاً للوالد ليجد نفسه على رأس جيش من خيالة

الساحل وكذلك المنشية"⁸.

إن خوف أبي موسى من أحمد القره مانلي، جعله يبادر بنية الغدر به فقام بإرساله لأهل

¹ - ينظر ابن غلبون، التذكار، ص142.

² - ينظر ابن غلبون، التذكار ص142.

³ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص121.

⁴ - ينظر رودلفو ميكاسي، طرابلس الغرب، ص9.

⁵ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص20.

⁶ - ينظر الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص59.

⁷ - ينظر شارل فيرو، الحوليات اللبنيّة، ص263.

⁸ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص39.

غريان بنية قتله¹، يقول الكوني عن هذه الحادثة:

" كيف وثق في رجل اغتال بالأمس حماءه الذي زوجه كريمته وارتضى بأن يكون رسوله إلى زعيم قبائل الجبل ؟ كيف صدّق بأن أبي موسى يمكن أن يحسن به الظن يوماً وهو الرجل الذي ذاع صيته في الأركان، ونال محبة الغرباء قبل الأقرباء"².
عندما علم أحمد القره مانلي بما دار بنفس أبي موسى من نية لقتله بيد أهل غريان ، وذلك من خلال المکتوب الذي أرسله أبو موسى به، قرر تغيير صيغة المکتوب³ حيث قال الكوني:

"كتب بالمداد رسالة أخرى. رسالته هو لا رسالة أبي موسى اللئيم. حرّر الرسالة التي سترد الكيد إلى نحر صاحب الكيد وتحفر الحفرة التي سيقع فيها حافر الحفرة"⁴
كان وقع مکتوب أحمد القره مانلي على نفوس أهل غريان شديداً لدرجة أنهم أرادوا أحمد القره مانلي والياً على الإيالة وهم حماه بجيشهم⁵ الذي قال عنه الكوني:
" في صباح ذلك اليوم الذي كانت فيه جحافل الخيل القادمة من جبل نفوسة تدك حقول الشريط الأخضر الذي يطوق الساحل من جهة الجنوب و يلامس حدود المنشية ، لتثير بحوافرها في الهواء عواصف الغبار، وكانت جحافل أخرى من الفرسان قد انطلقت باكراً من أسوار تاجوراء لتنضم إليها جيوش خيل الإيالة المرابطة في حدود المنشية"⁶
يتبيّن لنا مما سبق مدى حرص الكوني على إيراد الحقيقة التاريخية، حيث أنه نقل ما ذكرته كتب التاريخ دون مغالطة.

أما فيما يتعلق بتاريخ الأسرة القره مانلية، التي ذكرت عنها كتب التاريخ:

" أن جدّ القرمانليين كان مجرد نوتي قرصان من مواليد مدينة قرمان بالأناضول ، قدم إلى طرابلس في زمن ولاية درغوت وكشأن غيره من المغامرين الأتراك، فإنه تملّك

¹ - ينظر رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 9 - 10.

² - إبراهيم الكوني، نداء ماكان بعيداً، ص 23.

³ - ينظر شارل فيرون الحوليات اللبية، ص 264.

⁴ - إبراهيم الكوني، نداء ماكان بعيداً، ص 25.

⁵ - ينظر شارل فيرون، الحوليات اللبية، ص 265.

⁶ - إبراهيم الكوني، نداء ماكان بعيداً، ص 49.

بستاناً في ضاحية المنشية واستقر فيه حيث تزوج من إحدى نساء المنطقة العربيات¹.
ولقد توارثت سلالة هذا القرصان من أب إلى ابن اسم جدّهم الأول الملقب
بالقرمانلي².

وبذا فقد وظف الكوني تاريخ الأسرة القره مانلية، وزواج مؤسسها من بنات المنطقة
العربية³ في روايته ليمنحها بعداً تاريخياً عميقاً حين نجده يقول:
" ابن وحيد ورث عن أبيه حرفة التجارة وتزوَّج حسناء من بنات تاجوراء انحدرت
منها السلالة كلها"⁴

تولى أحمد القره مانلي عرش الإيالة الطرابلسية، بحضور أكابرها وأعيانها وأهالي
الساحل والمنشية⁵، وعنه يقول الكوني:
" يوم تزاحم في الديوان أكابر الإيالة وأعيان المدينة وأشياخ الضواحي وزعماء القبائل
لمبايعته"⁶.

بعد تتبعنا لما ذكرته كتب التاريخ، وجدنا أن الكوني قد استعان به دون أي مغالطة
تذكر حيث إنه نقله داخل نسيج روايته بكل أمانة علمية.
عند تولي أحمد باشا عرش الإيالة، حاول تغيير نظام الحكم في طرابلس، حيث قام بقتل
جنود إنكشاريين حين استضافهم في بيته بمناسبة تنصيبه قائداً⁷.
وفي هذا يقول الكوني:
قضوا على مايزيد على ثلاثمائة شقي من جند الإنكشارية داخل حدود القصر وحده ..

وقد ارتوت سيوف فرسان القرمانلي بدمائهم⁸.
فيما سبق نلاحظ مدى استعانة الكوني بالتفاصيل التاريخية، وتضمنها بروايته دون

1 - ينظر رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص11.

2 - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص263.

3 - ن.إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص109.

4 - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص18.

5 - ينظر رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص10.

6 - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص59.

7 - ينظر ن.إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص111 - 112.

8 - ينظر إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص86.

إهمال لما تحمله من أخبار أحمد القره مانلي أثناء أيامه الأولى من توليه حكم الإيالة. بعد قتله لأولئك الجنود الإنكشاريين، قام بإرسال الهدايا للباب العالي في نية منه لإرضائه عما قام به¹ ولكن الكوني قد ذكر:

" فما كان من القرمانلي إلا أن أمر بمصادرة أموال هذه الملة وبيعها في المزاد العلني ليشتري بقيمتها هدايا نفيسة بعث بها إلى الباب العالي في الأستانة لإسكاته"².

لاحظنا فيما سبق استعانة الكوني بخبر إرسال الباشا أحمد للهدايا للباب العالي، عقب قتله للجنود الإنكشاريين، ولكنه جعل من الباشا تاجراً عندما باع أموالهم، لكي يشتري بها رضى الباب العالي وهذا لم تذكره كتب التاريخ، لعل الكوني قصد به شدة ذكاء الباشا أو لعله قصد شدة إفلاسه لذلك قام بهذا الفعل.

عقب وصول هدايا أحمد القره مانلي إلى الباب العالي، أرسل الباب العالي خليل باشا الأرناؤوطي وبيده رسالة تقضي بتعيينه والياً على الإيالة الطرابلسية³ وهذا ما إستعان به الكوني حيث يقول:

"يوم بلغه خبر وصول رسول الباب العالي حاملاً رسالة ممهورة بتوقيع السلطان تقضي بتعيين خليل باشا الأرناؤوطي والياً على إيالة طرابلس"⁴.

عند الحديث عن خليل باشا الأرناؤوطي الذي كان صاحب الفضل على أحمد القره مانلي ومن قبله والده عندما رقى الثاني ليصبح رئيس الخيالة⁵، والذي قال عنه الكوني :

" ألم يكن الأرناؤوطي صاحب الفضل في تعيين أبيه رئيساً لخيالة الإيالة؟ ألم يكن له

الفضل في تعيينه هو أيضاً" باش آغا" خلفاً لأبيه؟"⁶.

¹ - ينظر محمد الهادي أبو عجيبة، النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط، ص109.

² - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص86.

³ - ينظر شارل فيرو، الحوليات اللبية، ص267.

⁴ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص87.

⁵ - ينظر ن. إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص109-110.

⁶ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص95.

فيما سبق يتضح لنا أن الكوني يُذكر بفضل خليل الأرنؤوطي على أحمد القره مانلي ووالده، وهذا ما ذكرته كتب التاريخ، و رغم هذا الفضل فإن أحمد القره مانلي قد قام بقتله، ومزق جسده وشوى منه على النار وأكله المغاربة¹ كما رفعت رأسه فوق إحدى الحراب وحملت إلى طرابلس بعد أن عرضت لسخرية الجمهور²، وفي هذا الخبر وجدنا الكوني يورد:

"القرمانلي أباح للغوغاء جسده"³.

يتضح أن وصف الكوني لما قام به القره مانلي بجسد الأرنؤوطي، وصف تاريخي مقتضب.

بعد هذه السخرية بجسد الأرنؤوطي من قبل الجمهور، تمّ دفن ما تبقى منه بمقبرة سيدي حمودة⁴، ويقول الكوني عنه:

" قد أمرتُ بدفن رأس الفقيده بما يستحق من مراسم في مقبرة سيدي حمودة مجرد أن بلغني النبأ"⁵.

رغم استعانة الكوني بهذا الخبر من كتب التاريخ، فإنه عندما يروي يلاحظ عليه الأكابر لشخص الأرنؤوطي، وهذا الإكبار لم نجده في كتب التاريخ بل وجدنا في لفظ " ماتبقى منه" الإهانة والإذلال.

بعد تخلص أحمد باشا من الأرنؤوطي، ونتيجة للفوضى والإفلاس التي كانت تعانيه الإيالة، قام (علي المكني) الذي كان من أثرياء طرابلس⁶ بإقراض الباشا لشراء حرية الإيالة⁷، وعنه يقول الكوني:

"الثاني بصفته كبير التجار، ويؤكد مدمنو كتابة الحوليات أن للأخير بالذات يرجع الفضل في شراء حرية الإيالة الطرابلسية بأمواله وجنّبها ويلات الصدام المباشر

¹ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص269.

² - ينظر رودلفو ميكاي، طرابلس الغرب، ص15.

³ - إبراهيم الكوني، نداء ماكان بعيداً، ص108.

⁴ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص269.

⁵ - إبراهيم الكوني، نداء ماكان بعيداً، ص123.

⁶ - ينظر منصور علي الشريف، عائلة المكني أبناؤها وأدوارهم في التاريخ الليبي، ص91.

⁷ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص269.

مع وحدات الأسطول التركي المرابط على طول الساحل"¹.

قصد الكوني فيما سبق بالثاني علي المكني، مايجعلنا نعلم استدعاء الكوني لتاريخ الإيالة الطرابلسية.

لم تقبل الأستانة أحمد القره مانلي والياً على الإيالة الطرابلسية، في بادئ الأمر حيث قامت بإرسال باكير مكان جانم جوجة² لكي يكون والياً، ولكن الباشا أحمد قام بطرده دون أن يسمح له بمغادرة السفينة التي جاء بها³ ويقول الكوني عنه: "أرسلوا مبعوثاً إلى هذا الخنزير وقولوا له أنني سوف أقصف مركبه بالقنابل إذا لم يغادر ميناء الإيالة خلال ساعتين"⁴.

وهذا ما ذكرته كتب التاريخ فيما سبق، عما قام به أحمد القره مانلي من إهانة لرسول الأستانة، في الوقت الذي تولى فيه الباشا عرش الإيالة سادت الفوضى وانتشرت الثورات منها تمرد صاحب فزان ورفضه دفع الضرائب، فما كان من الباشا إلا أن خرج لتأديبه؛ وإجباره للإنضواء تحته والدخول في طاعته⁵ يقول الكوني عنه: "رسولاً أقبل عليه حاملاً نبأ تمرد سلطان فزان ورفضه دفع ما استوجب عليه دفعه من خراج، فلم يجد بداً من التوجه جنوباً في نية لتأديبه"⁶.

لاحظنا نقل الكوني لما تضمنته كتب التاريخ، من أخبار صاحب فزان وتمرد ضد الباشا القره مانلي، في ذلك الوقت قام أهالي تاجوراء بحصار شعبان بك داخل الإيالة وقتله، فقام أحمد عند عودته من فزان بعقاب أهالي تاجوراء وتخريبها، وفي هذا الخبر نجد الكوني يقول:

"أنتهى من أوباش الكولوغلية في تاجوراء وزحف بقواته نحو جبل نفوسة"⁷.

بعد انتهاء أحمد القره مانلي من معاقبة أهل تاجوراء، سمع بنياً تمرد حسين الكرغلي

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 97.

² - ينظر الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص 61.

³ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 276.

⁴ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 126.

⁵ - ينظر ن. إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص 115.

⁶ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 171.

⁷ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 153.

سار إليه، وهزمه وأحرق بيوت الرعايا الذين بايعوه، وأباح نهب أموالهم وحيواناتهم¹ يستمر الكوني في ذكر أخبار القره مانلي عند بداية توليه، دون مغالطة فيما تقوله كتب التاريخ.

هذا وقد تمرد الصنهاجي الذي أدعى النبوة² كما تمرد الثنائي "التريافي والأدغم" الذي قال عنه الكوني:

" أرسلهم أحمد باشا لتأديب أهل برقة"³

بعد هذه الأحداث وقوة القره مانلي التي أظهرها على جميعها حيث كان يبادر بالخروج وهزيمة المتمردين، ما جعل الأستانة تعترف به والياً⁴، حيث أرسلت له سفينتين هدية له ويقول الكوني:

مرفوعة بالفرمان السلطاني الذي خلع عليه لقب الباشوية وينصبه والياً رسمياً على إيالة طرابلس⁵

بعد اعتراف الأستانة بأحمد القره مانلي والياً، كان عليه البحث عن دخل للإيالة فاتخذ من القرصنة مصدراً للدخل، وبدأت سفنه التي اهتم بها بأسر السفن وكان من بينها السفن الفرنسية، حيث أسر مئة من البحارة الإيطاليين الذين كانوا على متن إحداها فما كان من القنصل الفرنسي إلا أن تقدم بطلب إطلاق أسرهم من الباشا، فوافق الباشا على طلبه وقال إنه تعبير عن إجلاله لفرنسا⁶ مما أثبت إجلاله لها عدم طلبه للفدية⁷ التي تُعد دخل البلاد ويورد الكوني :

" سأدفع بهم ليدك بدون فدية تعبيراً عن إكباري لفرنسا!"⁸.

وفيما سبق نلاحظ أيضاً، مدى استدعاء الكوني لتاريخ علاقة القره مانلي مع فرنسا،

¹ - ينظر ابن غلبون، التذكار، ص 284.

² - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 276.

³ - ينظر إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 193.

⁴ - ينظر الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص 61.

⁵ - ينظر إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 202.

⁶ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 274.

⁷ - ينظر ن. إ. بروتشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص 122.

⁸ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 119.

التي كانت متذبذبة بين الصداقة تارة، والغضب والحرب تارة أخرى فبعد أن أُسر الحجاج الطرابلسيين بميناء قرب روما¹ وضُربوا وأُهينوا، غضب القره مانلي وأمر بسجن الرهبان ومن معه جرّاء ما فعله النصاري بالحجيج² وفي هذا يقول الكوني: "أمر بإلقاء القبض على رهبان إرسالية النصاري وتكبيّلهم بالسلاسل واقتيادهم إلى الأقيية"³.

نلاحظ توظيف الكوني لهذه الحادثة، يكاد يكون حرفياً.

بعد هذه الحادثة، وبعد مرور زمن عليها قديم رسول فرنسي للإيالة لعقد معاهدة صلح شريطة دفع الباشا تعويضات جرّاء خسائر الأسطول الفرنسي التي لحقت من الحرب الأخيرة، والتي يقول الكوني عنها:

نزل الأدميرال "دي فاتان" إلى اليابسة... حاملاً في جعبته تفويضاً من ملك فرنسا بتوقيع معاهدة السلام مع القرمانلي شريطة دفع تعويضات (اعتبرها الجانب الفرنسي رمزية) جرّاء مالحق الأسطول التجاري من خسائر خلال حرب البحر الأخيرة⁴.

ولكن الباشا بعد رحيل السفن الفرنسية، أخذ يماطل في دفع التعويضات التي تعهد بإيفائها⁵، إن ما قام به الباشا جعل فرنسا تطالب بإعدام أحد بحارة الباشا، وهو القبطان الذي تراءس حرب البحر الأخيرة من الباب العالي، وبالفعل قد تحصل السيد داندريزيل على فرمان من الباب العالي⁶، والذي قال الكوني عنه: "القرصان هو الذي استصدر الباب العالي بشأنه فرماناً يقضي بإعدامه نزولاً عند

طلب صاحب الجلالة ملك فرنسا!"⁷.

عقب حصول قنصل فرنسا على فرمان قدم للإيالة ووجه إنذاره للباشا، فأدى لانعقاد مجلس الإيالة¹، الذي تقرر فيه رفض الباشا لتهديدهم² كما قام بتشديد برج³ وأطلق عليه

¹ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 282.

² - ينظر رودلفو ميكاي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 26.

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 269.

⁴ - ينظر إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 334.

⁵ - ينظر رودلفو ميكاي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 39.

⁶ - ينظر محمد الهادي أبو عجيبة، النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط، ص 137.

⁷ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 335.

الحصن الفرنسي⁴، مما أدى لقدم الأسطول الفرنسي ومطالبته بعدة طلبات وإن رفض الباشا فسوف تعلن الحرب⁵ وعنها يقول الكوني:

" أمام شواطئ الإيالة الطرابلسية . 16 يوليو 1728 في عرض البحر المواجه للمدينة انتشرت أربعة عشر بارجة حربية تابعة للأسطول الحربي الفرنسي"⁶.
أعلنت الحرب ضد الإيالة، وتم القصف مدة تسعة ساعات ثم أبحر عائداً إلى بلاده⁷ وذكر الكوني عنه:

" الإنسحاب فراراً مهيناً دل على فشل الحملة الفرنسية"⁸.

بعد إنهزام فرنسا أمام صمود الإيالة الطرابلسية ، وعودتها لبلادها أصبح الباشا بطلاً يستحق العناء، فسارعت الدول الأوروبية، لعقد المعاهدات معه من بينها هولندا⁹
بعد انقطاع العلاقة بين الإيالة الطرابلسية وفرنسا عقب الحرب التي استمرت سنتين قدمت السفن الفرنسية ثانياً لميناء الإيالة وكان عددها أربعة ، وعلى متنها الأدميرال "دوجي تروا" الذي نال استقبالاً لم يستقبل بمثله شخصية نصرانية ، حيث احتفل بقدومه احتفالاً كبيراً.

في ذلك الوقت سمع أحمد باشا القره مانلي بتمرد حاكم فزان ، فأوكل ابنه محمد ليذهب لتأديبه على تمرده¹⁰.

بعد أن حاصر محمد القره مانلي حاكم فزان ، ولم يستطع التصدي لقوات محمد الجرارة¹¹، حيث قال الكوني عنه:

¹ - شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 286.

² - ينظر ن. إ. بروشين ، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص 121 ز

³ - ينظر محمود ناجي ، تاريخ طرابلس الغرب، ص 161.

⁴ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 287.

⁵ - ينظر الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص 64.

⁶ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 367.

⁷ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 290 - 291.

⁸ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 404.

⁹ - ينظر رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 52.

¹⁰ - ينظر ن. إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث ، ص 116.

¹¹ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 299.

" لم يطل مقام الناصر في جحره لأنه ما لبث أن بعث إلى الأمير محمد بالأولياء ليضعوا تحت قدميه رايات الاستسلام مقابل الفوز بالشفاعة"¹.

عقب استسلام حاكم فزان، وشروط محمد القره مانلي عليه وقبوله لها، وفي طريق عودة محمد باشا أرسل والده أحمد خطاباً يأمره بجلب المتمرّد له في طرابلس وكان حرص أحمد باشا على رؤية المتمرّد شديداً، لدرجة تحذير ابنه من العودة بدونه².

بعد أن مثل حاكم فزان بين يدي الباشا أحمد ، أمر الباشا بخلع القفطان الفخري عليه وإعادته حاكماً عليها؛ كما أمر بهدم أسوار مرزك³، أما ما يقوله الكوني عنه: " اخلعوا قفطان السلطة على هذا العبد وأعيدوه حاكماً على الإقليم ولكن إياكم أن تنسوا هدم أسوار مرزك "⁴

عندما مثل حاكم فزان أمام أحمد باشا، كان الباشا قد أصيب بالعمى⁵، ورغم إخفاء الباشا عمائه عن الكل ، إلا أن الكوني جعله يصرح به في روايته، حين ذكر: " أنا أعمى "⁶

لعل الكوني أراد من تصريحه ، أن يبين ضعف الباشا أحمد وكبر سنه وتمهيده لتولي محمد القره مانلي، في ذلك الوقت قدّم أحمد بن موسى لأحمد باشا ؛مقدماً له مفتاح جزيرة "جربة"⁷ لكي يضمها تحت ولايته ،ولكن الباشا أحمد قد رفض، مما جعل أحمد بن موسى يذهب لقبائل الحدود ويشتري ذممهم بالأموال ويحرضهم على الإطاحة بزعيمها الجديد موسى بن صالح، وقد أفلح أحمد بن موسى في الإستيلاء

على الجزيرة⁸، وعن أحمد بن موسى يقول الكوني:

ذهب لقبائل الحدود...يشتري الذمم بالأموال...للإطاحة بزعيمها...موسى بن صالح..

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص431.

² - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص299.

³ - ينظر رودلفو ميكاي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص66.

⁴ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص438.

⁵ - ينظر الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص60.

⁶ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص441.

⁷ - ينظر رودلفو ميكاي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص79.

⁸ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص300.

وقد أفلح الأمير أحمد في الاستيلاء على الجزيرة¹

بعد أن أصيب أحمد القره مانلي بالعمى، شعر بالضعف فأنحدر بواسطة مسدسه² تاركاً ابنه محمد والياً على الإيالة الطرابلسية رغم أنه ليس أكبر أبناء الباشا بل ثانيهم لأن محمود هو أكبر أبناء الباشا³، وعنه يقول الكوني:

محمود باي... أحق بالعرش من محمد شرعاً لأنه ابن الباشا الأكبر⁴

ونتيجة لعلاقة الباشا أحمد مع فرنسا، أوصى الباشا ابنه بأن يوطد علاقته بها فقام باختيار (سي - حمد) نجل حسن كاهية رسولاً إليها حيث تم التعجيل بتهيئته للرحيل⁵.
قدم رسول فرنسا للإيالة الطرابلسية، وأعرب له محمد القره مانلي عن حاجته لفرنسا⁶ لأنه اكتشف أن له أعداء يغارون من توليه الحكم⁷، وفي هذا يقول الكوني:

"استقبل محمد باشا المسيو كوليه (GOULLET) قنصل فرنسا الجديد لدى المملكة، وأعرب له عن حاجته الماسة لصداقة فرنسا"⁸

علم محمد القره مانلي، أن صهره وابنه هما من قتلا أحمد حسن كاهية، قبيل ذهابه لفرنسا، فما كان منه إلا أن أمر بقتلهما رغم أنهما قريباه الأول ابن عمه، والثاني ابن أخته⁹، وقد وصف الكوني مقتلهما بقوله:

" في الساعات التي تهامس فيها أهل المدينة بنبا العثور على ابن شعبان بك صهر الباشا وابن عمه مقتولاً خنقاً "¹⁰.

هذا وقد تمرد ابني كاهية على محمد ، حين قدم الأكبر على رأس جيش من الأتراك قادمًا من مصر، ولكن أهالي سرت قاموا بقتل الأتراك، أمام الآخر القادم من

¹ - ينظر إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 459.

² - ينظر ن. إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ص 125.

³ - ينظر رودلفو ميكافي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 85.

⁴ - ينظر إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص 17.

⁵ - ينظر شارل فيرو، الحواريات الليبية، ص 309.

⁶ - ينظر الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص 68.

⁷ - ينظر شارل فيرو، الحواريات الليبية، ص 310.

⁸ - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص 23-24.

⁹ - ينظر شارل فيرو، الحواريات الليبية، ص 310.

¹⁰ - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص 41.

تونس فبسبب الحرب التي كانت بين تونس والجزائر أدت لعرقلته، ولكنهما رغم ذلك اجتمعا في غريان وانتظرا دخول قوات القلعة معهم في حرب إلا أن الجيش أصابه الملل فتفرق وهرب الأخوان لتونس¹.

عند وصف الكوني للجيش يقول:

"الجواسيس الذين أنبأوا بقرب وصول جحافل جيش شقيق أحمد كاهية الأكبر الملقب من مرتزقة الأتراك قادماً من مصر في الوقت الذي اقترب فيه وصول جيش شقيقه الثاني من مغامري القبائل قادماً من تونس"²

نلاحظ أن ما قام به الأخوان أشبه بما فعله حنا بعل بعد هزيمته للرومان وقربه من المدينة، كان حنا بعل قد تعب³، واسم هذه المعركة كما يقول الكوني:

هانيبال... سحق جيوش روما في معركة "كان" الشهيرة، وبدل أن يزحف ليحتل المدينة ذهب ليتسكع بجيشه في الأنحاء⁴

كانت علاقة فرنسا بمجد القره مانلي، علاقة قوية فعندما اختطف سفينة فرنسية من قبل البحارة الطرابلسيين، قام بتحريرها وإعادتها لفرنسا⁵، كما طرد رئيس القراصنة الذي انتهك حرمة العلم الفرنسي⁶.

بعد ذكرنا لما تضمنته روايات الكوني الثلاث، من أحداث تاريخية، نستطيع القول إن الكوني ذكر هذه الأحداث لكي تكتسب رواياته الطابع التاريخي، ولكي يتخذ منها دعائم يتكأ عليها في كتابته؛ كما كان حريصاً على أن يشعرنا بحرصه على أمانته العلمية التاريخية.

¹ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 311 - 312.

² - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص 48- 49.

³ - ينظر الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الثاني، ص 140 - 141.

⁴ - ينظر إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص 47 - 48.

⁵ - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 312.

⁶ - ينظر الصادق النيهوم، تاريخنا، الجزء الخامس، ص 69.

■ المبحث الثاني:

رؤية الحاضر بعين الماضي.

الرواية التاريخية عند الكوني اسقاط للماضي على الواقع المعيش:

يحمل هذا المبحث في ثناياه نوعاً من أنواع المفارقة ؛ التي أوردها الكوني في رواياته الثلاث ، منها على سبيل المثال : المفارقة اللفظية ، ومفارقتي الحدث والزمن . وهذا المبحث وجدناه قد اندرج تحت نوع مفارقة الزمن ، ذلك لأن القارئ لهذه الروايات، يشعر بأن التاريخ يُعيد نفسه ، ما جعلنا نعلم أن الكاتب يسقط في كتاباته الزمن الماضي على الواقع المعيش ، وهذا ما سنحاول توضيحه .
يقول الكوني :

" قالت أيضاً إنها ليست الإنسانية الوحيدة التي تستشعر وجع الاغتراب لمجرد أنها اختطفت يوماً من أهلها على يد مغامر قرصان، ولكن الناس كلهم مختطفون بيد قرصان¹ .

نظرنا إلى المعنى بصورة أشمل في قول الكوني السابق: "... ولكن الناس كلهم مختطفون بيد قرصان" دل ذلك على أنه قصد المتحكم في مصائر الناس ، رب الناس وفي هذا جرأة على الله وهذا ليس بجديد على الكوني² هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فلعله قصد أن إفريقيا قد اختطفت من أهلها ، ذلك لأنها كانت تحت سيطرة قوة خارجة عنها، للاستفادة من ثرواتها، واتخذت من أبنائها عبيداً لديها، وفي قراءة ثالثة لعل الكاتب أراد توضيح أن الاستغلال ؛ لا يقتصر على هذه الدول، لوجود قرصان آخر، هو الأنظمة الحاكمة المستغلة والقائمة على استغلال دولها ونهب خيراتها .
يقول الكوني :

" لم تعرف في ذلك الزمان من هو هذا الإله أبيبي الذي تحدّثت عنه العرّافة فسألت أمها عن هوية الربّ. تذكرت أيضاً أن الأم سقطت أرضاً، وهددت تراب المكان

براحة يدها مرات عديدة قبل أن تخبرها بأنه "ملك الظلمات وربّ الشرور كلّها!"³.
عندما يقرأ القارئ ما يقوله الكاتب ؛ يعلم للوهلة الأولى أنها امرأة تتحدث عن الرب

¹ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة ص 27 .

² - ينظر علي الهوني، أضواء نقدية على رباعية الخسوف، ص 39-69.

³ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 45 .

أو الإله المعبود ،ولكن ما أراد الكوني قوله ؛إن إفريقيا تعاني من نظم الاستبداد والظلم والقهر، التي تمثل القوى الحاكمة عليها.

يقول الكوني :

" توسلت المسكينة مرة أخرى:" لا أريد أن أموت! ". فعاد الرجيم يغني أغنيته الغربية قبل أن يقول:"جنئك بالدواء الذي سيشفيك إلى الأبد!"¹.

هذا الحوار دار بين أم زنجية وابنٍ كارهٍ لأمه يريد أن يقتلها ، ويعد موتها شفاء لها ولكن الحقيقة أن الأم ما هي إلا القارة السمراء (إفريقيا)،والشيطان الرجيم هو من خانها وأراد قتلها بتعاونه مع من أرادوا استعمارها، والسيطرة عليها. وليؤكد الكوني ما ذهب إليه نراه يأتي بأمثلة كثيرة :

" يُقال أن الرجيم فعل المستحيل لكي يتجرّد من جلده أيضاً تردّد على كل العطارين الذين عرفتهم قرطبة ،المقيمين منهم والعابرين، أملاً في أن يحقق حلمه الجنوني في التخلص من اللون "² .

لعل قصد الروائي فيما سبق، بني جلده لا لونه كما هو قال ،لأن من المعلوم لدينا أن لون الإنسان لا يتغيّر ،بل كثير من الناس تشعر بالإعتزاز بلونها أيّاً كان، ولكن هذا الخائن بلغ حد الإنكار لوطنه وأمته حتى صار لا أمل فيه لأمه إفريقيا ولا لأبناء جلده ووطنه. ويضيف الكوني :

من أراد أن يحيا بين الناس فليس له إلا أن يرى ما يراه الناس ويعبد ما يعبده الناس.. ما حياتنا في الدنيا إلا لعبة أقنعة!³.

إذا أخذنا كلام الكوني ظاهرياً فإنه يتحدث عن الإله العابث، صنع الكون ليلهو به، وفي هذا يقول الله تعالى:" أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ"⁴ " لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَّاتَّخَذْتُهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ "¹

¹ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة ،ص50 .

² - إبراهيم الكوني،لون اللعنة، ص51 .

³ - ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة ص57- 58 .

⁴ - قرآن كريم ،سورة المؤمنون، الآية 116 ،برواية قالون لقراءة نافع.

ولكن لعل الكوني أراد القول بأن حياة الناس... فيها النفاق إلى درجة أن طمس نور الحرية وهذا ما نراه في بعض الأنظمة التعسفية، الملايين من الناس يؤيدون ولكنهم في حقيقتهم منافقون إذ الحكم هو حكم الأقوياء، في حين أن هؤلاء الناس لا يملكون سوى الخوف على الأبناء والأنفس والأموال ، فيجنحوا للتأييد والسير وراء خطا الحكام. وزيادة في التوضيح يقول الكوني :

قال الشعر في بيتين اثنين كم اعتاد أن يفعل في الماضي عندما تستولي عليه حمى الحنين ، فأثارته أبياته فضول الأهالي حتى أنها نالت استحسان البعض .. جعل أحدهم يعقد مقارنة بين أشعاره تلك وبين الأشعار التي نظمها نيرون في يوم الحريق الذي التهم روما².

يقم الكوني في الفقرة السابقة قصة نيرون وحرقه لروما³، وذكر أن قريحته جادت بأبيات شعرية يملؤها الحنين إلى موطنها وتبين كيف لهذا الخائن المتنكر لأصله وموطنه، وحتى للونه الذي يربطه بهم ؛أن يعرف الحنين؟ الحنين للوطن لا يعرفه ؛سوى من اعتر بانتمائه إليه، وقدم نفسه فداء له ضد أي قوى غازية.

يقول الكوني :

"لو كنت مخلوقاً ناصعاً لأكلتُ اليوم لحمك نيئاً. ولكنك جيفة! لست جيفة ككل الجيف ولكنك جيفة نتنة! جيفة ظلماء! ولن أتنازل لأكل لحم جيفة ظلماء برغم أنني أكلت في أسفاري لحمًا نيئاً مراراً. لم أكل لحمًا نيئاً فحسب، ولكني أكلت لحوم الناس أيضاً!"⁴.

نعلم مما سبق، إن سيد هذا الخائن ، قد أكل لحوم الناس وهذا الفعل ليس الفعل المتعارف عليه من تناول الشيء، ولكنه بمعنى النهب، أي أنه قد نهب حقوق الناس وأموالهم قال تعالى مهّداً من ذلك: " وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ "⁵

¹ - قرآن كريم،سورة الأنبياء، الآية 17 ،برواية قالون لقراءة نافع.

² - ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة ص67 .

³ - ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الثالث،ص40 .

⁴ - إبراهيم الكوني،لون اللعنة ص81 .

⁵ - قرآن كريم ،سورة البقرة، الآية 24 ،برواية قالون لقراءة نافع.

هذه واحدة، أو قد يكون سيده مغتاباً يمشي بين الناس بالنميمة للفتنة؛ وهذه الصور أوضح من الأولى في القرآن قال تعالى: "أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا" ¹ يقول الكوني :

ولكن الفاسي لم يكن في نيّته لا أن يكف عن التلذذ بسيرته..إلا أنه لم يتوقف لا عن ارتكاب آثامه، ولا عن التلذذ بترديد سيرة التهام اللحم البشري النيء الذي وجده لذياً ².

إن في ترديد الفاسي لسيرته في نهب حريات الناس، ما نجده في الأنظمة الظالمة فهم لا يكتفون بظلمهم لشعوبهم؛ وإنما يكررون ما قاموا به، وذلك لكي تخشاهم الشعوب ، ويثيروا الذعر في نفوس ضحاياهم.

يقول الكوني :

" مع الأنباء التي تتحدث عن الانتصارات الحاسمة التي أحرزتها جحافل الفرنجة على جيوش المسلمين واقتحامهم لأسوار المدن المجاورة فعمّت البلبلة ،وتسابق الناس إلى الأسواق للاستيلاء على أوفر نصيب من الأغذية " ³.

بالفعل إن هذا ما يحدث في زماننا الحاضر، ففي الوقت الذي تُهاجم فيه العراق بالجيوش الأمريكية ،نجد بعض الدول العربية لا تكترت لما يُصيب العراق من دمار، بل تكتفي بالنظر، هذا إن لم تسارع لطلب رضى أمريكا فكيف يتعجب الكاتب من تسابق الناس للأسواق ؛لتوفير الأطعمة في الوقت الذي يجب فيه إعداد العُدّة للدفاع عن مدنها ، ومساندة المدن المُهاجمة من الإفرنج، أليس شراء الطعام أهون من إبرام

الاتفاقيات مع الأعداء ؛ وكسب محبتهم ورضاهم !.

يقول الكوني :

" الناموس يقول أن كل مالك مملوك ، وكل مملوك مالك ! " ⁴.

¹ - قرآن كريم،سورة الحجرات ،الآية 413 ،برواية قالون لقراءة نافع.

² - ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص89.

³ - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص90 .

⁴ - إبراهيم الكوني،لون اللعنة، ص108 .

لعل الكوني قد قصد مما قاله سابقاً ،أن كل صاحب ملك سلطان مثلاً يكون مملوكاً لله، أو للحكم والسلطة أو مملوكاً لبلاده، وأفرادها ،أما ما يقوله عن كل مملوك مالك ؛فهذا ما يماثل: كل سيد عنده سيد¹، فكل الحكام العرب إذا كانوا سادة يتحكمون في مصائر شعوبهم، فإن الغرب وإمريكا تتحكم في مصائرهم.

يقول الكوني :

" تلقوا إمدادات طائلة من الرجال الذين احترقوا الحروب حتى أنهم لا يشعرون بالضرر بغيابها كما يحدث للجند في جيوش الفرنجة، ولكنهم يموتون ميتات حقيقية لا بسبب الحروب، ولكن بسبب غياب الحروب"².

هذا القول يتماهى مع ما قاله خالد بن الوليد في رسالته إلى بلاد فارس "اسلموا تسلموا وإلا فأدوا الجزية وإلا فقد جنتكم بقوم أحرص على الموت منكم على الحياة"³ أما في واقعنا المعيش فإن الحروب هي التي تفرض علينا، وغالباً ما تكون الشعوب وقودها، وإن كان من مفارقة في حب الموت للإنسان العربي لنيل الشهادة، وكرهها من قبل المحتلين.

فهذا ما نراه واضحاً بين الفلسطينيين والصهاينة اليهود، حيث قال أحد قادتهم⁴: "إنهم يريدون الموت ونحن نريد الحياة. فماذا نفعل؟"

يقول الكوني :

دخل "الفاسي" بجيشه إلى ربوع الصحراء الوسطى... كان هذا الداهية يتلو على القوم

المساكين مزاميره المزورة عن الشر الذي استفحل وعن المنكر الذي استولى ،وعن العقل الذي تبلبل وعن أجل الخلاص الذي حان وسوف يحلّ يديه.. في الوقت الذي كان

¹ - مثل شعبي ليبي.

² - إبراهيم الكوني، لون اللعنة ص 115 .

³ - إسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، المجلد السادس، لا توجد طبعة، لا توجد نسخة النشر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية - مصر ص 361.

⁴ - هو رئيس الوزراء الإسرائيلي: مناحيم بيغن، والذي تعذر العثور على معلومات من ضمنها تاريخ قوله هذه العبارة.

فيه مرافقوه الأندال يعيثون في حرم الصحراء فساداً بعيونهم قبل أن يفعلوا ذلك بأيديهم¹.

إنه يمثل الحاكم العربي، الذي يقول كلاماً ويفعل غيره ويجب أن يحمد بما لم يفعل.
يقول الكوني :

" أن الروح البطولية لا تتخفى إلا في الأبدان النحيلة. كأن هذه الروح المستعارة من روح الخفاء لا يروق لها إلا أن تنتكر (مثلها مثل كل شيء في الصحراء) لتخفي سلطان جبروتها لا في القوة ولكن في الضعف"².

ما قصده الكوني هنا أن القوة في الضعف، وليست القوة في الأشياء القوية خاصة في الطبيعة.

فليس في الطبيعة أقوى من الحجر الصلد وأضعف من الماء. ولكن انظر ما يفعل الماء في الحجر...أذابه .. ويذيبه لتختفي قارات وجزر ، وأحياناً يكون قوياً بالفيضانات التي تجتاح المدن فتحيلها إلى دمار.. وكذلك يقال مع الرياح أليست نسمة انظر ماذا تفعل حتى في القرآن عذب الله بها من كفر وفي هذا يقول الله تعالى: "وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ"³.

كما يقول الله تعالى أيضاً: "وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ"⁴.

يقول الكوني :

" كلنا أمة مسكونة لأننا لا نفرق العدو من الصديق. لأننا كثيراً ما نستحسن العدو الذي يتنكر في جلد الصديق، ونستنكر الصديق الذي يتهدد لنا في بدن العدو "⁵.

إن صورة العدو في ثياب الصديق تتكرر كثيراً لدى الكتّاب والشعراء ، بعضهم يرمز

بذلك للدنيا.

يقول الحراني⁶:

¹ - ينظر إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 138 - 139 .

² - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 173 .

³ - قرآن كريم، سورة الشعراء، الآية 173 ، برواية قالون لقراءة نافع.

⁴ - قرآن كريم ، سورة الحاقة، الآية 5 ، برواية قالون لقراءة نافع.

⁵ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 17 .

⁶ - وجدت هذا البيت في كتاب الصداقة والصديق، للشاعر الحراني، Forum.moe.gov.om ولم أعثر له عن ديوان مطبوع.

إذا امتحن الدنيا أليِّبُ مجربٌ تكشفُ له عن عدوٍ في ثيابِ صديقٍ

وبعضهم يجعله المستعمر، وأصدق ما يمثلها من الشعر قول المتنبي:

إذا رأيت نُيُوبَ اللَّيْثِ بارِزَةً فلا تَظُنَنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ¹

وهذا الزمان كما في غيره يُعاني الناس من السطحية، وإن اتضحت في هذا الزمان أكثر لتوفرها بغزارة.

يقول الكوني :

" ينتظر سادة السواحل ،وسادة السادة في ما وراء السواحل الفوز بالثروات الخرافية

الطائلة التي لن يقنعهم سخاؤها حتى لو حدثت معجزة وامطرت سماء هذه الربوع ياقوتاً،وتحوّلت ذرّات ترابها تبرا"².

إن ما يقوله الكوني هو ما يقوم المستعمرون اليوم ،عندما تضاعف طمعهم حتى أصبحوا ينقبون الأرض بحثاً عن كنوزها.

يقول الكوني :

تساءل أكثر من صوت عن أي داء تحدثت فانتظر حتى هدأت الهرجة ليوضح أحمد

القرمانلي: الانكشارية! الداء هو شرادم الإنكشارية الذين سمّوا البلاد بالفتن، وقطعوا

دابر الاستقرار بالدسائس ،لأنهم ملّة خسيصة لا تخلد لنومة قبل أن تشرب من دم،

أو تنهب أرضاً ،أو تغتصب عرضاً ! .. بمساعدة سواعد هذه الشرذمة نُصّب المدعو

"أبوميس" حاكماً!³.

هكذا هو الاستعمار في كل عصر وهو الذي عبر عنه الكاتب بـ(سادة السادة) لا يهتمه

من مستعمراته إلا نهب ثرواتها ،والتي وإن لم يستعمرها سياسياً، أو عسكرياً استعمرها

اقتصادياً.

فالإنكشارية بالأمس هي القوات الأمريكية والأوربية اليوم، والمدعو أبو ميس الذي

نُصّب بمعونة الأنكشارية هو ما يمثله "قراضاي"، " المالكي" وغيرهما ممن سلّموا

¹ - ديوان المتنبي، ص253.

² - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص27.

³ - ينظر إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص31- 32 .

الحكم ولكنهم كالدّمى تحركهم القوات الأمريكية، التي لم يرحها نشر الفتن والدمار بل عاثت فساداً في عدة بلدان.

يقول الكوني :

"عليه أن يسلك سبيلاً آخر، سبيلاً أخطر يقيناً، إذا شاء أن يحقق للبلاد خلاصاً من فصول المهزلة التي تتابع على خشبة الوطن البائس منذ سنوات وسنوات .لأن لا شيء يتغير إن لم تبادر بتغييره بأنفسنا لا شيء يمكن أن يتغير إذا لم نغير ما بأنفسنا"¹.

هنا يُحرض الكوني للقيام بثورة ضد أشكال الاستعمار العديدة، وهذه الثورة هي التي ستغير حال الأوطان المستعمرة بأي شكل كان استعمارها، وهذا القول يتناص مع الآية القرآنية: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"² يقول الكوني :

" لأن رسالته أن يأتي بالمخلوقات التي لاهم لها إلا خنق الأنفاس بالجدران وقمع هاجس الترحال. قمع الحرية التي يحققها الترحال"³.

في زمننا نجد كثيراً من الأنظمة تقمع الحرية وتمنع الترحال والسفر على مواطنيها ليعيشوا في سجنهم الكبير الذي يطلق عليه مجازاً دولة. فيحرم عليهم إصدار جوازات مثلاً.

يقول الكوني :

" يوم رأى دايات تجري في دمائهم سلاطات الأعراب يتبادلون تولي أمر البلاد البائسة الواحد تلو الآخر كل بضعة أيام أو بضعة أشهر فوسوس له الوسواس بسؤال: " أأستُ

أنا الأولى من كل هؤلاء ؟ أأست أنا سليل هذا الوطن المعجون من طينة هذا التراب أولى أن أتولى أمر هذا التراب بدل السماح لأوباش الأفاق أن يقفوا في طابور كل

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً ص 41 .

² - قرآن كريم، سورة الرعد، الآية 12، برواية قالون لقراءة نافع.

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 44 .

ينتظر دوره في نيلها كأنها مومس في مأخور وليست وطناً نبيلاً لم ينل هذا المصير إلا بسبب رحمته بالغرباء ومغالاته في العطاء؟¹.

إن هذا ما مرّ على الأرض العربية؛ حيث تعددت الحكومات وتعددت أشكال الاستعمار لها، سنوات.

أبناءؤها أحق بها وبخيراتها من الغرباء، الذين لا يأتون سوى للسيطرة والتحكم فيها بأي شكل.

يتضح أن الكوني يريد إيقاظ الوطنية العربية في نفوس قرائه.

يقول الكوني :

" ألم تحن الفرصة لأن يثار لكرامة هذه الأم الجريحة التي استبيحت من قبل الأوغاد على مدى مئات من السنين الطويلة"².

يتوجه الروائي فيما قاله سابقاً، بكل وضوح بهذا السؤال إلى أبناء هذا الوطن ويريد أن تحرك فيهم روح القومية العربية النائمة، إن لم تك ميتة.

يقول الكوني :

" في ساعة الفرح بنيل السلطان حزن لأن السلطان وزر في رقبة السلطان وليس مكافأة على صنيع"³.

يتحدث الكوني عن نال السلطان هبة، رغم أن في الحاضر من تحصل عنه هبة لا يحزن، والدليل هو تقاتل الأخوة فيما بينهم لأجل ميراثه، مثلما حدث في بعض الأقطار العربية، كما لا وجود لمن يفكر في الوزر، لأن الوزر الأول في تقبله البداية، ولأن زمن العدالة لعله قد انتهى.

يقول الكوني :

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 52.

² - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 52.

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 67.

" ويروى أن جدران ذلك القصر ارتوت يومها من دماء الإنكشارية حتى سالت على البلاط . وقد دفع بها البلاط إلى البستان المحاط بالقصر فشربتها الأرض لتسقي بها جذور أشجار الزيتون والبرتقال والنخيل. هذه الأشجار التي أطعمت الأقرباء والغرباء من ثمارها فحرقَت على أيدي هؤلاء الإنكشارية مراراً انتقاماً من أهلها"¹

نلاحظ هنا أن الكوني أراد من أبناء الأمة في وقتنا الحاضر أن يثأروا لأرضهم لعرضهم ،أن يُسقوها من دماء أعدائها الذين سفكوا الدماء وقتلوا الأطفال والشيوخ، شردوا العائلات ،يريد الكوني من ضمير الأمة أن يستيقظ من نومته الطويلة.

يقول الكوني :

" كان أحد الخدم ينحني في الباب إكباراً لمقام كبير الضباط ويهرع بدوره ليساعده في خلع سيفه المهيّب المرصّع بالجواهر الملوّن ،بمقبضه الذهبي البارز من غمدٍ منمنم بالأحافير، والمرشوش بماء الذهب، الذي تقول الأقاويل أنه سلبه من أحد أصحاب إحدى القوافل العابرة إلى بَرّ الحجاز"².

أراد الروائي بهذا القول أن يوجه نظر أبناء الأمة إلى ضرورة إرجاع حقنا الذي سلب ولو باتباع الحيل لنيل هذا الحق المسلوب.

يقول الكوني :

" كان فرسان الإنكشارية يستمرّون في التوافد على القصر المكابر،المرشوش بالجير، فيبدو فوق الرابية مثل ضريح مهيب من أضرحة المرابطين والأولياء. ولم يكن يخطر ببال هؤلاء الأشقياء أن ذلك البنيان قد تحول منذ تلك الليلة (بفضل إقبالهم عليه) ضريحاً حقاً ، بل جبانة تأوي في جوفها جنث الأشقياء بدل رفات المرابطين أو الأولياء "³.

¹ - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص79-80.

² - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً، ص80 .

³ - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً، ص85 .

يوضح الكوني مدى قداسة الأرض العربية، وبأنها تزداد قداسة عندما تُدفن بها جثث أعدائها الظالمين لنهبها.

يقول الكوني :

" الأعداء الظالمين إلى الحكم أكثر عدداً وحيلاً وعدّة، ولكن بسبب ذلك السيف المسلّط على رقاب المسمّى سلطان الأستانة الذي لن يعترف بسلطة محلية قام بها أهل البلاد إلاّ إذا حدثت أعجوبة لأن هذا البعبع يعلم يقينا أن سابقة كهذه لن تكون بداية النهاية لسلطان الإمبراطورية على طرابلس وحسب، ولكنها سوف تكون مثلاً يحتذى من قبل المحميات المنضوية تحت لواء الأتراك لا في شمال إفريقيا وحدها، ولكن في العالم كله "1.

إن أترك الأمس، ما هم إلا الأنظمة العربية اليوم، وما أن تنثور إحدى هذه المحميات أو البلدان وتحقق الحرية من هذا النظام أو ذاك، حتى تتحالف ضده البقية لأن في تحطيم صنم منها بداية تحطيم لغيره.

هذا خارجياً، أما إذا كان ذلك داخلياً فكل صنم عنده أعوانه الذين يقضون على تلك الثورة وفي الحال.

والتاريخ المعاصر حافل بمثل هذه الثورات، فيما واجهته أو تواجهه بعضها إلى الآن.

يقول الكوني :

"من اختارته الأقدار ليكون خليفة الله في الأرض لا يجب أن ينال ولكن عليه أن ينتزع. ليس عليه أن يستدين، ولكن عليه أن يستولي . لأن كل ما ملكت أيدي الناس هو ملك يمينه "2.

هذا نقد ذاتي لأنظمة الحكم العربية وغيرها من الأنظمة التي يستولي فيها على السلطة حكام انتزعوا الحكم انتزاعاً، ولم ينالوه من الشعب نوالاً.

ولهذا صارت البلاد كلها مباحة لهم ملكوها لأنهم لا يُسألون، وإنما هم من يسأل.

فالحلال ما حل في أيديهم من أموال الدولة ،أو أموال الناس والحرام ما حرموا منه.

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً ص 88- 89 .

² - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 113 .

يقول الكوني :

"صمت صوت الحقيقة في مملكة الطبيعة"¹

مملكة الطبيعة لا يمكن أن تخرس بأي حال من الأحوال، لأن حاكمها عال والعدل من صفاته.

أما ممالك البشر خاصة العربية، فالبشر في هذه الممالك مطالبون ببلع ألسنتهم ليصمت صوت الحقيقة في بلدانهم.

يقول الكوني :

"سنجعل منه ضحية ثمناً لهذا النبل ! هذا ناموس الدنيا يا مولانا"².

نلاحظ هنا أن الكوني يترجم قانون الدنيا، قانون الأقوياء الذين لا يابھون لقتل النبلاء، وهذا يُصور زماننا، الذي أصبحت القوة هي الشيمة الطاغية، لمن أراد البقاء في هذه الدنيا.

يقول الكوني :

" الدول بنيان لا تشيّد أركانها النذالة، ولكن بالتسامح. لأن الإنسان إن لم يتسامح، إن لم يغفر، فلن يكون بوسعه أن يكسب صديقاً فكيف يكسب شعباً بل ربما شعوباً "³.

يضع الكوني مفتاح تشييد الدول، وفي نظره أنه التسامح الذي يقضي على الفتن التي برعت في نشرها بين أبناء الوطن.

يقول الكوني :

"هوس الخازندار وأمثال الخازندار بالمال هو سبب هذا العار ظناً من هؤلاء بأن المال عَصَب الدولة وليس العدالة "⁴.

يضيف الروائي بذكره لعصب الدول الذي يظنه المستعمرون بأنه المال، في حين أنه

العدالة، ولكن المال والعدالة لا يجتمعان، لأن المال يُخل بالعدالة وينمي الظلم، رغم أنه يظمن مكانة الدول في هذا الزمن.

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 132 .

² - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً ص 151 .

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 155 .

⁴ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 155 .

يقول الكوني :

" عبثاً يحاول الأبرياء أن يأتوا للسلالة بالخلاص لأن الأدهياء سرعان مايتلقفون الوصية ليعبثوا، ويسخّروها لمآربهم ¹."

إن هذا ما يقوم به بعض الحياتيين في هذا الزمان؛ حيث ما أن يعلموا بقانون مثلاً، حتى جعلوه يخدم مصالحهم، ويقع تطبيق القانون الحقيقي على الأبرياء. وهكذا يفعلون في كل زمن وفي كل قطر.

يقول الكوني :

" سلخ جلود شجعانهم على مرآى ومسمع من ذويهم. ولم يتوقف عند هذا الحد، ولكن الدّعي سبى نساءهم، واستباح أبقارهم بأن دخل على عدد منهم ² كما يدخل التيس العشير على الأغنام المحشورة في المرباط ثم لا يخجل من أن يدّعي أنه نبي القوم المنتظر ³."

ما أشبه الليلة بالبارحة.

يقول الكوني :

" يستطيع أن يتباهى بأنه الوالي الوحيد من بين كل ولاية الإمبراطورية! الذي استطاع أن ينزعها بسيفه فلا يكتفي بذلك بل ويبرهن أيضاً على أنها لم تُخلق إلاّ له قبل أن يبرهن على أنه لم يخلق إلاّ لها. ⁴"

هذا قديماً وكأنها غنيمة انتزعها بسيفه.. أما الآن فكلهم انتزعوا السلطة في بلادهم بسيوفهم فصارت غنائم مستباحة لهم.

يقول الكوني :

" الهزيمة التي لا تلحق العار بالأبطال الذين لا يخوضون الحروب للاستيلاء على الغنائم، أو لإرواء الظمأ إلى سفك الدماء، أو لإرضاء الكبرياء باستعباد الأمم، ولكنهم يحاربون دفاعاً عن النفس عندما يحاربون في سبيل الحقيقة. ¹."

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً ص 166 - 167 .

² - ينظر شارل فيرو، الحوليات اللبية، ص 277 .

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 167 .

⁴ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 203 .

كثير من الحكام العرب يفعلون ذلك فهم ،إن لم يستطيعوا شن الحروب الخارجية قاموا بها داخلياً بالاستيلاء على ممتلكات شعوبهم واختلقوا لذلك أسماء كثيرة لتبرير أفعالهم ..أو هم يقومون بالهجوم على الدول المجاورة خاصة الضعيفة لإرضاء غرورهم وتحقيق شهوة سفك الدماء في نفوسهم وإرضاء كبريائهم في ما يسمى بالعظمة الكاذبة.

يقول الكوني :

" أمانت قنابل أولئك الذين يفخرون بالتسامح أناساً ينتمون إلى أعراق الأمة المتهمة بالتعصب!"².

هذه الفقرة تدل على ما تقوم به الدول الإستعمارية، التي تدعي التسامح من دفن للأحياء في بيوتهم بالقنابل المحرمة دولياً، دكها بالطائرات وهم في كل ذلك يدعون التسامح وما أجبرهم على ذلك الفعل إلا تعصب "إرهاب" الأمم القابلة. وهذا بالتحديد ما فعله ويفعله الصهاينة بالفلستينيين، وكذلك ما فعله وتفعله أمريكا بأفغانستان والعراق.

يقول الكوني :

" كل من استولى عل أرض أغراب يوماً فلا بد أن يفقدها يوماً لنجد أن هذه الرقعة قد عادت إلى صاحبها الفعلي في نهاية المطاف "³.

يتحدث الكوني عن واقع بعض الدول العربية ؛التي استعمرت في يوم من الأيام من قبل دول غربية غريبة عنها، واليوم عادت إلى أصحابها الأصليين.

يقول الكوني :

"لقد مرّ بدياري في طريقه إلى الحجاز لأداء الفريضة فنهب الأموال واستباح الحرم وهو في طريقه إلى بيت الله للتكفير عن سيئات لن تُغفر له يقيناً!"⁴.

¹ - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً، ص241 .

² - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً، ص397.

³ - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً، ص457 .

⁴ - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص461 .

هذا ما يقوم به بعض أصحاب السلطة والسلطان اليوم؛ فما أن يملؤا جيوبهم بالأموال الحرام حتى يقصدوا بيت الله، للتكفير عن ذنوبهم.

يقول الكوني :

" هذه الفئة هي أخطر الفئات على السلام بين بلدينا لا لأنها ما تزال تؤمن بالحرب كرسالة في سبيل الله، ولكن لأنها الفئة التي تتستر بقناع الديانة لتخفي نواياها الحقيقية. لتخفي منافعها الحقيقية"¹.

يتحدث الكوني عما نراه اليوم من الفئة التي تدعي الجهاد والتعصب الديني في الوقت الذي تقتل فيه الأبرياء، وتترك أصحاب الفساد يعبثون بالأرض، ماجعلنا نقول، إنها الفئة التي تقتل الناس على نواياهم.

يقول الكوني :

"إذا لم يهتدوا إلى سرّ اليد التي تميت فأخشى أن زمناً سيأتي لن يجدوا فيه اليد التي تُحيي !"².

يحذر الكوني قراءه من اليد التي تقتل، عندما نرى الدمار الذي لحق بالعراق وفلسطين وغيرهما من الدول، يريد أن نتفطن لهذه اليد المدمرة.

يقول الكوني :

" صاحب القوة لا يطيق وجود قوة لا إلى جواره ولا بعيداً عنه، لأن ناموس القوة يرفض بالسليقة وجود أية قوة في الوجود كله !"³.

لا يطيق وجود قوة إلى جواره لأنه لم يتعود أن يتعايش مع الآخر، لهذا صار الرقم الصعب في دولته، فهو لا يقبل معه أحداً فهو الأول دائماً لا مكان في بلده للأول مكرر

ومن ثم يجب القضاء على الذين يريدون أن يكونوا الأول مكرراً حتى يخلو وجه السلطة ويدير دولته مطلق اليد فيها.

يقول الكوني :

¹ - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص25 .

² - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص46 .

³ - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا، ص89 .

"فشتوا حملة سرّية محكمة وطويلة النفس بهدف زعزعة ثقة هؤلاء البلهاء بأوطانهم ليتيسر لهم إما الاستيلاء عليها، أو استغلال أهلها وهو أضعف الايمان"¹

أي حملة في الخفاء غير منظورة يقوم جواسيس الدول الغربية لزعزعة ثقة الشعوب بنفسها في صنع قادة لها يؤمنون بما تؤمن به ، وذلك لغرض الاستيلاء على نفطها وخيراتها وتمكين الحكام الموالين لهم من أخذ زمام المبادرة في تركيع كل من تسول له نفسه أن يخرج عليهم لأنه فهم اللعبة.

الزعامات في الزمنين:

¹ - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا ، ص 115 .

التاريخ يعيد نفسه تلك مقولة خالدة نعم يعيد نفسه في الأحداث والشخصيات والخيانة والمعارك والعلاقات إلى غير ذلك.

فعلى سبيل المثال هناك من يجلب الجيوش الأجنبية ويضعها في قواعد حمايته من شعبه وهناك من يُخرج هذه القواعد ويلتحم بشعبه يقول الكوني:
" الانكشارية ! الداء هو شرادم الإنكشارية الذين سمّموا البلاد بالفتن، وقطعوا دابر الاستقرار بالفسائس، لأنهم ملّة خسيصة لا تخذل لنومة قبل أن تشرب من دم، أو تنهب أرضاً، أو تغتصب عرضاً!"¹

ما الإنكشارية في الماضي إلا القواعد الأجنبية (الأمريكية والانجليزية على أرض الوطن).

وما إخراج أحمد باشا للإنكشارية والقضاء عليها إلا إخراج تلك القواعد من أرض الوطن والقضاء عليها.

ولعل ما يماثل أحمد باشا في ذلك الدور البطولي إلا ما قام به الزعيم الليبي: العقيد معمر القذافي من طرد لتلك القواعد.

ويضيف الكوني :

"انتصر على الخصوم ،وأفشل الفسائس ،وقمع كل ثورات القبائل واستهان بسلاطين الآستانة الذين ترتعد فرائص حتى ملوك أوربا لمجرد ذكرهم، وأخضع البحر كله لسلطانه"².

يصف الكوني فيما سبق أحد زعماء الايالة الطرابلسية في الماضي، ألا وهو) أحمد باشا القره مانلي(الذي بنا دولة قوية مهيبة ظلت لمدة تتراوح القرن والرابع وهي مهيبة الجانب من قبل أعدائها ،وهو فعلاً ما فعلته الثورة الليبية أثناء طردها للقواعد

من استهانة بالدولة المنتمية إليها كأمريكا التي ترتعد فرائص أوربا وغيرها لمجرد ذكرها.

هذا ويضيف الكوني:

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص31.
² - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص69.

"وقد أجم القرماني حماسهم هذه بعبارة حاسمة تقول: "طرابلس منذ اليوم للطرابلسيين، ولن أسمح بأن يعود ليتولى أمرها تركي أو أجنبي، ما ظللت على قيد الحياة!"¹
ما قاله القره مانلي بالأمس، ما أشبهه بما قاله العقيد: معمر القذافي في بيانه الأول حين تجسد حبه لوطنه وأبنائه في كل حرف منه.
يقول الكوني:

أنامل تعزف المزامير، وحناجر ترتفع بالغناء، وأصوات نساء تصدح بالزغاريد... كانت الجياد تتقاطع في كل زاوية.. لتشارك في الفرحة بفنون سواء بالسباق، أو الرقص، أو التنافس في ابتداء ألعاب بهلوانية غير مألوفة²
ما فعله أحمد باشا هو بالضبط ما تفعله الحكام العرب من تبذير لأموال الدولة على مظاهر سطحية لا طائل من ورائها إلا أن تشبع كبرياء وغرور هؤلاء الأصنام.
كما قال الكوني أيضاً :

تمشى لويس الخامس عشر مصحوباً بأحد الأعوان... همج طرابلس صاروا غصة في حلقي³.
وهذا فعلاً ما يقوله رئيس البيت الأبيض، بعد أن صارت ليبيا غصة في حلقة بعد قيام ثورتها.

نستنتج مما سبق، أن الكاتب ذكر بعض الشخصيات الحقيقية، التي لها وجود في الماضي، ولديها ما يماثلها من حكماء في الحاضر، بينما جعل لكل رواية بطلاً طارقياً، أضفى عليه أوصاف الكمال، لعل ذلك يعود لطغيان الانتماء القبلي على مخيلة الكاتب.

رؤية الحاضر بعين الماضي:

يقول الكوني أيضاً :

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 87.

² - ينظر إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 204.

³ - ينظر إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً ص 341.

"ذهب إلى السوق واشترى عبداً وأمةً وجُبَّةً وعمامة، واختفى من هناك ليظهر بعد أمدٍ في مدينة "فاس" لا ليفتش في ربوعها عن الأصل الضائع، ولكن ليشتري بالمال أتباعاً يعتنقون الزور وينادون بصاحب الزور على الناس نبياً"¹.

يصيب الكوني فيما ذكره عن قوة المال على أصحاب النفوس الضعيفة، في شراء الأتباع رغم نفاقهم لمن يتبعون، لأننا نرى ما تحدث عنه في هذا الزمن، من ادعاءات ومن أتباع، رغم أنهم لم يؤمنوا بهم لدرجة إيمانهم بأنبياء؛ في زمن قد اكتملت فيه الرسالة وانتشر الإسلام.

نستطيع القول إن الكوني أراد لفت الانتباه فيما سبق؛ إلى سلطان المال الذي هو زماننا الذي نعيشه.

يقول الكوني :

"الفرجة الذين ابتسم لهم هذا اللغز المسمى في السنة الأمم زماناً ما لبثوا أن انتهزوا الفرصة ليتجبروا بعد أن عبس في وجوههم أمداً طويلاً"².

نلاحظ أن الكوني يصف حال الأوروبيين بين الماضي والحاضر؛ فما أن زالت حروبهم العالمية واينعت ظروفهم؛ حتى تجبروا على الأمم .

يقول الكوني :

"الناس لا تصدق أبداً إنساناً يتطوع ليعطي الكنوز على سبيل الهبة، الناس لم تصدق في الماضي، ولن تصدق اليوم، وسوف لن تصدق في يوم من الأيام، إنساناً يقود الناس إلى الغنيمة"³.

أراد الكوني بهذا القول ؛ توضيح ما يدور في عقول الناس من عدم تصديقهم لمن يُقدم

العطايا لهم دون مقابل، ذلك لأنهم علموا أن لا عطية دون مقابل، ومن أعطى دون أن يطالب بمقابل، لا بدّ وإنه يبيت النية على شيء.

¹ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة ص 109 .

² - إبراهيم الكوني، لون اللعنة، ص 118 .

³ - إبراهيم الكوني، لون اللعنة ص 168 .

نستطيع القول أن الكوني جعل من نفسه ،خبيراً لخفايا الناس ،ومحذراً لمن يحاول خداعهم بأن يُخدع.

يقول الكوني

" التأم مجلس الحكماء في خباء جلدي مهيب نصبه زعيم "أزجر" لأكابر الصحراء في خلاء يبعد عن المضارب مسافة طويلة ، ولكن البُعْد في المسافة لم يعصم أخبار المجلس من التسلل خارج المجلس"¹.

ما فعله الحكماء في الماضي، هو ما تفعله الأمم المتحدة، من إخفاء لقراراتها بمنع إذاعتها بالأخبار، ولكنها لن تخفى حتى إن تأخرت إذاعتها، فكثير من المحاورات حدثت بينهم بسرية ،ولكنها اليوم تتردد في أفواه العامة.

يقول الكوني :

"لا يجب أن نأخذ الدول بآثام الحمقى و قراصنة البحار يا سعادة الباشا ؟ هذا ما تقولونه دائماً عندما يتعلّق الأمر بخطاياكم في حقنا.أما إذا قام قراصنة من بلادنا بارتكاب حماقات من الصنف الذي ذكرته منذ قليل فإنكم لا تتسامحون ولا تكتفون بالاحتجاج ، ولكنكم تهرعون إلى البوارج وتنصبون المدافع ،وتقبلون علينا لتدكّوا حصوننا وتحصدوا الأبرياء بألوف الألوف دون أن يرفّ لكم جفن"².

إذا كان هذا منطق الدول الغربيّة قديماً تجاهنا،فهو مازال نفس المنطق لضعفنا وتفرقنا.

يقول الكوني :

" ما أن حلّت الظلمة حتى تسلّلت البوارج المدججة بالمدافع نحو تحصينات المدينة فرست على مسافة تمكّنها من إصابة أهدافها عند بدء القصف"³.

نلاحظ أن الكوني قد وصف حرب فرنسا ضد الإيالة، ولكن القارىء يشعر بأنه يصف ما فعلته الطائرات الأمريكية بطرابلس، حين قصفتها ليلاً والأطفال نيام.

¹ - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص 173 .

² - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص270 - 271 .

³ - إبراهيم الكوني ،نداء ما كان بعيداً،ص385 .

يقول الكوني :

" في الساعة الثامنة من مساء اليوم نفسه بدأ القصف فوقعت أول قنبلة داخل القلعة"¹
ما أشبه قلعة أحمد القرماني وما أصابها بالأمس من قنابل؛ بما أصاب بيت العقيد
"معمر القذافي" من قصف والذي أفقده ابنته، كما أن آثار هذا العدوان لا تزال باقية
إلى يومنا هذا.

استشراف المستقبل بعين الماضي:

يقول الكوني :

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، 386.

" أن هؤلاء جميعاً حاولوا يوماً أن يستهتروا بالناموس الذي خلق الأوطان جسماً واحداً لا يتجزأ عندما استقلّوا بهذا الإقليم أو ذاك. ولكن الأقدار خذلتهم جميعاً، لأن الوطن جرم واحد، والجزء لا بد أن يعود ليلتحم بالكلّ سواء طال الزمان أم قصر" ¹.

يشعر القارىء بأن الكوني، يُبشر بالوحدة في المستقبل رغم ما قام به دُعاة التفرقة من توثيق للحدود، ولكن يُصر الكوني على إحياء أمل الوحدة بشدة في نفوس قرائه. وإن صدق حدسي فهو ينبه إلى وجوب إقامة الوحدة الطارقية، إذ هم أشتات مجتمعات متفرقة في دول مختلفة.

هذا وفلسف الكوني نظرتة للتاريخ السياسي في الحكم فيقول:

"هذا ما كان يوماً. وهذا ما هو كائن اليوم. وهذا ما سوف يكون غداً، ما ظلّ في الدنيا سادة وما عاش في الدنيا عبيد. ما ظلّ في الدنيا صحبان ناموس، وما عاش في الدنيا حملة أسفار الناموس. ما ظلّ في الدنيا عشاق الحرية، وما عاش في الدنيا عشاق الدنيا وخونة الوصيّة الملقبة باسم الحرية!" ².

إنه هنا ينبه مرة ثانية إلى أمر مهم خاف، وإن كان يحدث دائماً أمام أبصارنا أن لا أحد باق في هذه الدنيا؛ حكاماً ومحكومين، أنبياء موحدين وعشاق طبيعة، أحراراً يعشقون الحرية وأصحاب هوى يلهثون وراء الدنيا حتى ولو خانوا أوطانهم.

فتنبهوا يا معشر البشر لهذا الأمر الجلل وانشروا المحبة بينكم وحاربوا البغضاء.

وكأنني به بهذا الخطاب يوجهه إلى الحكام العرب بأن يحكموا شعوبهم بالديمقراطية.

يقول الكوني على لسان أحمد القره مانلي مخاطباً لقنصل فرنسا:

"أنتم لا تريدون التعويض المزعوم، ولكنكم تريدون إذلالنا. أنتم لا تريدون الصداقة معنا ولكنكم تريدون إخضاعنا. أنتم لا تريدون أن تكتفوا بإخضاعنا، ولكنكم تريدون أن تमितوا فينا توقنا إلى الحرية" ³.

ما أشبه الليلة بالبارحة إن الاستعمار واحد مهما ارتدى من أقنعة تمويه، هذا هو هدفه

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 192 .

² - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً ص 215 .

³ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 375 .

وتلك غايته. فكل المفاوضات بيننا وبين الغرب تسير على هذا الخط يروننا خروفاً
سميناً يجب أكله حتى النهاية، وفي المقابل نحن نرى فيهم ذئاباً مكشرة عن أنيابها...
إلا أعوانهم من حكامنا الذين استباحوا الوطن لهم وقدموه لهم على طبق من ذهب.
يقول الكوني على لسان أحمد القره مانلي مخاطباً أحمد بن موسى:
" كل من استولى على أرض أغراب يوماً فلا بدّ أن يفقدها يوماً لنجد أن هذه الرقعة قد
عادت إلى صاحبها الفعلي في نهاية المطاف"¹.
يُشير الكوني بعودة الأراضي المُغتصبة مستقبلاً لأصحابها، ويُطمئن أصحاب هذه
الأراضي، بأنها ستعود إليهم مهما طال الزمن أو قصر. في أي زمن من الأزمنة وفي
أي بقعة من الأرض.
يقول الكوني :
" أنت تعلم الحال في السواحل الأفريقية. إنها معزولة عن عمقها. إنها شجرة مقطوعة
الجزور؛ لأن من يقطن سواحلها منذ القدم قوم لا صلة تربطهم بدواخلها، إنهم ملل
تختلف عن أهلها. لأن أهلها لا يقيمون أبداً على شواطئها"²
يردد الكوني هنا ما يقوله المستعمرون ومن يريد أن يشعل نار الفتنة بين جنوب القارة
الإفريقية وشمالها في أن سكان الشمال ليسوا من أهلها، وإنما قدموا إليها مع الفتح
الإسلامي واستوطنوها.
أو كما يقولون احتلوها وتمتعوا بخيراتها وحيث إنهم جاءوا مستعمرين فيجب أن
يخرجوا، ولكن ألم يكن هناك أقوام بشمال إفريقيا قبل الفتح الإسلامي. لمن جاء
الفاتحون إذن.

¹ - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص 457 .

² - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا ص 159 .

الخاتمة

وبعد ؛ فقد حاولتُ وفق ما أُتيح لي أن أخلص إلى نتائج اجتهدت أن تكون دقيقة صادقة تحكمها الحيادية والتمعن ، وحاولتُ قدر المستطاع في القضايا الجزئية أن تكون نتائج الملاحظات مضبوطة يطمئن القارئ إلى أحكامها .

وقد بنيت دراستي بطريقة استخلاصية تتدرج في انتقاء النتائج واختزالها. ولأن الدراسة تحاول بقدر الإمكان الابتعاد عن التكرار، فسأحاول استخلاص الأفكار العامة التي خرج بها البحث من الملاحظات ، وترك التفاصيل في أماكنها لمن يرغب في الاطلاع عليها أو مراجعتها.

نتائج البحث :-

- أضفى الكوني خياله الروائي، ما جعله يُخالف بعض الأحداث التاريخية، ولعله في ذلك كان يستحضر التاريخ المعاصر أثناء كتابته عن تاريخنا في الفترة القره مانلية.

- جعل الكوني من روايته (لون اللعنة) سبيلاً إلى قدح شخصية يعلمها، رمز لها باسم (شلم) ، كما وظّف تاريخ قبيلة أولاد محمد فيها دون المغالطة فيه.

- وظّف الكوني تاريخ الأسرة القره مانلية عهد (أحمد ومحمد)، في روايته (نداء ما كان بعيداً - في مكان نسكنه في زمان يسكننا) ، موضحاً حصول أحمد باشا على السلطة بالانتزاع ، وإفلاس الإيالة أثناء توليه السلطة وإعادته ثراها بالقرصنة وتأمين الطرق ، واتخاذها من المرأة سبيلاً للمال.

أما محمد باشا فقد تولى السلطة بالوراثة ، زمن قوتها، ولكنه ظلّ يمارس القرصنة، ولم يلجأ للمكوس كوالده ، أما المرأة فلم نجد لها أي دور في حياته. - حضور شهوة الانتقام في روايات الكوني ، حيث أصاب فيما ذكره عنها في

بعض المواقف، ولكنه وقع في خلط بين مفهومي الانتقام والاعتداء، كما وجدتُ

- أن مواقف الانتقام لديه هي نتيجة لردات فعل شخصية.
- هذا وقد وقع الكوني في مفارقة الموقف حين رددَ لفظ الانتقام بكل متعة، ثم نفاه في آخر قوله.
- حضور شهوة المتعة في روايات الكوني، وقد قام بتفصيل أنواعها حين ذكر: التعذيب، الفتن، السلطان، والنساء .
- كان للمرأة حضور مستهجن في روايات الكوني، حيث ذكرها في بداية قوله مظلومة أمية مستباحة، سبيل لنيل الأبناء، كما نعتها بأفطع الصفات منها: الخداع، والانتماء لسلالة الجن، والمعتدية على الربوبية، وبأنها الشيطان، وغير العفيفة، وبأنها تُباع وتُشتري كالسلع، كما جعل منها مكافأة لمن قام بجيد العمل من الرجال، وإن اعترف أخيراً بأمومتها، وعاطفتها، وذكائها.
- استدعى الكوني التاريخ العربي، ليتكىء على ما حمله من أحداث تاريخية ولكي يضيف على رواياته الصفة التاريخية، كما وظفه فيما ناسب ما أراد قوله في الروايات .
- قام الكوني بإسقاط لبعض أحداث الزمن الماضي، على بعض الأحداث التي تعيشها الأمة في الحاضر، قاصداً أن يُنير بعض الزوايا التي غفل عنها الشعب، لعله يتذكر زمن قوته ووحدته فينهض ليستعيد مجده.
- عقد الكوني مقارنة بين زعامات الزمن الماضي والحاضر، لكي يوضح أنهم متساوين في ظلمهم، وبأن الطوارق هم الأحق بهذه الزعامة، لما يحملوه من خلاص لأبناء الأمة.
- جعل الكوني من نفسه متنبئاً لمستقبل الأمة وذلك من خلال نظره في تاريخنا، بعد تركيزه في الماضي، لذا أكد على ثورة الشعوب المظلومة، وبشّر بالوحدة وعودة الأراضي المغتصبة، وكأنه يريد أن يقول إن التاريخ يُعيد نفسه.
- أراد الكوني إقحام الطوارق في التاريخ الماضي، فقد جعلهم في فترات التاريخ

المختلفة التي وظفها في رواياته يقومون بأدوار البطولة والشجاعة.
- أراد الكوني من خلال رواياته أن يؤرخ للطوارق ،لعلمه بأن ما يكتبه اليوم
سيكون تاريخاً في المستقبل.

أما المصاعب التي واجهت الباحثة أثناء كتابتها فهي:

- نقص المراجع؛وخصوصاً فيما يتعلق بتاريخ أولاد محمد.
- عدم وجود مكتبة أدبية متخصصة.
- قلة المكتبات العامة،وهذا ما جعلني انظر في الشبكة المعلوماتية للبحث عن
ظالتي فيها.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

- إبراهيم الكوني، رواية (لون اللعنة) المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، الطبعة الأولى - سنة النشر 2005 ف .
- إبراهيم الكوني ،رواية (نداء ما كان بعيداً) المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ، الطبعة الأولى ،سنة النشر 2006 ف .
- إبراهيم الكوني ،رواية (في مكان نسكنه في زمان يسكننا) المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة النشر 2006 ف .

ثانياً : المراجع العربية :

- 1 (الأطروحات العلميّة (مرقونة) :
 - فيصل عبد الله حيدر، الصياغة اللغوية والتصوير الفني في نص الدنيا أيام ثلاثة لإبراهيم الكوني (أطروحة ماجستير) مخطوطة ،جامعة قاريونس ،بنغازي - الجماهيرية سنة 2005 ف.
 - مختار الهادي الأدهم، المصطلح في نقد الرواية العربية، دراسة في إشكالية المصطلح (أطروحة ماجستير) مخطوطة، جامعة الفاتح، طرابلس - الجماهيرية سنة 1996.
- 2 (الكتب والمعاجم العربية:
 - القرآن الكريم، برواية قالون لقراءة نافع.
 - إبراهيم الفيومي، قراءات نقدية في الرواية العربية، الطبعة الأولى، سنة النشر 2001، كلية الآداب - جامعة اليرموك.
 - ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني/المجلد الثالث عشر/المجلد الخامس عشر

- لا توجد طبعة، سنة النشر 1956 ف، دار صادر.
- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الرابع عشر، الطبعة الأولى، سنة النشر 2000، دار صادر.
- ابن غلبون، التذكار، تعليق: الطاهر الزاوي، الطبعة الأولى، سنة النشر 2004، دار أويا/ طرابلس - ليبيا.
- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجزء الثالث، لا توجد طبعة، لا توجد سنة النشر، دار الفكر العربي.
- ديوان أبو عبد الله محمد بن أدريس الشافعي، جمع وتحقيق وشرح إميل بديع يعقوب، الطبعة السادسة، سنة النشر 2001، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- أبي الفرج الأصفهاني - الأغاني، المجلد الرابع والعشرين، الطبعة الثانية، سنة النشر 1992 - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ديوان أبي الطيب أحمد بن الحسين الشهير بالمتنبي، لا توجد طبعة، لا سنة النشر طبع بمطابع الزهراء للإعلام العربي، مصر.
- أحمد أمين، النقد الأدبي، الطبعة الرابعة، سنة النشر 1967، دار الكتاب العربي، لبنان.
- أحمد بك الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، لا توجد طبعة، سنة النشر 1984، الناشر - دارف المحدودة - لندن المملكة المتحدة.
- أحمد هيكل - الأدب الأندلسي، الطبعة الثانية عشر، لا توجد سنة النشر، دار المعارف.
- إسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، المجلد السادس، لا توجد طبعة، لا توجد سنة النشر/المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية - مصر.
- أمين توفيق الطّبي - تاريخ المغرب والأندلس، لا توجد طبعة، سنة النشر 1984 الدار العربية للكتاب/ليبيا - تونس.
- أمين محمد الماعزي - حضارات الصحراء (2)، الطبعة الأولى، سنة النشر

2003.

- أنيس مقدسي - الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، الطبعة الرابعة، سنة النشر 1984، دار العلم للملايين.
- ثابت ملكاوي - الرواية والقصة القصيرة في الإمارات، لا توجد طبعة، لا توجد سنة النشر، إصدارات المجمع الثقافي .
- حبيب وداعة - وثائق دولة أولاد محمد بفران، المجلد الأول، لا توجد طبعة، لا توجد سنة النشر.
- رجب نصير الأبيض، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، الطبعة الأولى، سنة النشر 1998 - منشورات مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية - ليبيا.
- سالم المعوش - في الأدب العربي الحديث، الطبعة الأولى، سنة النشر 1993 ، الجامعة المفتوحة - طرابلس .
- سيد حامد النساج، الرواية العربية الحديثة، الطبعة الأولى، سنة النشر 1980، دار المعارف - القاهرة.
- سيد محمد ديب، فن الرواية في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور، الطبعة الثانية، سنة النشر 1995، مكتبة الأزهر.
- شاكر مصطفى - القصة في سورية، لا توجد طبعة، سنة النشر 1957.
- الصادق النيهوم - تاريخنا، الجزء الأول/الجزء الثاني/الجزء الثالث/الجزء الخامس، لا توجد طبعة، سنة النشر 1983، دار التراث.
- الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، الطبعة الثانية، سنة النشر 1981، طرابلس -

ليبيا.

- طه حسين - في الأدب الجاهلي، الطبعة الثانية عشر، لا توجد سنة النشر، دار المعارف.
- طه وادي - مدخل إلى تاريخ الرواية المصرية، الطبعة الثانية، سنة النشر

1997 مصر.

- عبد الرحمن عبد الحميد، النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد، لا توجد طبعة، لا توجد سنة النشر، دار الكتاب الحديث.

- عبد الرحيم الكردي، السرد ومناهج النقد الأدبي، لا توجد طبعة، سنة النشر 2004 مكتبة الآداب، القاهرة - مصر.

- عبد العزيز عتيق - الأدب العربي في الأندلس، لا توجد طبعة، لا توجد سنة النشر، دار الآفاق، القاهرة - مصر.

- عبد الفتاح عثمان، دراسات في النقد الحديث، الطبعة الأولى، سنة النشر 1991 ، مصر.

- عبد الله سالم مليطان، معجم القصاصيين الليبيين، الجزء الأول، الطبعة الأولى، سنة النشر 2001، دار المداد، طرابلس - ليبيا.

- عبد المنعم الحفني، موسوعة الطب النفسي، الكتاب الجامع في الاضطرابات النفسية وطرق علاجها نفسياً، المجلد الثاني، لا توجد طبعة، لا توجد سنة النشر، مكتبة مدبولي - مصر.

- علي عبد المطلب الهوني، أضواء نقدية على رباعية الكوني، الطبعة الأولى، سنة النشر 2001، دار البيان - ليبيا.

- فرج عبد القادر طه، معجم علم النفس والتحليل النفسي، الطبعة الأولى، لا توجد سنة النشر، دار النهضة - مصر.

- قاسم عبده - أحمد الهواري - الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، لا توجد طبعة، سنة النشر 1979 ف، دار المعارف - مصر.

- مجدي وهبه وكامل المهندس - معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب لا توجد طبعة، سنة النشر 1989 ف، بيروت - لبنان.

- محسن جاسم الموسوي، الرواية العربية النشأة والتحول، الجزء الأول، لا توجد

- طبعة، لا توجد سنة النشر، دار الآداب - بيروت.
- محمد بسيوني - العار الأمريكي، الطبعة الأولى، سنة النشر 2005 ف، دار الكتاب العربي.
- محمد سعيد القشاط، عرب الصحراء الكبرى التوارق، الطبعة الرابعة، سنة النشر 2008، الدار العربية للموسوعات.
- محمد سعيد القشاط، صحراء العرب الكبرى، الطبعة الأولى، سنة النشر 1994، دار الرواد، طرابلس - ليبيا.
- محمد سليمان أيوب، جريمة من تاريخ الحضارة الليبية، الطبعة الأولى، سنة النشر 1969، دار المصراطي، طرابلس - ليبيا.
- محمد صائل حمدان، قضايا النقد الحديث، الطبعة الأولى، سنة النشر 1991، دار الأمل - الأردن.
- محمد صالح الجابري - القصة التونسية نشأتها وروادها، لا توجد طبعة، سنة النشر 1975 تونس.
- محمد عبد الرزاق مناع، الأنساب العربية في ليبيا، لا توجد طبعة، سنة النشر 2007، مكتبة التمور، بنغازي - ليبيا.
- محمد فؤاد حجازي - الأسرة والتصنيع، الطبعة الثالثة، سنة النشر 1979 ف، القاهرة - مصر.
- محمد الهادي أبو عجيبة - النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط، الطبعة الثانية، سنة النشر 2008، منشورات جامعة السابع من أكتوبر.
- محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة: عبد السلام أدهم/محمد الأسطى، لا توجد طبعة، لا توجد سنة النشر، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب.
- منصور علي الشريف، عائلة المكني أبناؤها وأدوارهم في التاريخ الليبي، الطبعة الأولى، سنة النشر 2003، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس - ليبيا.

- ميشال عاصي - الفن والأدب، الطبعة الثالثة، سنة النشر 1980، بيروت - لبنان.
- ياسر عبد المعطي - بحوث في علم الاجتماع/ المرأة في المجتمع، لا توجد طبعة، سنة دار النشر 2007، دار الكتاب الحديث.
- دليل المؤلفين العرب الليبيين، لا توجد طبعة، سنة النشر 1977، دار الكتب، طرابلس - ليبيا.
- الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دراسة بنيوية تكوينية، الطبعة الأولى، سنة النشر 1985، دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب.
- الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الثانية، سنة النشر 1999، الناشر/ المملكة العربية السعودية.
- موسوعة علم النفس الشاملة، المجلد التاسع، لا توجد طبعة، لا توجد سنة النشر - Editio Crepsnari Intemat

(3) الكتب المترجمة إلى العربية :

- اكناتي كراتشكوفسكي، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث ودراسات أخرى، ترجمة: عبد الرحيم العطوي، لا توجد طبعة، لا توجد سنة النشر.
- رودلفو ميكاسي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ترجمة: طه فوزي، مراجعة: حسن محمود وكمال الدين الخربوطلي /معهد الدراسات العربية(جامعة الدول العربية) لا توجد طبعة، سنة النشر 1961.
- روجر آلن - الرواية العربية، ترجمة: حصة المنيف، لا توجد طبعة، سنة النشر 1997 ف المجلس الأعلى للثقافة .
- ريتشارد تولي، عشر سنوات في بلاط طرابلس، ترجمة: عماد الديراوي أبوحجلة، لا توجد طبعة، لا توجد سنة النشر، مكتبة الفرجاني، طرابلس - ليبيا.

- شارل فيرو - الحوليات الليبية، ترجمة: محمد عبد الكريم الوافي، الطبعة الثالثة، سنة النشر 1994 ف، بنغازي - ليبيا.
- ن.إ. بروشين - تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ترجمة: عماد حاتم، الطبعة الثانية، سنة النشر 2005 ف، الناشر: مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية، طرابلس - ليبيا.

4) الدوريات :

أ - المجالات :

- مجلة الآداب ، العدد التاسع، سنة 2009 ف.
- مجلة الفصول الأربعة، العدد الحادي والثمانين، سنة 1996 ف.
- مجلة الفكر العربي، العدد السادس والعشرين، الجزء الثاني، مارس، سنة 1972 ، 1979، السنة الرابعة.
- مجلة الفكر العربي، العدد الرابع عشر، مارس، سنة 1980 ف.
- مجلة العربي، العدد خمس مئة وثمانية، مارس، سنة 2001 ف.

5) المقابلات :

- لقاء مباشر على شاشة الجزيرة الفضائية على حلقة واحدة ، في برنامج زيادة خاصة/لسامي كليب ، بُث الحلقة الأولى يوم السبت مساءً الموافق 2009/6/27.
- و بُثت إعادة الحلقة ، يوم الاثنين 2009/6/29 ف ، مساءً، على موقع شبكة المعلومات الدولية.
- الموقع على شبكة المعلومات الدولية:

حول رواية إبراهيم الفقيه خرائط الروح: بقلم أحمد سعيد.

www.maakom.com

حول الشاعر الحراني وبيته المذكور في كتاب الصداقة والصديق.

Forum.moe.gov.om

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
التمهيد	1
■ الرواية	3
■ الرواية العربية	6

- 13..... الرواية التاريخية العربية ■
- 16 الرواية التاريخية في ليبيا ■
- 18 التعريف بالروائي إبراهيم الكوني ■

الفصل الأول:

22 حقيقة الأسرة القره مانلية وأركان سعادتها

- المبحث الأول:
- الأسرة القره مانلية بين الحقيقة التاريخية والخيال الروائي في الروايات
- الثلث.....23
- المبحث الثاني:
- مثالث السعادة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.....82
- *السلطة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.....83
- *المال عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.....90
- *المرأة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.....95

الفصل الثاني:

انحسار دور المرأة في الرواية التاريخية عند الكوني في الروايات

99.....الثلث

- المبحث الأول:
- تحقيق شهوة الانتقام في الروايات الثلاث.....100
- المبحث الثاني:
- تحقيق شهوة المتعة في الروايات الثلاث.....114
- المبحث الثالث:

122.....تلاشي دور المرأة في الروايات الثلاث

الفصل الثالث:

129.....التاريخ وانعكاسه حاضراً ومستقبلاً

■ المبحث الأول:

130.....استدعاء التاريخ العربي

■ المبحث الثاني:

149.....رؤية الحاضر بعين الماضي

ط.....الخاتمة

ل.....المصادر والمراجع

ر.....الفهرس